

لكل
أمة
قصة ترويها

تأليف: مجموعة من النساء حول العالم



فكرة وإعداد: إكرام العشي

لكل
امرأة
قصة ترويها

رقم الإيداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
٢٠٢١ / ٢ / ٨٧١

٨١٠,٩

لكل امرأة قصة ترويها / اكرام عبدالقادر العش.. [وآخرون].- عمان: المؤلف، ٢٠٢١.
(٣٠٢) ص.

ر.ا.: ٨٧١ / ٢ / ٢٠٢١.

الواصفات: / الأدب العربي // المنوعات الأدبية // المرأة // علم الاجتماع /
العصر الحديث /

* أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية.

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا
المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

(ردمك) ISBN 978-9957-67-841-8

* لكل امرأة قصة ترويها = Every Woman Has A Story To Tell

* إكرام عبدالقادر العش... [وآخرون]

* الطبعة الأولى: ٢٠٢١

* جميع الحقوق محفوظة ©

الحقوق محفوظة للمؤلفة

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينهما في نطاق استعادة المعلومات، أو نقلهما بأي شكل
من الأشكال دون إذن خطي مسبق من المؤلفة.

All rights reserved. No part of this book may be produced, stored in a retrieval system or
transmitted in any form or any means without prior permission in writing of an Author.

لكل امرأة قصة ترويها

تأليف: مجموعة من النساء حول العالم

أميرة حمدي زلوم
خولة زهير العواملة
لطيفة أحمد القوقا
هبة فرج الدوسري

أمل نعيم طوقان
المحامية حنان عبدالكريم العسسى
شفق مصطفى ارشيد
مُنيرة عبدالرزاق عوض
أماني وياسمين الشام وآسيا

إكرام عبدالقادر العش
إيمان محمد الخطيب
رجاء زهير العواملة
مريم علي سعيضان

Ahlem Mohamed Abdullah
R.T.S

Jane Gilbert
M.B.M

L.M.O
Zaina Batal Seede

فكرة وإعداد: إكرام العش

2021

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفهرس

7	الفهرس
11	المقدمة
15	الفصل الأول: تأملات
35	الفصل الثاني: من مذكراتي
53	الفصل الثالث: اميرة بين الغربية والوطن
71	الفصل الرابع: أوراق ملونة
85	الفصل الخامس: مخاوفي وإذ وقعت
93	الفصل السادس: بين الأمس واليوم
109	الفصل السابع: شجرة الليمون
119	الفصل الثامن: هلع الزهايمر
131	الفصل التاسع: تحديات في حياتي
139	الفصل العاشر: رضيت بقَدَري
151	الفصل الحادي عشر: من بين الحطام نهضت
161	الفصل الثاني عشر: ماما أمينة
171	الفصل الثالث عشر: أزهار ناعمة
173	(1) أحب وحشاً
183	(2) أنت طالق
191	(3) الزوجة الثانية

نهدى هذا الإنجاز لأنفسنا
كما نهديه للنساء في كل أنحاء العالم

المقدمة

بدأت فكرة هذا الكتاب بعد الانتهاء من الكتاب الجماعي السابق بعنوان: (سنوات في السطور)، والذي جاءت فكرته عندما التقيت مجموعة من خريجي الجامعة الأردنية في السبعينات عبر الفيسبوك، وقد شارك في تأليفه تسعة عشر زميلاً وزميلة. والذي تم نشره في شهر سبتمبر 2020.

فكرت في تكرار تجربة مماثلة مع مجموعة من النساء والصدقات اللواتي عرفتهن منذ الطفولة وأيام المدرسة وممن تعرفت عليهن خلال مراحل لاحقة من حياتي الأكاديمية والعملية والاجتماعية. وعندما تحدثت إلى مجموعة من الصديقات عن الفكرة قوبلت بالقبول. ومع ذلك، كانت لديهن عدة مخاوف، مما دفع بعضهن إلى الانسحاب رغم اقتناعهن بالفكرة ومن هذه المخاوف:

أولاً: عدم وجود تجارب سابقة في الكتابة؛ فلا يعرفن كيف أو ماذا يكتبن.

ثانياً: الخوف من ردود فعل وآراء من حولهم من الأهل والأصدقاء.

ثالثاً: الخوف من التعبير عن مشاعرهن وأفكارهن.

رابعاً: اعتقاد كثير من النساء أنه لا يوجد في حياتهن ما يستحق المشاركة به أو الكتابة عنه، وأنهن مجرد نساء وأمهات ولسن عاملات وبدون أي خبرات أو تجارب عملية. - للأسف - هؤلاء لا يُقدِّرن تجارب حياتهن حتى قدرها، رغم أن دور الأم من أهم الأدوار في حياة الأسرة والمجتمع.

ولأنني كنت أعرف وأتوقع هذه المخاوف، شجعتهن وساعدتهن على البدء في الكتابة؛ فليس من السهل التحدث والتعبير عما بداخلنا والخروج من المنطقة الآمنة التي نعيش فيها دون أن نأخذ بعين الاعتبار حكم الآخرين علينا ونظرة المجتمع لنا، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى وجدت أخريات أن الكتابة فرصة للمشاركة والتعبير عن مشاعرهن وتجاربهن وذكرياتهن وعواطفهن.

أخذ الكتاب اتجاهًا آخر عندما اقترح إبني الأصغر دعوة نساء غير عربيات للمشاركة في الكتاب؟ ووجدت أن الفكرة ستكون مختلفة ومتنوعة بوجود نساء من ثقافات وجنسيات وديانات ولغات أخرى للمشاركة بتجارب حياتهن معنا.

جاءت تسمية الكتاب خلال حديثي مع العزيزة (زينة بطل سيد)؛ عندما تحدثت إليها للمشاركة معنا في الكتاب فكان ردّها: "لِمَ لا؟" فلكل امرأة قصة ترويها، "ووجدت أن هذا العنوان يمثلنا ويمثل مشاركاتنا فيه.

من نحن؟ نحن مجموعة من النساء من مختلف الأعمار والجنسيات والخلفيات الثقافية والدينية والفكرية والأكاديمية. لم يلتق معظمنا من قبل. تربطنا الأثوية والإنسانية معاً في هذا الكتاب (لكل امرأة قصة ترويها).

قد تكون لدينا أفكار ومشاعر واحتياجات وقدرات مشتركة، وتربينا في بيئات اجتماعية متقاربة، لكننا نختلف في شخصياتنا وأفكارنا ومعتقداتنا ولغاتنا وأدياننا وخلفياتنا التعليمية وقصصنا وخبراتنا. فقد مررنا بالعديد من التحديات في حياتنا، والتي فرضتها علينا بيئاتنا وظروفنا المختلفة؛ فلكل واحدة منا قصة أو تجربة مختلفة تريد مشاركتها مع الآخرين.

وسواء كانت قصصنا سعيدة أو حزينة، قصص نجاح أم فشل، إيجابية أم سلبية، قصص حب أم زواج فاشل، لكننا مررنا بها وعشنا تفاصيلها. وقد لا تكون نهايات قصصنا كما كنا نرغب أن تكون، لكننا تعلمنا منها ودفعنا الثمن مقابل هذه التجارب. فالضحك والفهم الحقيقي للحياة لا يأتي إلا من خلال التعامل مع الواقع وخوض الحياة وتجاربها وتحدياتها ودفع ثمن الدروس التي تعلمناها؛ لذلك قد يأتي فهمنا لها في مراحل متأخرة من حياتنا.

ولذلك، لا يحق لأحد أن يحكم علينا من خلال قصصنا؛ لأن كل تجربة من تجاربنا تحكمها الظروف التي عشناها والتفاصيل التي لم نتطرق لها.

عُرفت المرأة بأنها عاطفية، وأنها غالباً ما تعبر عن نفسها من خلال الدموع؛ وربما تكون هذه نقطة ضعفها التي تعيقها عن التعامل مع مشكلاتها والتعبير عن رأيها. ومع ذلك، لا ينبغي أن تُلأم على اختلافاتها الجسدية والنفسية والعاطفية التي خلقها الله بها والتي تم تعزيزها من خلال التنشئة الاسرية والتعليم.

عموماً؛ خُلقت كلُّ منا لمهمة ودور في الحياة، ولا شك أن اختلاط الأدوار بطريقة مبالغ فيها قد يتسبب في فقدان التوازن في الحياة والعلاقات على اختلاف أنواعها؛ فقد تغيرت طبيعة أدوارنا الاجتماعية ولكن شخصياتنا واحتياجاتنا وفطرتنا بقيت كما هي وإن ادّعى البعض غير ذلك.

وعلى الرغم من أننا لسنا خبراء في الكتابة، إلا أن قصصنا المتنوعة تعكس تجاربنا وخبراتنا واختلاف أعمارنا؛ فتنوع الموضوعات، والبساطة في الكتابة، ووضوح التعبير، أمور جعلت هذا الكتاب فريداً ومميزاً.

يتكون الكتاب من جزأين؛ جزء باللغة العربية كتبته خمسة عشرة مشاركة، تُقيم في الأردن والسعودية والولايات المتحدة، وجزء باللغة الإنجليزية كتبته ست مشاركات يعشن في الولايات المتحدة وبريطانيا وأفريقيا.

يتكون الكتاب من تسعة عشر فصلاً، وواحد وعشرين كاتبة، فالفصل الثالث عشر شاركت فيه كتابته ثلاث نساء فضلن عدم ذكر أسمائهم الحقيقية لاعتبارات تتعلق بالمحيطين بهم.

وبما أنني أعرف جميع المؤلفات، أود تقديمهن لكم، وهن:

لطيفة القوقا، أمل طوقان، خولة العواملة، رجاء العواملة. كُنَّ أصدقائي منذ الطفولة، ودرسنا في نفس المدارس، وكنا في نفس منطقة السكن، كما أن كلاً من خولة ورجاء العواملة شقيقتان.

لدي روابط عائلية مع L.M.O.

قابلت مريم سعيفان عبر الإنترنت، والدة منية رحمها الله كانت صديقتي منذ سنوات.

خلال عملي في المنظمات الدولية قابلت جين جلبرت، ونشأت بيننا علاقة صداقة منذ ما يزيد عن العشر سنوات، وكذلك علاقة عمل وصداقة مع إيمان الخطيب. ومع كاتبات الفصل الثالث عشر.

في أثناء عملي في هذا الكتاب، تعرفت على أحلام عبد الله، وأميرة زلوم من خلال زوجها الذي شارك معنا في الكتاب الجماعي الأول، وشفق ارشيد، أما هبة الدوسري التقيت بها من خلال إحدى الصديقات في الولايات المتحدة.

زينة بطل سيد، و R.T و M.B.M تجمعنا معاً علاقات صداقة عائلية في الولايات المتحدة.

حنان العسوس هي ابنة أختي وحفيدتنا الأولى، وتجمعني بها علاقة صداقة.

أتوجه بالشكر لجميع المشاركات في هذا الكتاب لمشاركتنا قصصهم الرائعة، كما اشكر L.M.O على مساعدتها في تدقيق المقدمة بالإنجليزية و M.B.M لتصميمها لغلاف الكتاب، وابتني رزان التي كانت المسؤول المالي معنا، كما اتقدم بالشكر لكل من دعم فكرة الكتاب حتى ولو لم يشارك معنا.

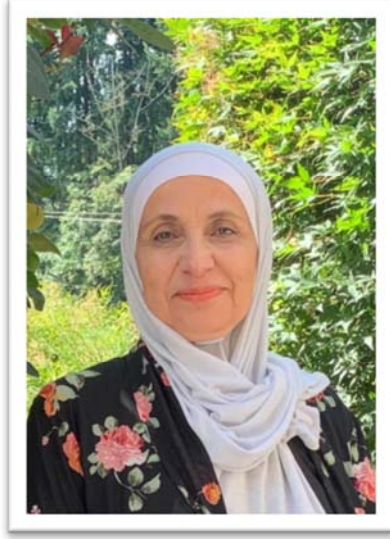
ارجو أن تستمتعوا بقراءة مشاركاتنا والاستفادة منها.

إكرام العش

الفصل الأول

تأملات

بقلم: إكرام عبد القادر العش



أخصائية نفسية، وكاتبة

لكل امرأة قصة ترويها.... فكرت كثيراً فيما أريد أن أكتب؛ فقد سبق وكتبت عن تحدياتي مع مرض السرطان في كتابي الأول "العيش مع السرطان ممكن وليس مستحيلاً" الذي صدر عام 2019، وعن أفكارتي وقناعاتي ورؤيتي لكثير من أمور الحياة في كتابي الثاني "محطات على الطريق" الذي صدر عام 2020، كما كتبت عن ذكرياتي وحياتي أيام الجامعة في كتاب "سنوات في سطور" الذي كان فكري وإعدادي وتم تأليفه من قبل مجموعة من خريجي الجامعة الأردنية في السبعينات والذي صدر في شهر آب 2020.

وها أنا أعيد تجربة الكتابة الجماعية وإعداد هذا الكتاب ولكن مع مجموعة من النساء اللواتي أعرفهن جميعاً معرفة مباشرة تقريباً.

ومع أنني كتبت الكثير عن تجاربي وأفكاري، لكنني وجدت أن هناك جوانب لم يسبق لي النظرق لها في كتاباتي. وها أنا أكتب بعضها كتحديات واجهتها بنفسي وبعضها تحديات تواجه المرأة بشكل عام.

المرأة الأم

عندما طلبت من بعض النساء المشاركة في هذا الكتاب قُلن لي: إننا مجرد أمهات ولم نستطع إكمال تعليمنا أو الانخراط في ميدان العمل، وليس لدينا ما نكتب عنه؛ فحياتنا وتجاربنا كحياة غيرنا من النساء.

وعندما تكررت نفس العبارات، توقفت وتساءلت في نفسي: لماذا تُقلل المرأة من قيمة دورها في الحياة، والعمل الذي تقوم به في حياة أسرتها ومجتمعها؟ رغم أنه دور أساسي وعمل مهم جداً، سواء كانت المرأة أمّاً أم بنتاً أم أختاً، وسواء كانت متزوجة أم عزباء أم أرملة أم مُطلقة، وسواء كانت عاملة أم ربة بيت؟ على الرغم من أن الأعمال والتضحيات التي تقوم بها النساء تعدّ جبارة ولا يطقها أو يستطيع تعويضها الكثيرون.

وكوني امرأة مررت بالكثير من التجارب الحياتية، التي خضتها بنتاً أو أختاً أو أمّاً أو زوجة أو امرأة عاملة؛ فقد كانت الأدوار والأعمال التي أقوم بها تستهلك طاقتي وقدراتي وتركيزي وتركني أحياناً في عناء شديد لا أقوى بسببه على النهوض؛ خاصة إذا قوبلت هذه الأعمال بعدم التقدير وبالتالي الإحباط. ومع ذلك، ما إن أسمع صوت أحد الأبناء أو أي أحد يطلب مساعدتي إلا وتجدي ألم نفسي وألمي وتعبي وجراحي وأنهض متناسية كل تعب، وأزّين وجهي بابتسامة تخفي خلفها كل حزن، وأستجيب للنداء برضى وسعادة.

إن عمل الأم ومهمتها ودورها في الأسرة يفوق كل الأعمال التي نقوم بها في الخارج؛ لأن طبيعة عمل الأم هو البناء الحقيقي للمجتمع؛ فترية الأبناء تربية صحيحة والاهتمام بصحتهم العقلية والنفسية وتعليمهم مواجهة الحياة والتعامل معها هي أعمال ومهام وأدوار لا مثيل لها؛ فالأم التي تربي وتقدم للمجتمع العالم والطبيب والمهندس والمدرس والتاجر، وغيرها من المهن، هي أم تبني المجتمع، فكيف ترى نفسها لا تقوم بأي عمل يستحق الذكر؟!

وغالبا ما تقوم المرأة العاملة بالدورين معاً، دورها كأمّ وربة أسرة، ودورها كأمراة عاملة يتطلب منها الكثير من الالتزامات والتضحيات للحفاظ على عملها والنجاح فيه، وهذا يتطلب جهداً كبيراً منها؛ فهي عليها النجاح بالوظيفتين معاً داخل الأسرة وخارجها، ولا بد أن يكون هذا على حساب صحتها ونفسياتها وراحاتها وطموحاتها غالباً.

لذلك، لا بد من التطرق لبيان دور الأم في الأسرة وحيات الأبناء. ولا أريد أن أكرر تلك الكلمات التي كنت أستخدمها عندما كان يُطلب منا كتابة موضوع في الإنشاء عن الأم أو المرأة ودورها في الأسرة

والمجتمع؛ لأنني عندما كنت أكتب تلك الموضوعات وتصفق لي الطالبات بناءً على طلب مُدرسة اللغة العربية، لم يكن حينها يهمني أكثر من مجرد استخدام الحليات اللغوية والتشبيهات البليغة وغيرها من قواعد اللغة لأحصل على موضوع متكامل لغويًا عن المرأة المثالية التي كنا نرى الأم من خلالها بعيداً عن حقيقة دورها ومشاعرها. لقد كنا أطفالاً ونسعد بما تقدمه لنا الأم بدون معرفة التضحيات الحقيقية التي كانت تعانيتها أو تخفيها عنا لتظهر لنا تلك - المرأة الخارقة - التي لا تتعب ولا تتألم وإنما تظهر لنا مبتسمة كل الوقت.

وقتها، كنت طفلة، وكنت ابنة تتعلق بوالديها وتسعد بوجودهما معها وحولها، يشعراها بالأمان والحب والقوة، ولم تكن تفهم أو تجرب الحياة إلا ما سمحت لها الظروف أن تفهم وتجرب وتعرف. ولم أختبر أن أكون زوجة أو أمًا أو أختًا لغير إخوتي، أو أجرب الأدوار التي حملتها لاحقًا، كعمّة وخالة وحماة وجدة وغيرها من الأدوار. وكنا عندما نريد التهرب من عمل شيء ما، نختفي ونُدعي الانشغال بالدراسة وتقوم والدتي - رحمها الله - بإيجاد الأعذار لنا وتحمل الأعباء عنا. كنا نعيش حياة بلا مسؤولية حقيقية، وكانت الأمهات يرحمننا ويشفقن علينا من الأيام القادمة.

لم أفهم معاناة أمي مع الغربة وتركها والديها وهجرتها وهي في سن صغير، ولا سبب بكائها الصامت على فقدانها لوالديها وشوقها إليهما حيث لا سبيل لها للوصول إليهما، لم أفهم ذلك إلا بعد أن اغتربت وجربت مقدار الشوق والحاجة للاحتما بظل الوالدين. ولم أفهم تضحياتها وتنازلها عن كثير من راحتها واحتياجاتها وحقوقه من أجل راحتنا إلا بعد أن تزوجت. ولم أفهم خوفها وقلقها علينا وعلى غيابنا، ولم أفهم سعادتها بنجاحنا وتفوقنا إلا بعد أن أنجبت وتعبت.

بعدها اكتشفتُ أن الأم تقوم بأعمال متعددة في نفس الوقت، وأنها قادرة على رعاية أسرة مكونة من عشرين فرداً وأكثر، ولكن العشرين فرداً غير قادرين على تغطية غيابها أو رعايتها ولو لعدة أيام، عندها أدركت أهمية دور الأم وخطورته في نفس الوقت، إنه عدة أدوار تقوم بها معاً في خلطة سحرية مغلقة بالحب والتضحيات والحنان والرحمة الإلهية، مما جعلني أتساءل: هل ما تقوم به الأم يُعدّ وظيفة؟ أم عملاً؟ أم مهمة؟ أم عاطفة؟ أم فطرة؟ أم دوراً اجتماعياً؟ أم كل هذه الأدوار وغيرها مجتمعة؟!

تربية الإناث

ترتبت الفتيات على أنهن يختلفن عن الذكور في الأدوار والمهام والأعمال التي تسند إليهن، ولا اعتراض على هذا، كما ترتبت الكثير منهن على أنهن ملكات وأميرات في بيوت آبائهن، ولنن من الدلال

والدعم والتشجيع الكثير، لدرجة أنهم اعتقدن أن الحياة جميلة ووردية وستستمر معهن هكذا طوال العمر. وترت أخريات على أنهم خدم ومتاع للآخرين، وأنهن قابلات للبيع والشراء، وقد نلن من الظلم وسوء المعاملة الكثير من خلال الواقع الذي يعيشه وعاشته أمهاتهن من قبلهن. ونحن هنا نتحدث عن تدرج واسع ما بين طرفي الواقع.

وقد عملت القصص الخيالية التي تُروى للفتاة في طفولتها على تعزيز هذه المشاعر بداخلها وتعزيز نظرتها لنفسها سلباً وإيجاباً، وكذلك الحال بالنسبة للذكور؛ فهم شركاء في نفس الواقع والثقافة السائدة في التعامل بما يعزز من أدوارهم في الأسرة والمجتمع، وهذه القصص الخيالية سببت الكثير من الخلافات بسبب الفهم الخاطيء للحياة والواقع وفي علاقاتهم لاحقاً؛ ذلك أن الطفولة هي المرحلة التي تُزرع فيها الكثير من المفاهيم والأفكار والثقافات والقيم والأخلاق التي - من خلالها - تُحدّد شخصية الفرد وطموحاته ونظرته لنفسه وللعالم وللدعم الذي يمكن الحصول عليه من الآخرين.

فمن النساء من تربّت على " الاعتمادية والتعالي " التي يعتبرها البعض دليل رقي لمستوى الفتاة المادي والاجتماعي، والتي هي في نظري تدرج تحت مفاهيم خاطئة في التربية، وتدلل على عدم معرفة الآباء بأساليب التربية الصحيحة وفهمهم للحياة، والتي تحرم الأبناء من حقهم في الاعتماد على النفس وممارسة حقهم في التعلم عن طريق التجربة الذاتية والتعامل مع الآخرين وتحديات الحياة لاحقاً. فالمبالغة في حماية الأبناء كما يبررها الآباء بدافع الحب، وربما بدافع التعويض عن الحرمان الذي عاشه الآباء في حياتهم، تعمل على خلق أبناء ضعيفي الشخصية والإرادة، قليلي الخبرة والتجربة، كثيري التذمر والشكوى، مضطربين اجتماعياً بسبب الفراغ الداخلي الذي يعيشون به، وغير مدركين لحقيقة وجودهم ودورهم في الحياة الواقعية. وفي المقابل يتسبب الإهمال والحرمان في الطفولة بنفس الاضطرابات بصور أخرى أو يتسبب بباء الذات بطريقة إيجابية وفهم للواقع او بصورة سلبية.

وهنا لا بد من فصل المفاهيم الاجتماعية والتربوية عن الأمور الدينية؛ لأن الدين الإسلامي منح المرأة حقوقها التي تكفل لها كرامتها وإنسانيتها ومكانتها في الأسرة والمجتمع؛ فالإسلام كفل لها حياة كريمة في جميع مراحل حياتها منذ طفولتها وحتى الممات. أما المفاهيم والممارسات السلبية التي تمارس ضدها فهي نتيجة المفاهيم التربوية والاجتماعية السلبية الخاطئة التي يتم إبساها لبوس الدين، والتي عملت على الإساءة لها ولحقيقة دورها وإنسانيتها في أماكن كثيرة من العالم.

قلة الأبحاث والدراسات عن المرأة العربية

دائماً كنت أتساءل: لماذا لا توجد دراسات وأبحاث عادلة وحقيقية تتحدث عن المرأة العربية والمسلمة بعدل وإنصاف؛ مراعية الخصوصية الاجتماعية والدينية لها؟! بدل تلك الدراسات الوهمية والآراء الشخصية المتحيزة التي تُعمّم عنها لتظلمها وتصنفها ضمن فئات الأقل حظاً والتي ترد ذلك غالباً لدينها؟! للأسف، حتى التقارير العربية التي تُكتب عن المرأة، تُظهر سوء الأوضاع الأسرية والاجتماعية التي تعيشها النساء غالباً في مجتمعاتنا العربية. رغم أن الأمور ليست كذلك على مطلقها، وأنه توجد الكثير من النساء المسلمات المتعلمات والخبيرات الحاصلات على شهادات عليا في كل المجالات العلمية والعملية، وهذا يدل على أن الدين ليس سبب ظلم المرأة وتخلفها، كما يتم الترويج لذلك إعلامياً؛

فالمرأة قديماً وقبل الإسلام وفي حضارات وديانات الشرق والغرب، كانت تُعامل بكثير من الاحترام والظلم لها والإساءة إليها، ولم يكن دورها يزيد على كونها أداة جنسية لإشباع احتياجات الرجل ورغبته، وكانت سلعة للبيع والشراء والتوارث كأى متاع. وفي قصص التاريخ ما يدل على هذه المكانة التي عاشتها المرأة بشكل عام.

وعلى الرغم من ذلك، كانت المرأة آلهة عند الرومان واليونان، وكانت ملكة حكمت العالم كملكة سبأ بلقيس وملكة تدمر زنوبيا، وكليوباترا عند الفراعنة، وملكات في العصور الوسطى، وكانت منهن أمهات المؤمنين الصالحات العظيمات القدوات اللاتي اعتزّ بهن الإسلام وبدورهن ومكانتهن كأمهات وبنات وزوجات وأخوات وعمات وخالات، وضمن لهن حقوقهن المادية والمدنية والأسرية والمعنوية وحياتهن الكريمة منذ الطفولة إلى الموت.

وما تزال المرأة حتى يومنا هذا تتبوأ مكانة تختلف في مكانتها وأهميتها وتقديرها حسب المجتمعات المختلفة وحسب المفاهيم الاجتماعية السائدة والقوانين الوضعية التي تحمي حقوقها المدنية. فكل هذه الحقوق التي تحصل عليها المرأة في الإسلام يجب أن يُعترف بها مقابل عدم ربط الإسلام بالتطبيق الجاهل للدين بحق المرأة؛ لأن المرأة في جميع أنحاء العالم وفي معظم الثقافات الشرقية والغربية تتعرض للظلم والاضطهاد والعنف؛ لذلك فمن العدل ذكر هذه الحقائق عند التحدث عن المرأة المسلمة.

العمر مجرد رقم

نولد في هذه الحياة، ونحتفل بسعادة وفرح كلما مرَّ عام وتقدم بنا العمر. عندما كنا أطفالاً كنا نتألم ونحزن عندما لا يتذكر أعياد ميلادنا أحد. كنا ننتظر ذلك اليوم بفرح وسعادة؛ فقد كانت أبسط الهدايا تسعدنا، ومجرد تذكّر عيد ميلادنا يعني لنا الكثير.

مرت الأيام وكبرنا، وكلما تقدمت بنا الأعوام، صرنا نخاف من الأرقام؛ لأننا أدركنا بأن هذه السنين هي عمرنا وأيامنا التي تمضي إلى غير رجعة، وكلما مرت الأعوام اقتربنا من علامات كبر السن والتقدم بالعمر وما يرافق ذلك من تغييرات صحية وفسولوجية ونفسية وعقلية وفكرية، واقتربنا أيضاً من الموت أكثر.

أذكر أن الزمن الذي كبرنا به، كان يوحي بأن المرض والموت يرتبطان أكثر بكبار السن كالأجداد. وكان التسلسل الزمني أو العمري هو القانون الذي نسير عليه أو هكذا بدا لنا الأمر؛ فالابن الأكبر والابنة الكبرى يتحمل كل منهما معظم المسؤوليات، كما أن كلاهما يتزوج أولاً، والأبناء الأكبر سنّاً يحصلون على الأشياء أولاً، وتسلسل بعدها للأبناء الآخرين... هكذا كانت مفاهيم المجتمع، وربما تعلق الأمر بإمكانياتهم التي حكمتها الظروف المحيطة بهم.

كبرنا، ووعينا، وتغير تفكيرنا ونضجنا وأدركنا بأن الموت لا يفرّق بين كبير وصغير، وإنما هي آجال محددة لقوله تعالى: (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ مُّسَدَّدٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) (الأعراف:34).

ولم يعد الأمر أن هذا هو الأكبر أو هذا هو الأصغر في العائلة؛ لأن من يتحمل المسؤولية قد لا يكون الأكبر؛ فالمسؤولية لم تعد ترتبط بالعمر؛ بل بالقدرات العقلية والفكرية والمالية، ولم يعد يهمنا من تتزوج أولاً من الأخوات، الكبيرة أم الصغيرة؛ لأننا أدركنا أن الزواج (نصيب)، ومن (يأتيها نصيبها) تتزوج أولاً، وقد لا يكتب الله للبعض منهن الزواج. وأدركنا بأن أمور الحياة لم تعد تسير بالتسلسل المنطقي الذي كان متعارفاً عليه سابقاً.

فالمناطق المتعارف عليه سابقاً، لم يعد يصلح لهذا الزمن فكل شيء فيه قد تغير، وأدركت بأن العمر الذي يمضي هو سنوات عمرنا، وأن أجسادنا مجرد وعاء لأرواحنا وقلوبنا وأعضائنا وأجهزتنا الداخلية التي تتعب وتستهلك مع التقدم بالعمر والمرض. صحيح أن الجسم يكبر ويهرم ويتعب مع التقدم بالعمر كما تقتضي سنة الله في خلقه، ولكنني أيقنت بأن الروح التي في الجسد يفترض ألا تكبر أو تهرم أو تشيخ متى مُثِّت بالرضى والإيمان والحب والسلام. لأن الروح الحية والتفكير قادران على عكس التقدم بالزمن بطريقة التفكير وطريقة النظر للحياة من جانب أكثر اتساعاً ووعياً وفهماً.

وأدركت بأن العمر مجرد رقم؛ فقررت أن يتوقف عمري عند سن الخامسة والعشرين منذ سنوات طويلة لأستمر في الحياة بأمل وتفاؤل! لأن الشعور الداخلي هو المهم؛ لذلك عندما أنظر إلى المرأة لا أتوقف طويلاً على خطوط الزمن الذي رُسمت حول عيني؛ حيث قررت أن أتجاهلها وأنظر إلى بريق عيني المليء بالأمل والتفاؤل وحب الحياة. كما قررت أن أتجاهل الكثير من الآلام التي أشعر بها بسبب التقدم بالعمر أو المرض مقابل أن أعيش بفرح وأمل وتفاؤل.

وعندما نظرت حولي، وجدت أن من هم أصغر مني سنًا يعيشون أعماراً أكبر بكثير من أعمارهم الحقيقية بسبب طريقة تفكيرهم، ووجدت أن الموت لا يتسلل إلينا حسب العمر الزمني، وإنما يتسلل تدريجياً إلى القلوب والأرواح ليميتها قبل أوانها.

وهكذا تقوم فلسفتي الخاصة على أن العمر مجرد رقم، وإن كان هذا الرقم قد وضعوا لنا بداياته في شهادات ميلادنا، فلن نعيش دقيقة واحدة زيادة عن أقدارنا وأعمارنا؛ لذا قررت التوقف عند سن الخامسة والعشرين، وأن أعيش حياتي بسلام وتصالح مع الذات وحب للحياة والآخرين، وفي نفس الوقت أستعد للرحيل متى حضر أوانه؛ فأنا لا أريد أن أشعر بأن العمر كان سبباً في منعي من العمل أو التمتع بالحياة.

القراءة والكتابة

بدأت حبي للقراءة والكتابة منذ الصغر. ربما يكون حب القراءة والكتابة متلازمين بالنسبة لي؛ فمنذ الطفولة كنت أقرأ الكتب في المكتبة التي كانت توجد في غرفة إخوتي الشباب الأكبر سنًا الذين يحبون القراءة. ثم انتقلت لاستعارة الكتب من مكتبة المدرسة في الإعدادية والثانوية وحصلت على عدد من شهادات التقدير في القراءة. أما بالنسبة للكتابة فقد عُرف حبي وإجادتي لها عندما كنت أكتب مواضيع الإنشاء لمادة اللغة العربية، ولم أكن أكتب لنفسني فقط؛ بل كان يطلب مني إخوتي والأصدقاء مساعدتهم في كتابة موضوعات الإنشاء وعمل الأبحاث المدرسية لهم.

القراءة بالنسبة لي غذاء للروح والفكر من ناحية، وتزيد من معلوماتي العلمية والأدبية والفكرية من ناحية أخرى، كما تزيد من القدرات اللغوية والقدرة على الكتابة من ناحية ثالثة. في الوقت الذي كان الكتاب والمكتبة وما بداخلها من كتب ومجلات ودوريات تشكل مصدر المعرفة شبه الوحيد، وعندما لم تكن تكنولوجيا المعرفة منتشرة كما هي الآن.

كنت أتطوع في مكتبة المدرسة خلال استراحة المدرسة بين الحصص التي تستمر ثلاثين دقيقة لمساعدة الطالبات على استعارة الكتب وتسجيلها، في نفس الوقت الذي أبقى على تواصل مع الكتب والمكتبة. وفي مرحلة البكالوريوس في الجامعة الأردنية، كنت أتطوع للعمل بالمكتبة في قسم الفهرسة والتصنيف مقابل نصف دينار أو دينار في الساعة حتى لا يضيع وقت الفراغ بين المحاضرات بدون عمل مفيد.

بعد دخولي الجامعة بدأ حبي للكتابة يزداد، ليس لكتابة مواضيع الإنشاء ولكن لكتابة المذكرات والموضوعات والتي نُشر جزء منها في جريدة الدستور من خلال المشاركة في الكتابة وعمل (الريورتاج) في الصفحة المخصصة للجامعة الأردنية والتي كانت الإعلامية "محاسن الإمام" مسؤولة عنها في ذلك الوقت. كما كنت أكتب فقرة خاصة باسم "صفحة من مذكرات طالبة" أناقش فيها موضوعات مختلفة.

ثم بعد ذلك بدأت النشر في مجلات مختلفة هنا وهناك، وكانت أكثر كتاباتي في مجلة الفرقان الأردنية التابعة لجمعية المحافظة على القرآن الكريم، في الفترة ما بين 2005-2016 بانتظام تقريباً، وحتى اليوم أشارك بموضوع بين وقت وآخر في "الفرقان" وأقدم الرأي النفسي والاجتماعي لموضوعات يتم طرحها عليّ.

وكان أول كتاب شاركت في كتابة صفحات منه، حين طُلب مني أن أكتب موضوع (المرأة والسياسة)، وذلك بعد تخرجي من الجامعة بأيام وحين قُبلت للعمل في وزارة العمل / دائرة شؤون المرأة، وكان الكتاب باسم المرأة الأردنية، وصدر عام 1979، بالتعاون مع دائرة المطبوعات والنشر ومع دائرة شؤون المرأة آنذاك.

تخصصي الدراسي

لم يكن التعليم يشكل لي تحدياً كبيراً؛ لأن الوالد والوالدة - رحمهما الله - كانا يشجعاننا على التعليم. فقد أتم والدي المرحلة الإعدادية والوالدة المرحلة الابتدائية والذي كان يعتبر تعليماً جيداً في ذلك الوقت الذي عاشوا فيه، ورغم زواجهم في سن صغير وكبر عددنا إلا أنهما حرصا على تعليمنا جميعاً على الأقل حتى الثانوية العامة، وأكمل غالبيتنا الدراسة الجامعية.

فبعد نجاحي في الثانوية العامة، لم أجد ممانعة من والدي لدخول الجامعة الأردنية، في وقت لم يكن التعليم الجامعي بالنسبة للفتيات من الأولويات حينذاك؛ إذ كان الزواج أولوية بعد الثانوية، ورغم تقدم

الكثيرين لخطبتي، إلا أن أبي لم يرغبني على الزواج أبداً، ويبدو أنه ترك الأمر لي ضمناً لاتخاذ القرار بنفسي؛ خاصة أن أخواتي الثلاث اللاتي يكبرنني تزوجن بعد الثانوية العامة كعادة المجتمع في ذلك الوقت. وبالنسبة لي كان أبي من الداعمين لإكمالي التعليم الجامعي؛ بل قد وفر لي الإمكانيات لذلك، وكان واثقاً بي بدرجة كبيرة، وأذكر أنه كان يحذرنني ويطلب مني أن أنتبه لنفسي وسمعتي، وكان يقول لي: تذكرني (ابنة من أنت)، ويطمئن على دراستي فقط. وهذا أعطاني الثقة بالنفس وقوة الشخصية اللتين تميزت بهما خلال مراحل حياتي اللاحقة.

لذلك لا أذكر أن والدي تدخل في اختيار تخصصي، ولكن في الحقيقة جاءت دراستي للعلوم السياسية بداية لأنه تم قبولي بكلية الاقتصاد والتجارة والتي كان أحد فروعها العلوم السياسية. وبما أنني لم أكن من محبي الرياضيات والمواد العلمية فقد اخترت الفرع الأدبي في المرحلة الثانوية. وكان أقرب شيء لاهتماماتي هو دراسة العلوم السياسية، وبما أنني أميل للعلوم الإنسانية فقد اخترت التخصص الفرعي في علم الاجتماع. وعندما رغبت في إكمال الماجستير في تخصص علم النفس عام 2002. دراسة هذه العلوم ساعدتني على فهم وتفسير الظواهر والسلوك الإنساني والطبيعة البشرية، فهذه الموضوعات الثلاثة مترابطة ولا يمكن فصلها بالنسبة للإنسان وسلوكه؛ لأنه يتأثر ببيئته المحيطة ويؤثر بها، ومن خلال تعرفي على النفس الإنسانية وطريقة التفكير والأمراض والاضطرابات التي يعاني منها الإنسان، وكيف تؤثر الأسرة عليه ويتأثر بها، وأثر ذلك على المجتمعات، ساعدني كل ذلك على التعامل مع الحالات المرضية التي كنت أتعامل معها كأخصائية نفسية، أو عندما عملت مع اللاجئين بين الفترة 2004-2016، سواء في عمان أو في مخيم الزعتري. فتنوع العلوم التي درستها أعطاني صورة أوضح وأوسع عن السلوك البشري. ووجدت أننا لا نستطيع أن نعالج المرضى أو الاضطراب النفسي بمعزل عن الأسرة والبيئة اللذين قد يكونا مصدرين وسببين لهذه الاضطرابات بداية.

تحديات العمل

خلال سنوات عملي، لم يكن يخلو الأمر من التحديات لإثبات الذات في مكان العمل أولاً، ولتجنب الوقوع تحت سيطرة وتأثير الموظفين السابقين التي تريدك أن تكون ضمن مجموعتها ثانياً، وللحفاظ على مستوى متميز في الأداء ثالثاً.

أذكر أنه في بداية حصولي على عمل لدى دائرة شؤون المرأة في وزارة العمل، بعد تخرجي في الجامعة بعدة أيام، كان عليّ أن أقوم بعمل زيارات ميدانية لجمع المعلومات؛ حيث كانت الدائرة بصدد

إصدار كتاب عن المرأة في الأردن، وكنت أشعر بارتياح بهذا العمل؛ خصوصاً أن مديرتي في العمل كانت متفهمة جداً لعملي. ولكنني بعد ذلك اضطررت للانقطاع عن العمل لسنوات بسبب الزواج والتفرغ للأسرة والأبناء. وبعد عشرين سنة من الانقطاع، عدت إلى ميدان العمل كأخصائية نفسية في إحدى المؤسسات الحكومية بعد أن أكملت درجة الماجستير.

ثم تنقلت للعمل في عدة منظمات دولية؛ حيث اختلفت طبيعة عملي لتأخذ الطابع الإداري التنفيذي والتدريبي لفريق، وكانت مهمتي غالباً تتمثل في إدارة فريق من الذكور والإناث من مختلف الأعمار والخلفيات الفكرية والثقافية والاجتماعية المتنوعة؛ وهذا الاختلاف بحد ذاته كان تحدياً. وقد واجهت عدة تحديات، وهي في نفس الوقت التحديات التي تواجه النساء العاملات بشكل عام:

أولاً: شعور بعض الزملاء الرجال بتعرض عملهم للخطر؛ حيث كان كثير منهم يرفضون أن تشاركهم امرأة العمل وتكون على مستوى تنافسي معهم. ولا أنكر أن هذا الصراع قد أصابني في بداية عملي بالتوتر؛ لأنني لم أكن أعرف طبيعة الصراعات الدائرة في مكان العمل؛ خاصة عندما تكون أنت العضو الجديد بين مجموعة من الزملاء القدماء؛ فإنه من الصعب أن تجد من يتعاطف معك أو يرشدك من ناحية، أو أن تُترك لك الفرصة لإثبات نفسك؛ فمعظمهم يحاولون السيطرة عليك، وإذا فشلوا في التأثير عليك وعلى قراراتك، تبدأ الدسائس والتحزبات التي قد تجبرك على ترك العمل والبحث عن عمل آخر إذا لم تكن الإدارة في مكان عملك مدركة لهذا الصراع الدائر بحيث تترك لك المجال لإثبات قدرتك وكفاءتك.

ثانياً: الوضع المعتاد في مفهوم العمل - ولا أدري إذا كان في بلادنا أو في العالم أجمع - أن يكون الرجل هو المسؤول، أما أن تكون امرأة مسؤولة عن الرجال؛ فهذا كان أحد تحدياتي أيضاً؛ لأن الرجال لا يفضلون أن تكون مديرتهم امرأة. كنت أعرف أن هذا لم يكن يروق للكثير من الشباب، وقد حاول البعض التمرد من أجل إضعاف سيطرتي وإدارتي للعمل، من خلال دفعي لأفقد السيطرة على نفسي وقراراتي وأفقد حزمي، ومن ثم أبكي أو أبديو بطبيعة نسائية ضعيفة أمامهم. كنت أدرك هذا التحدي وأعرف أنه لن يكون في صالحني أبداً؛ فبعض الشباب كان يستخدم أسلوب الصوت العالي والصراخ من أجل إخافتني لإشعاري بالضعف وعدم السيطرة.

هذا التحدي جعلني أنتبه وأختار أسلوب تعاملي معهم للحفاظ على حزم إدارتي للمجموعات التي أكون مسؤولة عنها؛ فتخصصي في علم النفس جعلني أفهم طبيعة الصراعات في مكان العمل والأشخاص، فكنت أحياناً أضطر لأن أخرج عن طبيعتي النسائية اللطيفة وأجبرهم على التخاطب

باحترام وأدب، وعدم إعطائهم الفرصة لإضعافهم أمام باقي أعضاء الفريق؛ فالحزم بديهة، وتناسق القرارات الإدارية، والتدريب، ووجود مخطط عمل واضح أمام الفريق، والمتابعة المستمرة، والتحفيز والتقدير، كل ذلك يساعد كثيراً في إشغال الموظفين بتنفيذ العمل المطلوب بنشاط ورغبة، بدل الانشغال باختلاق الصراعات.

ثالثاً: التخاطب بالألقاب في مكان العمل له ما له وعليه ما عليه، وأنا من أنصار التخاطب بالألقاب من أجل الحفاظ على درجة من المهنية وإيجاد الحواجز التي تضمن عدم رفع الكلفة في مكان العمل؛ ففي بلادنا عند التخاطب يقال للسيدة: (أم فلان) أو (خالتي). ولكني، ومن أجل الحفاظ على المهنية، كنت أرفض أن يناديني زملاء في مكان العمل بـ(أم يزن)؛ خاصة أنني كنت مسؤولة عن كثيرين ممن هم أصغر مني سنًا، فكانوا يخاطبوني (ست إكرام). وهذا اللقب حافظ على المهنية والخصوصية والاحترام بيننا. وكنت أبتسم لهم عندما كانوا يجدون صعوبة في عدم قدرتهم على استخدام الألقاب التي اعتادوا عليها، صحيح أنها من باب الأدب والاحترام ولكنها ليست ألقاباً مهنية. ومن الطريف أنهم حتى بعد تركي للعمل لا يزالون يخاطبوني بنفس الطريقة لأن.

رابعاً: أحياناً، تكون إدارة (النساء للنساء) تخلو من المهنية؛ فقد رأيت هذا في أماكن العمل التي عملت بها، فطبيعة عملي فرضت عليّ أيضاً أن يكون من بين مديريّ نساء، وهذا الأمر لم يكن يشكل لي مشكلة سواء كانت مديرتي أكبر أم أصغر مني سنًا؛ فهذه طبيعة العمل، وما يهمني هو أن أقوم بعملتي بمهنية واحتراف. أذكر أنني في أحد أماكن العمل تعرضت لمضايقات من قبل مديرتي التي كانت أصغر مني سنًا، وكانت تستمع لكلام زميلاتنا التي كانت تربطها بهن علاقة صداقة؛ فرغم أنني كنت أقوم بعملتي على أكمل وجه إلا أنها حاولت وضع العراقيل أمامي عدة مرات، وكانت رعاية الله تحميني في كل مرة، إلى أن ضقت ذرعاً بأسلوبها في مضايقتي واختراع الأسباب للنقد، وبعد حوار طويل بيننا سألتها: هل من الممكن أن أعرف ما الذي يضايقك في عملي؟ فجاءني جوابها صاعقاً: لأن الناس يعتقدون أنك أنت مديرة المشروع ولست أنا! عندها سألتها: وما ذنبي في ذلك؟! أنا أقوم بعملتي كمديرة تنفيذية، وأنا من أخالطهم في الميدان، ولم أدع يوماً أنني مديرة المشروع. أدركت أسباب تصرفها؛ التي تعود للطبيعة الأنثوية، ومنها خوفها على مكانها في العمل، ورغم أنني أحب طبيعة عملي التنفيذي، إلا أنها كانت سبباً في أن أبحث عن عمل آخر، والذي فتح لي أبواباً أخرى.

خامساً: إثبات الوجود وإدارة العمل بطريقة مهنية وجدية وحازمة، من التحديات التي واجهتني لسنوات؛ لأن طبيعة عملي كمديرة ومسؤولة عن فريق في أكثر من مشروع، كانت تجعلني في مواجهة مباشرة مع العاملين والمتطوعين ووضع البرامج المختلفة والتدريب عليها. فكنت أضع الحدود وأكون أول من يلتزم بها؛ لأنني أومن دائماً بالقدوة وأن القائد هو الذي يسير أمام الآخرين وليس

خلفهم، والذي يشجعهم ولا يدفعهم للعمل دفعاً، وقد حاولت تطبيق كل ما تعلمته في الإدارة على مستوى التخطيط والتنفيذ وغيرها.

وفي النهاية، ما كان يهمني خلال عملي هو أن أقوم به على أتم وجه وأكثر كفاءة، ورغم تميزي في الحزم في الإدارة إلا أنني أيضاً كنت عادلة في التعامل مع الآخرين، والحمد لله أن كانت التغذية الراجعة بعد ترك العمل رائعة؛ فجميل أن يخبرك من كنت تعمل معهم وتلقي بهم لاحقاً أنك تركت فيهم أثراً إيجابياً ولا تزال.

فأنا أحب العمل، والالتزام، وأحب طبيعة عملي المباشر مع الناس لأنها صقلت معرفتي الحقيقية بالناس وظروفهم وقدراتهم وطباعهم، وربما هذا أثر عليّ في اختيار النظريات الواقعية كأسلوب في العلاج النفسي؛ والتعامل مع الحياة، فنحن انعكاس لبيئاتنا وتربيتنا وثقافتنا التي تحدد شخصياتنا وسلوكنا شئنا أم أبينا، ومن الصعب أن تغير الآخرين إذا لم يكونوا مستعدين للتغير، وقد يحصل التغير المؤقت وليس الدائم الذي يعود بالأفراد إلى سابق عهدهم بزوال المؤثر.

الحجاب

لا أريد أن أناقش موضوع الحجاب من حيث هو فرض أو لا؛ فهو لا شك فرض كما جاء في قرآنا الكريم وتعاليم ديننا الإسلامي، ولكن هناك من يعارض حكم الدين من النساء وغيرهم، وخصوصاً في مسألة لبس الحجاب للنساء؛ بل ويهاجمون الدين والمحجبات، ويجعلون من ذلك قضية للنقاش لاستفزاز الآخرين وتبرير رفضهم للحجاب؛ بل وإعطاء رفضهم نوعاً من الشرعية والقبول. فهناك مبدأ لنابليون بونابرت وهو: الهجوم خير وسيلة للدفاع. وهذا المبدأ استخدمه كثيرون للهجوم على المحجبات والحجاب، وفي العلاقات سواء على المستوى الشخصي أم بين الدول. خلال نشأتنا، تربى معظمنا بين أسر ملتزمة إلى حد كبير، والالتزام لم يكن يعني لبس الحجاب في ذلك الوقت فقط، وإنما لبس الملابس المحتشمة الساترة لمعظم الجسم، والتي كانت تتماشى مع موضة ذلك الزمن، بالإضافة إلى الاحتشام والالتزام بالسلوك الحسن والآداب العامة، رغم وجود أنماط أخرى من الملابس والأزياء.

كانت لدي ميول لارتداء الحجاب قبل الثانوية، ولم يكن هناك أحد يجبرني أو يمنعني من لبسه، ولكنني كنت بحاجة لتلك الدفعة الدينية التي تضعني على الطريق الصحيح بهذا الخصوص، ولم يتسن لي أن أجد تلك الدفعة إلا بعد أن تزوجت وسافرت إلى أمريكا، وبعد أن أنجبت إبني الثاني.

ففي الغربة نكون أمام خيارين لا ثالث لهما، الأول: أن تندمج في غربتك كلياً وتكيف وتذوب في المجتمع الجديد الذي تعيش فيه، فلا تعود تملك هويتك التي سافرت بها وتركت وطنك وأنت

تحملها، وهذا خيار يختاره من يريد إغلاق باب العودة إلى الوطن. والخيار الثاني: هو اختيارك الحفاظ على الهوية الأصلية وأصلك الذي أتيت منه والمحافظة على عادات قومك وتقاليدهم ولغتهم ودينهم، مع محاولة التكيف والاندماج مع المجتمع الجديد بدون الذوبان والانصهار فيه. وهذا الخيار له أيضاً سلبياته التي تكون مرهقة للأفراد إذا لم يكن هناك تجمّع يدعمون بعضهم بعضاً من خلاله.

وبالنسبة لي، لم يكن خيار الذوبان في المجتمع الجديد هو ما أريد؛ فقد أردت أن أحافظ على هويتي الدينية والثقافية قدر الإمكان؛ خاصة وأنا قد أصبح لدينا بنت وولد، ورعايتهما وتوجيههما في الغربية أصبح مهمة صعبة.

كعادة كل الأقليات في جميع أنحاء العالم، فإنهم يحاولون التجمع في أماكن محددة، وفي دور العبادة أو المساجد أو من خلال إقامة الاحتفالات الدينية والثقافية والاجتماعية لإيجاد أجواء شبيهة بأجواء الوطن لأننا نهم للحفاظ على هويتهم وعاداتهم وتقاليدهم وهذا وضع طبيعي جداً. وقد كانت النشاطات التي نقوم بها سبباً في إيجاد تلك الدفعة التي كنت أبحث عنها لتقربني من الله. وبالفعل، كانت الغربية سبباً في زيادة اطلاعي على أمور ديني والقراءة ومشاركة الأبناء في البرامج التعليمية التي نضعها لهم يومي السبت والأحد؛ وهي عوامل سهلت لي ارتداء الحجاب وأنا في بلاد الغربية.

وهذا الالتزام بلبس الحجاب لم يمنع الكثيرين من النظر إليّ نظرات استغراب كنت أفتخر بها. فكان البعض يستوقفني في المحلات التجارية لسؤالي عن الحجاب والخوض في نقاشات عن سبب تغطية الرأس. وكنت أسعد بهذا النقاش معهم لبيان وجهة نظر الدين التي تزيل بعض التساؤل والشك عندهم. في حين كان ولا يزال آخرون ينظرون إلينا نظرات الشك والاستغراب والخوف أحياناً؛ رغم أنهم قد اعتادوا وجودنا بينهم؛ ومع ذلك أجعل ابتسامتي وإلقائي التحية دائماً تسبقني في النظر إليهم؛ فمنهم من كان يرد الابتسامة بابتسامة ومنهم من يتجاهلها.

فلم يكن الأمر يهمني؛ لأنني أعتبر هذه حرية شخصية يجب أن تحترم، كما أحترم أنا لابسهم وقناعاتهم. ولبسي المحتشم لا يختلف عن لبس الكثير من المجموعات الدينية، وغطاء رأسي يحجب شعري عنهم ولكنه لا يحجب عقلي عن التفكير والفهم والتعاطف ولا يمنعني من التعلم والعمل وممارسة حقوقي الأخرى كاملة.

وعندما عدت إلى الأردن، وأنا اتحدث عن مرحلة تزيد عن الثلاثين عاماً ولم يكن لبس الحجاب قد انتشر كما هو الآن، ولم يتوقع الأهل والأصدقاء أن يروني أرثدي الحجاب، فألقى البعض منهم تعليقات ساخرة لم أكن أتوقعها، ولكن ما كان يهمني هو سعادة أُمي بحجابي، أما أبي فكان قد توفي وأنا

في غربتي ولم يرني بالحجاب. ومما أسعدني كثيراً أنني كنت قدوة لأخريات من الأسرة، فلحقتني ابنتي وأختي الصغرى ولبستا الحجاب، وأصبح الأمر سهلاً على بقية الشقيقات وبناتهن وبنات أشقائي. لا أنكر بأن الحجاب كان سبباً في عدم حصولي على بعض الأعمال؛ خاصة تلك التي تتطلب أن تكون فيها المرأة سلعة لإنجاح العمل، أو التي تتحدث عن حرية المرأة وكأنها ربطت حرمتها بالحجاب فقط وتناست أشياء لا تقل أهمية؛ فخلال نقاشي على غداء عمل ذات يوم مع مجموعة من النساء من إسبانيا، أمريكا، الهند، إيطاليا، ورومانيا، اكتشفت أن التحديات الاجتماعية التي تواجهها المرأة هي نفسها تقريباً في جميع أنحاء العالم.

وأن التغيرات التي تقوم بها المرأة في شخصيتها وطباعها وقراراتها تكون مضطرة لعملها من أجل الحفاظ على شخصيتها وكيانها الداخلي وحقوقها والهروب من الظلم والعنف التي تتعرض له من المجتمع أو الأسرة أو خلال الزواج أو مكان العمل.

أذكر أنني تقدمت للعمل في أحد المعاهد الدبلوماسية، فاتصل بي مدير المعهد وطلب أن أذهب للمقابلة خلال ساعات بدون تخطيط مسبق؛ حيث إن مؤهلاتي تتطابق مع الوظيفة التي تقدمت لها. اعتذرت بأنه لا وقت لدي للذهاب للمقابلة وأني بحاجة لوقت أطول للوصول إلى المعهد. فأخبرني المدير بأنه سوف ينتظرنني، فقررت الذهاب؛ حيث بدا كل شيء جيداً خلال المكالمة.

وعندما وصلت إلى المعهد، ورآني المدير أرتدي الحجاب، بان الامتعاض وعدم الرضى على وجهه، ولم تستمر المقابلة لأكثر من خمس دقائق؛ حيث ادّعى أن الحجاب لا يتناسب مع طبيعة العمل الذي تقدمت له. أبدت تفهمي مع عدم قناعتي بتبريره، وشعرت بالراحة؛ فالأرزاق بيد الله في النهاية، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه.

إنني سعيدة وراضية بحجابي، وبما يفرضه عليّ التزامي به؛ فأنا أحترم ديني وأحترم نفسي، وأتمنى أن لا يتم الحكم علينا وعلى قدراتنا الفكرية والعملية والعلمية من خلال الحجاب أو الظاهر؛ لأننا يفترض أن نتعامل مع جوهر الناس وقدراتهم وكفاءتهم لا أشكالهم أو مظهرهم الخارجي. ولكن للأسف، إننا نتعامل غالباً بظواهر الأمور لا ببواطنها وحقيقتها.

موضوعات لا يتم التحدث عنها غالباً

على الرغم من أهمية بعض الموضوعات والقضايا في حياتنا، إلا أنه لا يتم تناولها والحديث بشأنها بأريحية، ولا تعطى حقها من الطرح والتحليل، وقد يتم البحث فيها بصورة فردية، ومنها:

المراهقة: رغم أنها مرحلة نمائية طبيعية يمرّ بها الذكور والإناث على حدّ سواء، إلا أن كثيراً ممن يمرون بها لا تكون لديهم فكرة واضحة عن التغيرات التي تعترضهم أو كيفية التعامل معها. صحيح أن الأوضاع تغيرت إلى حدّ ما، ولكن لا تزال هناك بينات اجتماعية يعاني فيها المراهقون ويتخبطون جرّاء عدم المعرفة والفهم الحقيقي لما يمرون به من تغيرات، وقد يتم الحديث فيما بينهم حول هذا الموضوع عبر تداول كلمات سوقية.

قد يقول البعض: إن الزمن قد تغيّر ولدي المراهقين من المعلومات الكثير. أقول لكم: نعم تغيّر، ولكن لا يزال الأهل يتردّدون في الحديث مع أبنائهم عن هذه الموضوعات ويتحسّسون في الإجابة على تساؤلات أبنائهم بصورة وافية وصحيحة. لأن وعي الوالدين الحقيقي مهم جداً في كثير من مراحل حياة الأبناء ومنها هذه المرحلة الحسّاسة.

وخلال عملي في الاستشارات النفسية، تفاجأت بالاعتداءات التي يمارسها المراهقون على بعضهم بعضاً وعلى الأطفال، في محاولاتهم لفهم التغيرات الفسيولوجية التي تحصل معهم بسبب غياب الرقابة الوالدية مما يؤدي إلى انحرافهم وضياح هويتهم الجنسية.

الزواج: هو من الأمور التي تُقدّم عليها بدون معرفة حقيقية بطبيعته ومسؤولياته والتزاماته في الغالب؛ فالإشباع الجنسي والإنجاب يُعدّان من أسباب الزواج وليس كلها. في بلادنا الشرقية لا يعرف الكثيرون عن طبيعة الزواج ومراحله ومسؤولياته والالتزامات والتضحيات التي عليهم القيام بها. لذلك يتعرّض الأزواج بعد أشهر الزواج الأولي لصدمات جرّاء المسؤوليات التي يجدونها أمامهم، وسرعان ما يكون الطلاق هو الحل بسبب التوقعات الخاطئة من الزواج ومن الشريك.

بداية، يُقدم الشباب على الزواج لإشباع احتياجاتهم الجنسية؛ معتقدين أن الحب هو العنصر الوحيد الذي يقوم عليه الزواج. ومع مرور الأيام وزيادة المسؤوليات تتغير المشاعر والاحتياجات ومع التقدم في العمر وفي مراحل الزواج، وما يلبث الأزواج أن يصابوا بالملل بسبب عدم معرفتهم بالتغيرات التي تصيب العلاقات الزوجية مع الوقت، وتبدأ الخلافات الزوجية بالظهور؛ فكلُّ لديه توقعات غير حقيقية في موضوع الزواج وعن واقع وحقيقة الشريك.

فالنضج، والوعي الفكري، والوعي المعرفي، عوامل مهمة عند الإقدام على الزواج، أقول هذا لأن حالات الاستشارات الزوجية والقصص التي أسمعها من الأزواج تدل على عدم وجود الوعي المسبق

عن الزواج ومسؤولياته بالإضافة للمشكلات الشخصية التي يعاني منها الأزواج والتي تنعكس على علاقاتهم بأزواجهم.

هناك حقيقة لا يدركها الكثير من الأزواج بأن المثالية في الحياة غير موجودة وبالتالي فلا يوجد زواج مثالي ولا يوجد أزواج مثاليون، ولا توجد حياة مثالية، ولكن يوجد أزواج ناضجون وواعون ومدركون لحقيقة الزواج، ومدركون لاحتياجاتهم وأهدافهم من الزواج، ومدركون لطباعهم وميولهم، وواقعيون في توقعاتهم من الزواج، وراغبون في التفاهم مع أزواجهم لإنجاح الزواج. ويعملون على إنجاح علاقاتهم بأزواجهم، فلا يوجد زواج ناجح يتحقق فيه الرضى للطرفين بدون تعب وجهد منهما. يتسبب عدم الوعي والنضج بمراحل الزواج مع اختلاف الفهم والوعي بين الزوجين بتصاعد الخلافات الأسرية التي تسبب بالأضرار للزوجين وللأبناء على حدّ سواء. لان الفهم الخاطى والتوقعات من الزواج والشريك من أشدّ الأخطاء التي يقع فيها الزوجان، والتي تسبب في زيادة الخلافات أو تعدد الزواج أو العزوف عن الزواج أو الخيانات، وكلها انعكاسات لعدم الوعي والنضج للزوجين. قد يتساءل القارئ: وما الحل؟ للأسف، لا يكمن الحل في حبة دواء سحرية وإنما في تغيير المفاهيم وأساليب التربية الأسرية أولاً، وفي وجود الآباء الواعين وتغيير نمط التفكير والتوجيه ونشر الوعي والعلم والمعرفة، بمعنى إعادة تأهيل المجتمعات من جديد. ولنبدأ بالوعي الفردي أولاً.

الحياة بعد الأربعين: كثير من أمور الحياة نأخذها كأمر مسلمّ بها؛ لذلك لا نكون مستعدين للتعامل مع التغيرات المرافقة لها. وبما أن أعمارنا مراحل عمرية، ولكل مرحلة احتياجاتها وتحدياتها، فإن احتياجاتنا أيضاً تتغير بسبب التقدم في العمر، وأنا أتحدث عن تغيير الاحتياجات النفسية والاجتماعية والصحية كلما تقدمنا في العمر وخصوصاً بعد الأربعين؛ فنحن لا نستطيع السيطرة على التغيير البيولوجي والتغيرات الداخلية لأجسامنا لأنها تسير بصورة لا قدرة لنا عليها، وإنما نستطيع التأثير عليها لتحسين نوعيتها وتأخير ظهور علامات التقدم في السن من خلال التغذية الصحية والرياضة وممارسة العادات الصحيحة في الحياة، ولكن التغيير النفسي والفكري وتغيير الاحتياجات هو ما نستطيع السيطرة عليه بتغيير نمط حياتنا وتفكيرنا.

فنحن بحاجة لنشر الوعي بخصوص هذه المرحلة حتى نستطيع الاستعداد والتكيف وتخطي المرحلة بنجاح؛ خاصة أنها قد تترافق مع الأمراض، وفقدان الشريك، ورحيل الأبناء، والتقاعد وغيرها. وعلينا التخطيط المسبق بوضع خطط خاصة بنا نحقق من خلالها أهدافنا وطموحاتنا المؤجلة للعيش بسعادة ورضى عن النفس والذات وإيجاد السلام الذاتي في هذه المرحلة العمرية.

التعبير عن المشاعر: لم تتعلم المرأة التعبير عن مشاعرها وافكارها للحصول على حقوقها إلا بالبكاء؛ لأنها لم تتدرب على غير ذلك، وقد تعبر بالصمت والانسحاب. في مقابل ذلك، يقوم الذكور باستخدام القوة والعنف للحصول على ما يريدون أحياناً، بسبب أساليب التربية التي يتعلمها الأبناء منذ الطفولة.

ورغم تشابه صفات المرأة وغرائزها وطباعها واحتياجاتها، إلا أنها تختلف في بعض تفاصيلها بسبب الاختلافات في طبيعتها الشخصية والبيئة التي تربت فيها، والطريقة التي تم التعامل بها معها خلال تنشئتها.

فمشاعر المرأة ترتبط بتغير الهرمونات خلال حياتها؛ فالمرأة عاطفية، تتحكم بها مشاعرها غالباً، حنونة مضحية، تنفعل بسرعة، مُتقلبة مزاجية؛ لذلك فإن معظم قراراتها الخاطئة ومشكلاتها تكون خلال فترة تغير الهرمونات لديها. وفي المقابل، متى ما نضجت المرأة وعرفت طبيعتها وطبيعة التغيرات، يمكنها التعامل مع نفسها والتعبير عن مشاعرها بصورة أكثر نضجاً وموضوعية وواقعية.

أحد المفاهيم الخاطئة عند النساء أن الزواج والأمومة تعينان أن تتخلى المرأة عن حياتها وشخصيتها واهتمامها بنفسها، والاكتفاء بالسير في فلك الزوج والأبناء؛ لذلك عندما تكبر في السن، تكتشف أنها ضحّت وأهملت نفسها من أجل زوجها وأبنائها، وقد تُصاب بخيبة الأمل عندما تسمع وتعاني من عدم التقدير والشكر لتضحياتها خلال تلك السنوات التي مضت من عمرها، خاصة انها لم تعد قادرة على إعادة شريط الزمن إلى الوراء لتصوت ما فقدت وضاع منها؛ فقد أضاعت شبابهها وسنوات عمرها في مفاهيم خاطئة وتضحيات لم يكن هناك مبرر لها.

حوارات عابرة

في جعبتي الكثير من القصص والحكايات والحوارات، بعضها لأشخاص أعرفهم، وبعضها لآخرين لا أعرف أسماءهم ولا أي شيء عنهم. كتلك الحوارات التي تجمعنا مع راكب في طائرة أو قطار أو مع سائق سيارة أجرة أو على محطة انتظار في مكان ما.

أحب تلك الحوارات؛ لأنها غالباً ما تكون صادقة وتخرج من القلب وتعبر عما فيه بدون تجميل أو تزييف للحقائق؛ لأن كلا الطرفين ليسوا مضطرين للكذب أو لتجميل أو تغيير الحقائق؛ فنحن بداية لم نتعرف إلى بعضنا بعضاً، ولم يسأل أحدهما الآخر عن اسمه أو أي معلومات عنه، هي فقط لحظات أو ساعات جمعتنا ونريد أن نملاً بها الوقت ونقطع ملل الانتظار بأي حوار تقودنا إليه الأحداث التي تحصل حولنا.

قد يبدأ الحوار بالتساؤل عن الأزياء التي نلبسها، أو (كم الساعة)، أو هل أنا أقف على المحطة الصحيحة. وكم كنت أستغرب من حاجة الناس للتحدث للآخرين بسبب الوحدة التي يعانون منها في حياتهم؛ فمنهم من قصّ لي قصصاً من حياتهم، ومنهم من كان يرغب بالحوار للتعرف عليك لمجرد أنك شخص مختلف في اللبس أو اللغة أو بدافع الفضول، ومنهم لا يرد عليك التحية أو حتى الابتسامة. غالباً ما أخوض الحوارات بحذر؛ فقد تريننا وربينا أبناءنا على قاعدة السلامة الأولى وهي عدم التحدث مع الغرباء، ما زلت أطبقها في حياتي، مع الأخذ بعين الاعتبار ما يقوله لي إحساسي عن الشخص الذي يحدثني، فإذا لم أشعر بالراحة لسبب ما، أستمع إلى ذلك الإحساس الذي اعتبره صمام الأمان في حياتي.

أعرف أن الإنسان اجتماعي بطبعه، ويحب التحدث للآخرين، وأعرف أن طبيعة الحياة والثقافات المختلفة فرضت على الناس العزلة والوحدة والخوف من التعامل مع الآخرين. ومع هذا وفي لحظة ما، يشعر كل إنسان أنه بحاجة لأن يشارك مشاعره وأفكاره مع شخص ما حتى لو لم يكن يعرفه. وقد وجدت أن التحدث في حوار عابر مع شخص غريب أكثر راحة من التحدث لشخص تعرفه أحياناً؛ لأن الشخص الغريب لا يعرف من أنت من ناحية، ولن يعطيك رأيه أو يحكم عليك من خلال ما تقول من ناحية ثانية؛ فهو مجرد حوار بين غرباء ثم يمضي كل منا في طريق، واحتمال تجدد اللقاء سيكون شبه مستحيل لأننا لم نتعارف بداية.

ومن أغرب الحوارات التي خضتها كانت مع مهندس متقاعد في السبعين من العمر، كنا نجلس في قاعة انتظار في المطار لرحلة داخلية في أمريكا، ولمدة نصف ساعة، تحدثت عن نفسها وعمرها، ومرضاها وكل ما كانت تريد التحدث عنه وأنا أستمع لها وأشاركها الحديث بين الوقت والآخر، ولكن العبارة التي أحزنتني أنه عندما كنا نستعد لدخول الطائرة قالت لي: أشكرك لسماحك لي بالتحدث معك، فهذا أطول حديث أقوم به منذ أسبوعين؛ فلا أحد يتصل بي أو يسأل عني من أقاربي؛ فأنا لم أتزوج وليس لديّ أبناء!!!

كان يا ما كان

كان يا ما كان، كنا أولاداً صغاراً، نلعب في الشارع وتنسلق الشجر والحيطان، نضحك من كل شيء وعلى لا شيء، كبرنا وتغير الزمان.

يمكن أن ألخص قصة حياتي فأقول: إنني عشت طفولة وحياة عادية وسعيدة، كبرنا وصارت حياتنا مليئة بالتحديات، رغم صعوبة بعض التحديات التي مررت بها، إلا أنني أستطيع أن أصف نفسي بأنني إنسانة اجتماعية، واقعية، متفائلة نشيطة، محبة للخير والمساعدة، وسعادي في إسعاد الآخرين، ترضيني أشياء بسيطة، ويسهل التعامل معي إذا كان التعامل مبنياً على الحب والاحترام والتقدير والصدق.

أحب الحياة بسيطة بدون تعقيد، أحب الحركة ولا أحب الجمود، أحب الجمال والطبيعة والبحر والمغامرات والآثار وقراءة تاريخ الحضارات وتاريخ البشرية، أبحث عن النور والجمال في كل شيء، لا أحب التذمر والشكوى، ولا أحب ان أرى الحياة من خلال منظار أسود أو قاتم أو بلا ألوان؛ لذلك أحاول أن ألونها بالزهور وبألوان الصدق والامل والحب والإخلاص والايجابية والتفاؤل والسلام باستمرار. هناك جانب واحد في حياتي لا أحب التحدث عنه، رغم أنه كان الجانب الأجمل، إلا أنه كان كذلك الجانب الأصعب والأقسى الذي علمني الحياة رغمًا عني.

خلال رحلة حياتي، كانت كل تجربه أمرّ بها تجعلني أنضح وأدرك بأن الحياة ليست حنونه كما كنت أعتقد، دفعت ثمن طيبي وصدقي وإيجابيتي، وأدركت بأن عجلة الحياة متحركة ومتغيرة؛ بل وتتحرك أسرع مما كنت أعتقد. وأن كثيراً من الثوابت التي تعلمناها ليست ثوابت وإنما هي فرضيات لم تثبت بعد، وإنها تحتاج لإعادة تفكير وصياغة في حياتنا. وأن ما كان يوماً ما مهمّاً في حياتي ولا أستطيع العيش بدونها لم يعد كذلك. وأن الكثير من أحداث الحياة لا تستحق التوقف عند تفاصيلها. فلا شيء يدوم، وكلنا ضيوف في هذه الحياة وكلنا راحلون، وأنا من الممكن أن نعيش بعد فقد الأعبة إذا أردنا ذلك.

فقد كانت توقعاتي وثقتي بالآخرين الدرس الأقسى الذي تعلمت منه، وأن الوعود التي يقطعها الآخرين قد لا تُنفذ بقصد أو بدون قصد. وأن عدم تقبل الأقدار يتسبب لنا بالتعاسة والشقاء، فنحن نتمنى دوام الأشياء ولكنها لا تدوم مهما حاولنا التمسك بها، وكلما حاولنا التمسك بها أفلتت من بين أيدينا أكثر.

كما أدركت بأن الحياة ليست مثالية وليست كاملة، وأنه يمكننا أن نعيش مع النقص الذي بها؛ بل إننا قد نكون أسعد حالاً مع هذا النقص؛ فالسعادة تكمن في الرضى والتمتع بما نملك لا بتمني ما لا نملك.

وإنني لا يجب أن أكون مثالية أو بدون أخطاء أو عيوب ليرضى الآخرون عني، وقد أدركت بأنني كنت أحاول إرضاء الآخرين على حساب إرضاء ذاتي، فأعدت ترتيب أمور حياتي. وتقبلت الآخرين كما

هم بدون أن أفكر في تغييرهم. وها أنا والحمد لله راضية عن كل ما مررت به خلال حياتي؛ راضية عن إنجازاتي وسعيدة بها، وتقبلت كل ظروف حياتي الصعبة التي مررت بها لأنها كانت سبب ما أنا عليه اليوم.

سألت نفسي: لو عاد الزمان إلى الوراء، ماذا كنت سأغير من حياتي وخياراتي؟! أجبته نفسي: إن ما مررت به كان قدرتي من الله تعالى، وإنني لن أغير شيئاً فيه لو كان الخيار بيدي؛ فأنا أحب حياتي كما هي رغم كل الصعوبات والتحديات؛ لأن هذه الصعوبات والتحديات هي التي جعلتني أنضج وأتصلح مع نفسي منذ زمن بعيد وأفهم الحياة بصورتها الصحيحة.

الكاتبة في سطور

- إكرام عبد القادر العش.
- ولدت في مدينته عمان، الأردن، وعشت فيها حتى تخرجت من الجامعة الأردنية، أحملت درجة البكالوريوس في العلوم السياسية وعلم الاجتماع، والماجستير في علم النفس. عملت في وزارة العمل الأردنية لفترة قصيرة، ثم سافرت للولايات المتحدة عدة سنوات. حاصلة على شهادة في الاستشارات الزوجية، وشهادة مدرب Life Coach.
- تفرغت للعمل في المجال الإنساني في الفترة ما بين 2004 – 2016 فعملت في مؤسسة نور الحسين عمّان، وفي منظمة Care International، عمّان. وعملت كمدرّب مع منظمة ICMC، في دمشق. كما عملت مع منظمة الإغاثة والتنمية الدولية IRD، عمّان ومخيم الزعتري.
- لدي اهتمامات في تقديم الاستشارات النفسية والاسرية، والعمل الإنساني التطوعي على المستوى الفردي.
- لدي عدد من المنشورات: اكتب في مجلة الفرقان الأردنية منذ عام 2004. ولدي عدد من الكتب "العيش مع السرطان ممكن وليس مستحيلاً"، إكرام العش، الذي صدر عام 2019. وكتاب "محطات على الطريق" رؤية واقعية لقضايا نفسية واجتماعية وتربوية، إكرام العش، صدر في حزيران 2020. ومشاركة في كتاب "سنوات في سطور"، فكرة وإعداد إكرام العش، بقلم مجموعة من خريجي الجامعة الأردنية في السبعينات، صدر عام 2020.
- من هواياتي الرسم والسفر والتصوير، واستمتع جداً في المشي في الطبيعة والجلوس على البحر ومشاهدة النوارس والشروق والغروب.
- البريد الإلكتروني: al_qader@yahoo.com

الفصل الثاني

من مذكراتي

بقلم: أمل نعيم طوقان



مديرة مدرسة متقاعدة

لكل امرأة قصة تحكيها.. عندما طلبت مني صديقتي إكرام العش أن أشارك في هذا الكتاب، ترددت قليلاً وسألت نفسي: ماذا عساي أن أكتب؟ فأنا لست كاتبة، رغم أن لدي الكثير من القصص بحكم عملي في الإدارة والتدريس والجمعيات الخيرية؛ فقد كنت أحب التدريس جداً لأنني أراه مهنة مناسبة للنساء وتتناسب إلى حد كبير مع رسالتي الأخرى كزوجة وأم وربة منزل، ترعى أولادها، وفي نفس الوقت لا تؤثر طبيعة عملها على رسالتها التربوية والتعليمية نحو أبنائها. فقد عملتُ سبع سنوات مديرة لمدرسة، وخمس عشرة سنة في مهنة التدريس، وبالإضافة إلى عملي في وزارة السياحة في فترة سابقة من حياتي العملية. وخلال أدوار حياتي كاتبة وأخت وزوجة وأم وامرأة عاملة خضت الكثير من التجارب، وكان لدي الكثير من التحديات والقصص.

وعندما أتذكر الماضي وكيف أثرت علينا طبيعة التحديات في سن الشباب وكيف تغيرت نظرنا لها عندما نضجنا، أجد أننا ربما تحملنا الكثير من الضغوط خلال تلك المرحلة؛ فقد كان هناك فارق في

كيفية تعاملنا معها؛ ففي مرحلة الشباب كنا نسابق الزمن لتحقيق ما نريد وبدون أن نفكر بالعواقب، وكنا قادرين على القيام بعدة أعمال ومهمات في نفس الوقت؛ فالانتظار لم يكن من الأمور المفضلة لدينا، أما الآن - وبعد أن نضجنا - أصبح التروي والهدوء هو الذي يسيطر على حياتنا وقراراتنا، وهذا يترافق مع النضج والتقدم في العمر.

ورغم وجود الكثير من التحديات في حياتي الخاصة، ستكون مشاركتي متنوعة بناء على خبراتي العملية والحياتية؛ خاصة بعد رحيل الوالدين والزوج وبعض الإخوة والأخوات عن هذه الدنيا، والتكيف مع المرض وإكمال الطريق مع الأبناء خاصة أن ابني عبد الرحمن من ذوي الاحتياجات الخاصة؛ فرغم اختلاف طباعنا ومفاهيمنا كنساء إلا أننا نواجه نفس التحديات في النهاية وتفوز غريزة الأمومة على كل الغرائز.

زمن البراءة والطفولة

كنا أربعة إخوة وثلاث أخوات، وكثيراً ما كنا نختلف كأبي إخوة، ولكن ما نلبث أن نتصالح ونعود لنضحك من جديد بحب ومرح. كنا نقوم بعمل المقالب ببعضنا بعضاً، بعضها يكون مضحكاً وبعضها يعرضنا للعقاب، وقد كنت الأكثر شهرة بين الإخوة بعمل ذلك. وكانت النتيجة عبارات التوبيخ من الوالد رحمه الله، ووعد مني بعدم تكرار العمل،،، ولكن ما ألبث أن أعود لعمل المقالب من جديد. لقد كانت هذه الأعمال جزءاً من طفولتنا البريئة الجميلة وكانت من أجمل الذكريات التي افتقدناها بعد أن كبرنا ورحل منا من رحل وسبقنا إلى رحمة الله.

كانت أختي الكبرى، أطال الله في عمرها، تخاف كثيراً من الحيوانات البلاستيكية التي كان اللعب بها جزءاً من طفولتنا كالثعابين والعقارب والفئران التي كنا نشترها بمبالغ بسيطة، وكان جمعها وشراؤها هوايتي المفضلة. فقد كان عندي عقرب كبير أسود اللون وأفعى سوداء وبفمها فأر، وأفعى بنية وغيرها بأشكال وألوان وأحجام مختلفة. وكان أخي الأصغر يساعدي بجمعها عندما يذهب إلى السوق ويجد شيئاً جديداً فيشتره لي.

ذات يوم وقبل العيد، اشترت عقرباً جديداً وكنت أريد أن أخيف به أختي الكبيرة لمجرد المزاح. وكنت أعلم أن والدي سيوبخني إن حصل هذا أمامه ففكرت بطريقة لتفادي التوبيخ. فقلت في نفسي بأن العيد بعد يومين وستلبس أختي ملابسها الجديدة، وكان من ضمنها جاكيت له جيوب فوضعت العقرب في إحدى الجيبين وتجاهلت الموضوع بل لقد نسيتته تماماً. وفي يوم العيد أراد أبي أن يذهب

لزيارة بنات عمي المتوفى وسأل: من منا يرغب بالذهاب معه؟ وكنت قد لبست ملابسني فذهبت معه. وفي بيت عمي تذكرت العقرب وتساءلت في نفسي: كيف ستفوتني تعابير وجه أختي عندما تلبس الجاكيت وتكتشف ما بداخله؟.

مضت الزيارة، وعدنا إلى البيت وأنا أدعو ألا تفوتني هذه اللحظة وما إن وصلنا البيت حتى دخلت الغرفة وكانت أختي قد لبست ملابسها كما توقعت ووقفت أمام المرأة ووضعت يديها في الجيبين وعندما أحست بوجود شيء طري ولزج انعقد لسانها وجمدت من الخوف وبدأت تقول: أو أو أو.... وهي تبكي بصمت ولا تستطيع الكلام. وأنا كنت أفق خلفها أضحك ولم أستطع تمالك نفسي فعلاً صوتي بالضحك، ثم جاء والدي رحمه الله ورآها في هذا المنظر المرعب فقال لي: "شو عاملة بأختك؟ مش شايفه قلبها رح يوقف من الخوف؟" طبعاً أنا أذكر الأمر بلطف الآن، ولكن الحقيقة أنني أخذت نصيبي من العقاب وقتها. ولكن هذا لم يمنعني من تكرار تلك المقالب بهم، ولا بصديقتي المفضلة في المدرسة التي كانت تخاف أيضاً من هذه الحيوانات البلاستيكية والتي كان من عاداتها أن تمشي ببطء عندما تكون في طريقنا إلى المدرسة صباحاً، وكنت أكره هذا وأحب أن نسرع في المشي، وكي يحصل ذلك كنت أخرج لها الأفعى أو العقرب من جيبني فما إن تراه حتى تبدأ بالركض أمامنا وتسرع في المشي ونصل إلى المدرسة ونحن نضحك. وعندما كبرنا وتذكرنا هذه الأفعال كنا نضحك كثيراً لأنها كانت من أجمل ذكريات زمن البراءة والطفولة رغم العقاب الذي كنت أناله من الوالدين أحياناً.

مقلب مع أخي رحمه الله

كان الوقت صيفاً وكنا نجلس في الصالون أنا وأخي الكبير عصام وأبي رحمهما الله، وكان أخي يلبس (فانيل) بيضاء فأحضرت العصير البارد للجميع ومعه قطع من الثلج. وبعد أن شربت العصير بقيت قطعة ثلج كبيرة، فخطررت لي فكرة (جهنمية)، فقممت من مكاني بهدوء ووضعت قطعة الثلج داخل ملابس عصام من الخلف، وهربت من المكان وعندما أحس بالثلج في ظهره لحقني ليقترض مني. ركضنا حول البيت وأنا أضحك وأركض وهو يلحقني، ومن كثرة الضحك لم أستطع الهروب أكثر فأمسك بي وضحكنا معاً.. لقد كانت أياماً جميلة جداً، رحمك الله يا أخي وغفر لك.

من مذكراتي كمديرة مدرسة

بعد يوم عمل شاق طويل، غادرت المدرسة بعد أن أنهيت عملي وتأكدت من مغادرة جميع الطلبة إلى بيوتهم، باستثناء الحاضنة التي تبقى مع الأطفال الذين يتأخر أولياء أمورهم عن استلامهم لسبب أو لآخر، وبعد أن ابتعدت عن المدرسة، إذا بالمعلمة المسؤولة عن الحضانة تخبرني عبر الهاتف أن هناك طفلين في الحضانة كان أبوهما قد أحضرهما في الصباح مع أختهما إلى المدرسة وطلب أن يبقيا في الحضانة لأنه سيأتي متأخراً بعد نهاية الدوام لاستلامهم. وها قد انتهى الدوام وغادر الجميع المدرسة ولم يبق أحد فيها سوى الحاضنة التي كانت تتأخر لتنظيف الحضانة وتحضيرها لليوم التالي والأطفال الثلاثة، وقد اعتقدت أنها ما إن تنهي عملها سيكون الأب قد حضر لأخذ أولاده.

انتظرت الحاضنة طويلاً ولما لم يحضر الأب اتصلت بالمعلمة المسؤولة وأبلغتها بوجود الأطفال الثلاثة وأنها تريد أن تغادر إلى بيتها فقد تأخرت كثيراً. عندها اتصلت معي المعلمة لتخبرني بوجود الأولاد في المدرسة وماذا علينا أن نفعل؟ فذكرت لها أن الأب كان قد مر علي في الصباح وطلب الإذن لإبقاء ولديه في غرفة الحضانة لوجود خلاف مع زوجته التي تركت البيت والأطفال ولا يعرف أين ذهبت، وبعد استشارة المعلمة المسؤولة سمحنا له بذلك على ألا يتأخر كثيراً بعد انتهاء الدوام.

لكن الأب تأخر، وحاولنا الاتصال به وبأم الأولاد دون أي رد. وقدّر الله أن تتصل صديقة للحاضنة لتسألها عن سبب تأخرها في المدرسة على غير العادة. فأخبرتها عن الأولاد ومن يكونون. ومن لطف ربنا كانت صديقتها جارة لبيت خال الأولاد الذين تركهم والدهم ولم يعد لاستلامهم. فهاتفت الخال وأخبرته عن الأولاد وكيف تركهم والدهم دون أن يأتي لأخذهم. فاستغرب الخال كثيراً واستغرب ألا يكون الأولاد مع أمهم. وذكر أن والدهم حضر عندنا هذا الصباح وأخبرنا أنه مسافر إلى الضفة الغربية اليوم ولم يقل شيئاً عن الأولاد؛ فهو - عادة - يتركهم مع أمهم ويذهب ليتابع أعماله.

واضح أن الخال لم يكن يدري بوجود خلاف بين أخته وزوجها وأنها قد طلبت الطلاق وتريد السفر إلى أمريكا عند أهلها. فما كان منه إلا أن اتصل بأم الأطفال وجاءت لاستلامهم من المدرسة، ولا أدري تفاصيل ما حصل معها بعد ذلك، ولكنها بقيت لوحدها وأكملت معاملة الهجرة مع أولادها وحصلت على الطلاق وحصلت على حضانة الأولاد وسافرت. وبقي الأب مسافراً عدة شهور في الضفة الغربية.

ذكرني لهذه القصة جاء لعدة أسباب:

في حالة الخلافات الزوجية لا يجب أن يدفع الأولاد الثمن. الأب، للأسف لم يكن يراعي مشاعر الخوف التي تعرض لها الأولاد جراء عدم حضور من يعيدهم لبيتهم.

الأب كان مثلاً في الأمانة؛ حيث ترك أولاده لوحدهم وبدون علمنا أو إخبارنا بحقيقة الخلافات بينه وبين زوجته معتمداً على وجودنا ليتهرب من مسؤولياته تجاه أطفاله. لم يشكر الأب نعمة الله أن وهبه الأبناء ولم يحمده على هذه النعمة؛ بل كان ناكراً لها، وكم من أزواج لم يهجم الله الذرية ويتمنونها، وسوف أستغرب كثيراً إذا جاء هذا الأب يوماً ما شاكياً نكران أبنائه له. أليس هو من أنكرهم في طفولتهم أولاً؟! فسبحان الله العظيم.

المدرس الخصوصي

عندما كنت أدرس الصف الثاني الثانوي (التوجيهي)، مادة اللغة الانجليزية. لاحظت وجود طالبة ضعيفة جداً في المادة، فأخبرتها أنني على استعداد لمساعدتها وشرح أي معلومات تريدها في أي وقت يكون لديها حصة فراغ، في حال كانت معلمة هذه الحصة غائبة ولا يوجد بديل لها، وألا يكون عندي أيضاً حصة في نفس الوقت.

كانت أول حصة ممتازة، حضرت لمكتبي وجلست معها وسألتها عما تريد فهمه وشرحته لها. وتفاجأت بأنها في المرة الثانية حضرت ومعها إحدى الطالبات أيضاً وطلبت الإذن بأن تجلس معنا فرحبت بها وقمت بالشرح والتوضيح للطالبتين. وفي المرة الثالثة كان هناك ما يزيد على خمس طالبات، وفي المرة الرابعة تفاجأت بالطالبات كلهن يطلبن البقاء في الصف لأخذ حصة إضافية بدل الخروج للاستراحة حتى يستفدن ويسألنني عما يردن. وافقت وكانت حصة رائعة سألت فيها الطالبات عما يرغبن معرفته من مادة اللغة الإنجليزية وغيرها.

ولكن ما أثار دهشتي بعد عدة دروس عدم وجود الطالبة التي بدأت معها الدرس. سألت عنها وطلبت منها الحضور لمقابلي وسألتها عن غيابها عن الحصة مع الطالبات الأخريات؟. والحقيقة أنني تفاجأت بجوابها عندما قالت لي: "يا مس قولي لأمي تخليني أروح أدرس عند (الأستاذ فلان) مع بنات جيرانا؟؟!"

وسبب مفاجأتي بإجابتها أنني أعرف حقيقة وضع أهلها المادي، وأنه بالكاد يكفي تكاليف حياتهم اليومية وتكاليف المدرسة وأنه لا إمكانية لهم بدفع تكاليف مدرس خاص، وأن أمها كانت قد جاءت إلى المدرسة لتشكرني على تبرعي بتدريسها. حاولت إقناع الطالبة بالحضور للدرس حتى لا تضيع الفائدة من الحصص التي تغيب عنها وحتى تتقدم في دراستها، وشعرت في نفس الوقت بعدم رضى الفتاة عن وضعها المادي، ورغبتها في تقليد زميلاتها بحضور الدروس عند مدرس خاص. ومع هذا أقنعتها باستمرار الحضور مع زميلاتها لحصة التقوية.

وكنت أرى عدم رضاها وأقول في نفسي: أحياناً يكون من الصعب على الأبناء تفهم ظروف أسرهم وأوضاعهم المادية، وقد يعيشون صراعات داخلية تسبب لهم القلق والتوتر والفشل الأكاديمي إذا لم يتبته لها الأهل أو المدرسون.

وأتساءل: لماذا تغير مستوى وطريقة التعليم ليجتاح الطلبة لمدرس خصوصي بعد الدوام المدرسي؟ خاصة أن الطالبة كانت في المرحلة الثانوية، وهي مرحلة مهمة أكاديمياً، وكانت الطالبة تمر بمرحلة المراهقة وكان مهمماً عندها أن يكون لها مدرس من الذكور تتباهى بأنه يدرسها كما يتباهى أقرانها من الطالبات في مثل عمرها. وتذكرت الكثير من القصص التي عانت منها الطالبات في مرحلة المراهقة وكانت مساعدتنا لهن أحد التحديات التي كنا نمر بها كمدرسات ومديرات.

فتيات مشاغبات

كنّ مجموعة من المشاغبات من طالبات الصف العاشر اللواتي يُشعن الفوضى والإزعاج في الصف وخارج الصف. وفي أحد الأيام قمن بقلب مكتب المعلمة الموجود في غرفة الصف وكان مكتباً حديدياً وثقيلاً ومع هذا قلبنه وقفرن عليه عدة مرات إلى أن تغير شكله وتسبب بضرر كبير. تم استدعاء الطالبات إلى الإدارة للتحقيق معهن، وتم عقد مجلس ضبط لهن وصدر قرار بالإجماع بنقلهن نقلاً تأديبياً إلى مدرسة أخرى.

في هذه الأثناء كان والد الطالبة الأكثر شغباً وإزعاجاً في المستشفى يعالج من مرض السرطان وكان وضعه الصحي سيئاً للغاية فما لبث أن فارق الحياة. وكانت هذه الطالبة ابنته الصغرى المدللة، وقد سبب لها موت والدها صدمة كبيرة. ولما لم يكن قرار النقل التأديبي قد نُفذ وتم تأجيله نتيجة موت والدها، وكذلك جاءت العطلة الصيفية، فقد تم نسيان الموضوع وتأجل نهائياً.

وفي بداية العام الدراسي وفي أول حصة عند الصف الأول الثانوي الأدبي كنت أسأل بعض الأسئلة مراجعة لمادة الصف العاشر، وكانت الطالبة المشاغبة من أكثر الطالبات نشاطاً واجتهاداً وتفاعلاً في الحصة، فاستغربت كثيراً وخاصة أنني كنت أسمع شكوى المُدرسات والإدارة عنها وعن مقدار الشغب والفوضى الذي تسببه هي وزميلاتها في الصف. ولما انتهت الحصة ناديتها لمكتبي وقلت لها: لقد تفاجأت بك كثيراً اليوم فأنت طالبة نشيطة ومجتهدة وقد أجبت إجابات صحيحة لا تقدر عليها طالبة عادية فلماذا كنت أسمع أنك مشاغبة وكسولة؟! فقالت: والله يا (مس / آنسة) أنا شاطرة وبحب المدرسة بس ما كنا نفعله كان لإغاظة بعض المُدرسات اللواتي يُسنن لنا ولا يتفهموننا

ويغلطن علينا ويصفوننا بأقبح الصفات ويستعملن ألفاظاً نابية في حقنا. ولأنني كنت أنا نفسي أعرف بعض المعلمات ينعتن الطالبات بكلمات لا تليق أبداً بمهنة التدريس النبيلة فقد تعاطفت معها وتفهمت كلماتها.

وخلال الحوار أخبرني أنها تكتب أشعاراً باللغتين العربية والإنجليزية فطلبت منها أن اطلع عليها، وبالفعل أحضرت لي دفتر أشعارها وقرأت لي بعض ما كتبت، وكان من كتابتها المؤثرة ما كتبه في رثاء والدها. جلست معها عدة مرات وتجاوزنا، ونصحتها ببعض النصائح التربوية الضرورية لإكمال حياتها التعليمية والحياتية بصورة صحيحة، وقرأت معها أشعارها وعملنا على تعديل بعض الكلمات والتعبير لها، وأصبحت الفتاة من المتقدمات والمتميزات دراسياً وأديباً، وبعد أن أعلنت وزارة التربية عن مسابقة للكتابة باللغة الإنجليزية طلبت منها أن تجمع ما كتبت لطباعتها، وبالفعل تمت طباعتها وقُدمت قصائدها للمسابقة وكانت كتاباتها رائعة وفازت بالمرتبة الثانية على مستوى مديرية تربية عمان الأولى. وبعد ذلك أصبح بيننا نوع من الصداقة والاحترام والثقة. وكانت من أفضل الطالبات بعد أن توقفت هي وزميلاتها عن إثارة الشغب والفوضى في المدرسة.

وعندما كانت تستعد لامتحان الثانوية العامة كانت هي الطالبة الوحيدة التي اختارت دراسة مادة اللغة الإنجليزية للمستوى المتقدم لتدرسه لوحدها دون بقية الطالبات، وكان دوري أن أساعدها عندما تحتاج لشرح مادة معينة وكنت أتابع معها باستمرار وأحضر لها امتحانات الفصل النهائية، ثم تقدمت للامتحان ونجحت بفضل الله وبفضل اجتهادها، ودخلت الجامعة، وتخرجت، ودعيتني إلى حفل تخرجها، وعرفني على خطيبها، وبعدها تزوجت وبقينا فترة طويلة على اتصال إلى أن سافرت إلى خارج البلد.

تذكرت هذه الفتاة وهذه القصة؛ لأننا أحياناً نكون نحن الذين نبدأ بالإساءة للآخرين؛ معتقدين أننا نتصرف بطريقة صحيحة، فعدم مراعاتنا واحترامنا للآخرين وعدم فهم الطلبة ومراعاة ظروفهم واحتياجاتهم؛ خاصة إذا ترافق هذا مع ظروفهم البيئية والمادية السيئة، وبالتالي قد يؤثر تعميم قناعاتنا الخاطئة والظالمة عنهم سلبياً عليهم وعلى أدائهم المدرسي والاجتماعي وثقتهم بأنفسهم. فيجب على المربين الاهتمام بهذه الأمور؛ لأن السلوك الخارجي للطلبة قد يكون بسبب إحباطات داخلية لا يستطيعون معالجتها بأنفسهم. لذلك ينبغي ألا يقتصر دورنا كمدرسين ومربين على إعطاء المعلومات وإنما خلق الأجيال الواثقة بأنفسها وقدراتها.

مذكراتي من العمل لدى الجمعية الخيرية

بعد أن تقاعدت من عملي كمديرة مدرسة ما زلت أعمل متطوعة في جمعية خيرية تعنى برعاية الأيتام والفقراء والمرضى وطلاب العلم الأقل حظاً. يأتي للجمعية مراجعون من مختلف المناطق للحصول على المساعدات العينية والتقديدية. ولكن طبيعة عمل الجمعيات الخيرية وعدم توفر الإمكانيات المادية الثابتة والكبيرة لها تجعلنا غير قادرين على تقديم المساعدة لكل من يحضر ويطلب المساعدة. لذلك نحاول جاهدين التأكد من وضعه المادي وصدق ادعائه وحاجته للمساعدة أو عدم استحقاقه لها؛ وذلك بسبب اعتمادنا على التبرعات وزكاة الأموال خاصة في بعض المواسم كشهر رمضان وعيد الأضحى. من هنا كانت لدينا ملفات للحالات التي نساعد بها باستمرار وذلك بعد عمل دراسة حالة لكل أسرة. ولكن مهما كنا حذرين فالأمر لا يخلو من حالات خداع وكذب نتعرض لها بين وقت وآخر.

أذكر قصة تلك الأرملة التي تقدمت للجمعية بطلب المساعدة، واستطاعت أن تقدم جميع الأوراق الثبوتية التي تؤكد حاجتها للمساعدة وخاصة أنها أم لخمسة أطفال أيتام. وعندما زارتها لجنة الدراسات الاجتماعية وجدوا بيتها متواضعاً جداً، وبه القليل من قطع الأثاث، وعندما سألت اللجنة الجيران عنها أكدت إجاباتهم حاجة هذه الأسرة للمساعدة والصدقة. عندها تم تكفيل ثلاثة من الأولاد ضمن مساعدة شهرية تقدم لهم، وكانت تأتي هذه الأرملة في نهاية كل شهر وتأخذ نصيبهم من الكفالة المالية وما توفر من مواد تموينية بالإضافة إلى الحقائب المدرسية وملابس العيد، وأي شيء يتوفر ويوزع على الأيتام كانت تأخذ منه حصة لأولادها.

وفي نهاية أحد الأشهر حضرت لاستلام الراتب الشهري، وحضر كذلك الكثير من متلقي المساعدة من الأيتام والأرامل وأخذوا نصيبهم وغادروا مبنى الجمعية. وعندما قامت المسؤولة عن تسليم الرواتب بمغادرة الغرفة لقضاء بعض الأعمال، وعند عودتها شاهدت محفظة على الأرض فمدت يدها والتقطتها فلاحظت أنها متفخخة قليلاً، عندها سألت من الغرفة عنها فلم يتعرف عليها أحد. وعندما حاولت أن تتذكر مع الزميلات إن كان أحد من المحسنين قد حضر وتبرع اليوم، تبين أنه لم يحضر أحد. عندها قالت: سأفتحها أمامكم لتتعرف على صاحبها من خلال ما سنجد من أوراق ثبوتية فيها، ونسلمها له. وعندما فتحت المحفظة صدمت لما وجدت؛ فقد كان بها مفتاح سيارة وورقة كبيرة من الأوراق المالية فئة الخمسين ديناراً، وعندما حاولت البحث عن هوية صاحبها إذا بسيدة من الأرامل تدخل مسرعة وتقول: هات المحفظة إنها لي.

نظر الجميع إليها مستغربين وقالوا: لكن فيها مفتاح سيارة وكمية كبيرة من النقود، وأنت قد استلمت الآن كفالة أولادك فمن أين لك هذا؟! لا بد أنك تدّعين أنها لك؟ الكل يعرف حاجتها ويعرف أنها تأتي شهرياً لاستلام المساعدة من مدة طويلة. ولكنها أصرت بأن هذه المحفظة لها وأن الأموال والسيارة تعود إليها. وعندما سألوها: كيف، ومن أين لك كل هذه الأموال والسيارة؟! وبعد سؤال وجواب وتحقيق من الأعضاء، لم يتركوها إلا بعد أن اعترفت بالحقيقة حيث قالت: نعم السيارة والنقود لي وأنا أملك شركة مقاولات كبيرة تقوم بصيانة المباني ودهانها وطراشتها، وأيضاً متزوجة من شخص عراقي. لقد تبين أنها تحصل على مساعدات من عدة جمعيات خيرية، وعندما حاولنا معرفة الأسباب وراء سلوكها، لم يكن إلا بدافع الطمع والجشع والغش. فصدر قرار فوري بإيقاف جميع الكفالات التي تحصل عليها هذه السيدة من جمعيتنا وإبلاغ الجمعيات الأخرى بشأنها لإيقاف كل المعونات التي تأخذها منها.

ولعدة أسابيع كنا مصدومين بها، كيف استطاعت أن تخدع جمعيتنا والجمعيات الأخرى وجيرانها وكل من طلبت منا سؤالهم عن أوضاعها، وكيف أثر سلوكها وغشها علينا، وكيف حرمت آخرين من حقهم في المساعدة؟! حقه

قصتي مع السرطان

عندما كانت والدتي رحمها الله في السبعين من العمر، أصيبت بسرطان الثدي وعاشت بعده عشر سنوات بعد اكتشاف المرض وكان قرار الأطباء وقتها عدم إجراء عملية جراحية أو إعطاء العلاج الكيماوي لكبر سنّها. وكان السرطان الذي أصابها من النوع الذي يؤدي إلى تآكل العضو المصاب وليس نمواً زائداً للخلايا؛ حيث بدأ بإفرازات كالصديد وبعدها بدأ ينشف ولم يتشرب أو يخرب أعضاء أخرى في الجسم، وكل ما فعله الأطباء هو إعطاء العلاج الهرموني الذي كانت تأخذ منه حبة واحدة يومياً.

وبعد والدتي أصيبت أختي الصغرى بسرطان الثدي أيضاً وأجريت لها عملية جراحية لاستئصال الورم. وبما أن للوراثة علاقة كبيرة في الإصابة بالسرطان، خاصة الثدي؛ فقد بدأ التخوف عندي يزداد؛ فكنّت أهتم بالفحص الذاتي بين الوقت والآخر، وذات يوم أحسست بكتلة في الثدي الأيسر. وعندما راجعت الطبيبة وأخبرتني برغبتي عمل فحص "الماموغرام" حيث إن عمري قد تجاوز الخامسة والخمسين، شجعتني على إجراء الفحص، وتذكرت أن عليها هي أيضاً أن تقوم بالفحص.

حدّدت موعداً للفحص وذهبت في الموعد وانتظرت دوري، ولكن الممرضة خرجت بعد فترة لتعلن أن الجهاز قد تعطل وأن علينا الحضور في نفس اليوم من الأسبوع القادم وهكذا كان. تم التصوير وأخبرتني المسؤولة أن النتيجة ستظهر بعد ثلاثة أسابيع لأن الصورة ترسل الى مستشفى حكومي لكتابة التقرير هناك. ذهبت لاستلام النتيجة وإذ بالممرضة تخبرني أن عليّ مراجعة قسم الأشعة في المستشفى للضرورة. وفي طريقي إلى القسم أخرجت التقرير وقرأت ما جاء فيه، وكانت النتيجة تشير إلى وجود كتلة في الثدي الأيسر وفي المكان الذي كنت قد شعرت به بوجودها. والحقيقة أنني لم أتفاجأ بالأمر فقد اكتشفت وجودها والصورة أتت لتؤكد الإصابة.

ذهبت إلى طبيب الأشعة التشخيصية في المستشفى، وعندما شاهد الصورة قال لي: إن هناك كتلة في الثدي الأيسر. فقلت له: إنني أعرف ذلك وقد شعرت بها خلال الفحص الذاتي، ولأنني كنت متقبلة للأمر ولم يكن مفاجئاً لي فقد بدأتنا نتحدث عن خطوات العلاج. قال بأنه لا بد من عمل خزعة أولاً لمعرفة نوعها هل هي من النوع الخبيث أو الحميد. وحدد لي موعداً بعد أسبوع وطلب مني شراء إبرة معينة لأخذ الخزعة لعدم توفرها في المستشفى. اشترت الإبرة وذهبت في الموعد المحدد وجلست أنتظر دوري، وخلال الانتظار الذي تجاوز الساعتين سمعت إحدى النساء تخبر الأخريات بأنه تم إبلاغها بأن عليها أن تتوقف عن تناول الدواء المساعد لمرضى السكري قبل يومين من عمل الخزعة. أما أنا فلم يخبرني بهذا أحد. لذلك عندما جاء دوري أخبرت الطبيب بما سمعت وإذ به يتفاجأ بأنه نسي أن يسألني عن إصابتي بالسكري من قبل، لذلك تأجل عمل الخزعة للأسبوع القادم وطلب مني التوقف عن تناول الدواء المساعد للسكري قبل يومين من موعد الخزعة.

عند ذلك أخبرت الطبيب أنني انتظرت ساعتين ونصف تقريباً حتى جاء دوري وأن عملي كمديرة مدرسة لا يجعل من السهل عليّ مغادرة المدرسة في وقت الدوام، لذلك حدّدت لي موعداً متأخراً. وعندما ذهبت في الموعد في الأسبوع التالي لم أجد الطبيب في غرفة الفحص. ومباشرة ذهبت إليه في مكتبه وأخبرته أنني وصلت قبل الموعد وانتظرت في غرفة الفحص. اعتذر مني أنه قد نسي الموعد وأن الممرضة التي تساعده في هذه العملية قد غادرت. اتفقت معه أن أهاتفه في الأسبوع التالي لتحديد موعد.

انصرفت من مكتبه وأنا أشعر بضيق شديد وكأن القلق والانتظار أمران سهلان عليّ، وكأي مريض سرطان كنت أرغب بالانتهاء من الخزعة في أسرع وقت لبدء العلاج. وخلال الأسابيع التي لم أستطع فيها عمل الخزعة لسبب أو لآخر مما ذكرت، كنت أشغل نفسي بالعمل والأسرة حتى لا أدع لنفسني مجالاً للتفكير السلبي.

وفي الأسبوع التالي صادفت ذكرى وفاة كل من والدي وأخي فلم أذهب إلى المستشفى ولم أتصل بالطبيب إلا لاحقاً، لأكتشف بعد ذلك بأن الطبيب في إجازة لعدة أشهر خارج البلاد مع أسرته. جلست أفكر والقلق والضيق يسيطران عليّ؛ فكل هذا التأخير والتأجيل ليس من صالحني، ولن أنتظر حتى يعود الطبيب، ولا أريد المزيد من التأخير؛ فقررت البحث عن طبيب آخر، وربما كان قدر الله في كل هذا التأخير أن أجد طبيباً آخر، لأكتشف أنه ابن عم زوجي؛ فاتصلت به وأخبرته بأمرني فحدد لي موعداً في اليوم التالي. وعندما رأى الصورة قال إنه سيقوم بإجراء العملية لي بنفسه، وعندما سألته: والخزعة؟ قال: لا داعي لعمل خزعة وسأقوم بفحص الكتلة لاحقاً. وبما أن اليوم هو الإثنين طلب مني أن أعود الأربعاء في الساعة الثامنة صباحاً، على أن تكون العملية يوم الخميس حسب جدول عملياته الذي تصادف في ذلك اليوم.

أخبرته بأن لدي ترتيباتي المسبقة للسفر إلى الخارج، فهل سيؤثر عليّ سلباً تأخير العملية أسبوعين آخرين؟ قال: لا، اذهبي وسافري وبعد عودتك نحدد موعداً لأول يوم أربعا لتحضري إلى المستشفى. كان الطبيب يعمل في مستشفى حكومي مزدحم بالمرضى؛ فاعترض أولادي بشدة على إجراء العملية فيه، ولكني أصررت على ذلك لوجود هذا الطبيب ولخبرته الطويلة، وكذلك بسبب وجود تأمين من الدرجة الأولى لي هناك، وأن الأمور ستكون في أحسن حال.

سافرت إلى الإمارات واجتمعت بإخوتي وأبنائهم، وفي بيت ابن أخي قلت لهم: لدي خبر أريد أن أشارككم به، إنني مصابة بسرطان الثدي، وإنني قمت بعمل الفحوصات اللازمة ولدي موعد للجراحة عندما أعود إلى عمان. تفاجأ إخوتي بالخبر الذي وقع عليهم كالصاعقة؛ خاصة وأن والدتي كانت مصابة بالسرطان، وكذلك والدي كان مصاباً بسرطان البنكرياس، وأخي الأكبر أصيب بنوع نادر في الرئة، وكذلك أختي الصغرى - رحمها الله - كانت مصابة بسرطان الثدي، والآن جاء دوري والحمد لله على كل حال.

تساءل إخوتي عن سبب تأجيلي للعملية وكيف أنني أخذ الأمور ببساطة وبدون فزع وخوف؟! طمأنتهم أنني سألت الطبيب عن التأجيل لأسبوعين آخرين وأخبرني بأن ذلك لن يؤثر على وضعي الصحي سلباً. حاولت أن أتجاهل هذا الأمر لأقضي أوقاتاً سعيدة وطيبة معهم؛ فقد كنت قد توكلت على الله؛ خاصة أن الإصابة بالسرطان كانت متوقعة بسبب عامل الوراثة وبالتالي كانت إصابتي متوقعة، ولكن التعامل مع المرض هو ما كان يهمني.

فكرت كثيراً ألا أخبر أحداً من الأهل بإصابتي، وكان من الممكن أن أموت بدون أن يعلم أحد بمرضي بالسرطان بداية، لكنني عدت وحدثت نفسي بأن الله سبحانه وتعالى قد أمرنا بالاعتناء بالنفس

البشرية وألا نؤذي بأنفسنا إلى التهلكة، وأن العلاج والحمد لله متوفر، وأني أفضل بألاف المرات ممن لا يستطيعون العلاج أو تحمّل تكاليفه، وأنه كان من واجبي أن أخبر الأهل بالأمر.

عدت من رحلتي مساء الأحد وذهبت للقاء الطبيب الذي طلب دخولي إلى المستشفى يوم الأربعاء، وكان ذلك في بداية الشهر الأول من عام 2015 على أن تجرى العملية صباح الخميس. دخلت المستشفى حسب الاتفاق، وتم عمل الصور والفحوصات اللازمة قبل إجراء العملية، وبعد ذلك ذهبت إلى الغرفة استعداداً لليوم التالي. وكان الطقس بارداً في تلك الأيام، وكان من المتوقع تساقط الثلوج، وتم إعلان ذلك اليوم عطلة رسمية خوفاً من تراكم الثلوج وإغلاق الطرق وانقطاع السبل بالمواطنين. وفي صباح اليوم التالي انتظرت الطبيب ولم يحضر، وعندما تجاوز الوقت الساعة الحادية عشرة ولم أسمع شيئاً من الطبيب بعد، اتصلت به واذ به يبدي تعجبه من وجودي في المستشفى؛ وطلب مني أن أقوم بعمل خروج من المستشفى وأن أعود إليه في الأسبوع التالي؛ فقد كانوا قرروا إلغاء العملية دون أن يبلغني أحد بذلك والسبب هو سوء الأحوال الجوية. لا أستطيع وصف التوتر والإرهاق النفسي والشعور باستهتار الآخرين الذي كنت أعيش به منذ عدة شهور بسبب التأجيلات المستمرة للجراحة والتي لم أكن أبلغ بها.

وبسبب عدم وجود موظفين كان يصعب أن أجد من يوقع لي على أوراق الخروج من المستشفى، وكانت المفاجأة أن الثلوج لم تهطل بالغزارة المتوقعة ولم تغلق الطرق. وبعد جهد خرجت من المستشفى على أن أعود يوم الأربعاء من الأسبوع القادم وأنا أتساءل بيني وبين نفسي لعل هناك حكمة إلهية من وراء التعطيل المستمر للجراحة منذ عدة شهور. فاستعدت بالله من الشيطان الرجيم وعدت في الأربعاء التالي حسب الاتفاق، وأعادوا عمل جميع الفحوصات التي أجريت في الأسبوع السابق. وفي صباح يوم الخميس في الساعة الثامنة وفي غرفة العمليات بقيت أنتظر ما يزيد على الساعات الثلاث!! كم هي ساعات الانتظار قاتلة لنفسية المريض وأهله؟ إنها تستهلك كل طاقته الإيجابية وقدراته على الصبر والتحمل مهما حاول التماسك. وبعد ثلاث ساعات من الانتظار جاء ستة من الأطباء: أطباء اختصاص وجراحون ومتدربون، فتوكلت على الله، وبدأت العملية التي استمرت ساعة من الزمن ثم تم نقلي لغرفة الإنعاش حتى أفتت من المخدر وعدت إلى غرفتي.

لم يكن وقت الانتظار الذي تجاوز الست ساعات صعباً عليّ فقط ولكن على أبنائي وأختي أيضاً، الذين كانوا ينتظرون ويعتقدون أن كل ساعات الانتظار هذه كانت ضمن وقت العملية المقرر. حمدنا الله كثيراً على الخلاص والانتهاه منها. عدت إلى بيتي وأنا أشعر بالراحة والسلام.

بعد أيام قليلة من الجراحة كان عليّ مراجعة المركز الصحي لأخذ الدواء الشهري للضغط والسكري، فقابلت الطبيبة التي كتبت لي أمر (الماموغرام) قبل عدة شهور، ولما عرفت أنني أجريت العملية قبل أيام صاحت بي مستغربة: وكيف حضرت اليوم؟! وكيف طالعة من البيت؟! فأخبرتها بأنني بخير وأن عليّ أن أحضر الدواء لي ولزوجي ولابني ولأخته لأنهم جميعهم مرضى. فلم تقتنع بكلامي وأصرت بأنه يجب عليّ أن أهتم بنفسي أكثر من ذلك. وبالفعل عندما فكرت بكلماتها وراجعت نفسي، أيقنت أن المرأة عموماً لا تهتم بنفسها أولاً؛ بل هي تهتم بكل من حولها وقد تنذكر نفسها في آخر الأمر أو لا تتذكرها! ربما تربينا على مفهوم خاطئ وهو نكران الاهتمام بالذات مع زيادة الاهتمام بالآخرين؛ ولذا حاسبت نفسي وقررت أن أهتم بها أكثر من ذي قبل؛ ذلك أن الفترة القادمة ستكون رحلة العلاج الكيماوي.

بدأت رحلة العلاج الكيماوي، والتي كانت معاناة حقيقية ومؤلمة، حاولت فيها أن أبقى متماسكة وقوية من أجل نفسي وأسرتي وزوجي. بعد الأسبوع الثاني من العلاج بدأ شعري يتساقط شيئاً فشيئاً إلى أن تساقط كله. في بداية العلاج لم يكن تأثير الكيماوي سيئاً جداً ولكن بدأ تأثيره السيء يزداد عندما بدأت لا أجد طعاماً للأكل مهما كان؛ فكل الطعام كان طعمه سيئاً، وبدأت أظافري تتحول إلى اللون الأسود، ولا أستطيع السير على قدمي من شدة الألم والحروق التي يسببها العلاج الكيماوي الذي استمر لستة أشهر، وكان عليّ أن أنتظر مدة شهر بعد انتهاء العلاج الكيماوي لبدء العلاج الإشعاعي يومياً. لقد مررت بكل الآلام التي يتعرض لها مرضى السرطان. أحياناً أضعف وأنهار وأبكي بيني وبين نفسي، وأظهر القوة والتماسك أمام الجميع، وأحياناً عندما أكون بخير أحاول أن أقوم بواجباتي بضعف وألم إلى أن انتهيت من العلاجات وجاءت النتائج التي تريحتها وتبشر باستقرار المرض والحمد لله.

وخلال هذه الرحلة من العلاج والمرض عانيت كثيراً من الأجهزة المعطلة، والانتظار الطويل، وتغير مواعيد العلاج والجلسات، وتغيير في برامج حياتي ومخططاتي الأسرية التي كنت أضطر لتغييرها لتناسب أوقات العلاج أو أقوم بتغيير أوقات العلاج لتناسب مع ظروف الأسرية والعائلية؛ حيث اضطرت أحياناً لإلغاء جلسات الأشعة لحاجه ابنتي أن أكون معها في الخارج عند ولادتها.

وبعد ذلك بدأ العلاج الهرموني الذي آخذه كل شهر والذي سيستمر لمدة خمس سنين، وها أنا الآن أتابع أموري الصحية باستمرار وقد قاربت السنوات الخمس على الانتهاء ولا أعلم إن كان الدواء سيتوقف أم لا وما هي الخطوات التالية للعلاج. الحمد لله على كل حال، وها أنا أستمر بحياتي وأحاول أن أعيشها وأشارك فيها قدر الإمكان، وتستمر الحياة رغم كل شيء.

شلالات (ريممين) في الأردن ومفاجآت على الطريق

كان زوجي لا يحب القيام برحلات خارجية، وكان يقول لنا "اطلعوا الحالكم وأنا سأبقى في البيت". وذات يوم اخترنا الذهاب إلى "شلالات ريممين" لأنها قريبة منا نوعاً ما، وعندما وصلنا إليها تفاجأنا بأنها عبارة عن شلال صغير ضحل والمنطقة غير مخدومة للمتنزهين فلم نستطع الجلوس بها بشكل مريح؛ لذلك غادرنا بعد أقل من ساعة عائدين إلى المنزل. وكان في الطريق مرتفع ترابي يصعب السير به، وخلال الصعود فجأة تعطلت السيارة، حاولت كثيراً بمعلوماتي المتواضعة عن الميكانيك أن أشغلها لتتابع المسير ولكن عبثاً أحاول، ولم تتمكن من السير متراً واحداً وكان الطريق ضيقاً لا يسمح بمرور أكثر من سيارة؛ وبهذا نكون قد أغلقنا الطريق أمام الآخرين أيضاً.

كان المكان شبه خال من السيارات والمارة وكان الوقت حوالي الساعة الثانية بعد الظهر، كان هذا قبل ظهور التلفزيونات الجواله التي تتيح لنا فرصة طلب المساعدة من الآخرين. بقينا على هذه الحال فترة من الزمن حتى ظهرت لنا سيارة "تنك ماء" كانت تقف عند الشلال لتعبئة الماء منه، ولأن سيارتنا أغلقت الطريق، اضطرر للتوقف وسأل: ماذا هناك؟ فأخبرته أن السيارة قد تعطلت فجأة ولم أستطع معرفة السبب. فكان معه رجلان في السيارة نزلا وفتحنا غطاء المحرك وكانا ذوي خبرة بالسيارات الكبيرة والميكانيك فاستطاعا أن يكتشفا السبب بعد جهد؛ فقد كان هناك "برغي" يصل جزأين من المحرك ببعضهما قد سقط من مكانه نتيجة الطريق الترابي والمطبات التي فيه وكان معهما ما يمكن أن يسد مكان هذا البرغي ويعيدا وصل الجزأين معاً، وهكذا عادت السيارة للعمل بشكل جيد. شكرنا الرجلين على هذه الخدمة وأبنا أن يأخذنا أجره على عملهما فجزاهما الله عنا خير الجزاء، وعدنا إلى البيت مبكرين بعد هذه الرحلة السياحية القصيرة التي كانت مغامرة في الطريق بدل أن نستمتع بجمال الطبيعة.

وبعدها بسنوات كنت في شارع المدينة المنورة في الأردن عندما شعرت بأن أحد الدواب قد فرغ من الهواء بشكل واضح. فأوقفت السيارة على جانب الطريق لأنفق الأمر وإذا بالدواب قد فرغ تماماً من الهواء. فتحت غطاء السيارة وأحضرت "الجك" لرفع السيارة وأحضرت (العجل) الدواب الاحتياطي وبدأت برفع السيارة وتغيير العجل بنفسي، ولشدة دهشتي مرّ مجموعة من الرجال وعدد كبير من سائقي السيارات وأنا أقوم بتغيير الدواب ولم يتوقف أحد منهم ليسألني إن كنت بحاجة للمساعدة أم لا. انتهيت من تغيير العجل وأعدت كل شيء إلى مكانه دون أن يتقدم أي شخص من المارة لعرض أي نوع من المساعدة وأنا سيدة محجبة ويزيد عمري على 45 عاماً. فتعجبت من تغير المفاهيم المجتمعية، وقد كنا نتسابق لتقديم المساعدة لأي إنسان مهما كان.

ومرة أخرى كنت قد غادرت المدرسة بعد انتهاء الدوام في مدرستي في جبل اللوييدة ومعني مساعدة المدرسة التي كانت ترافقني في سيارتي يومياً وتنزل قرب بيتي وتكمل إلى بيتها بوسائل أخرى. وفجأة تعطلت السيارة في منتصف الطريق وأمام أحد المباني التي يوجد بها حراس كثير. فقلت في نفسي إنه من المؤكد بأن أحد الحراس سيأتي لمساعدتي عندما يعلم بأن السيارة معطلة، ويساعدني في نقلها لطرف الشارع تفادياً لأي حوادث جراء وقوفها في منتصف الطريق.

أكملت المساعدة طريقها بتكسي وطلبت منها أن تتصل بأولادي في البيت وتخبرهم بمكاني وبما حصل معي لكي يحضروا الميكانيكي لمساعدتي. بقيت في السيارة أنتظر وللأسف لم يأت أحد من الحراس، ومرّت عشرات السيارات ولم يسأل أحد عن سبب توقفي في منتصف الطريق!! حتى الميكانيكي لم يأت ولا حتى أولادي وبقيت على هذه الحال أكثر من ساعتين، وبعد طول انتظار توقفت سيارة ونزل منها شاب في العشرينات من عمره وسألني إن كنت أحتاج للمساعدة فأخبرته بأن السيارة قد تعطلت وأني بحاجة للاتصال بأولادي في البيت ليتصلوا بدورهم بالميكانيكي. فقال لي: لا تهتمي، بعد أن أعطيته رقم الهاتف وذهب. مضى وقت قصير وإذا بالميكانيكي قد حضر حيث اتصل به الأولاد بعد أن اتصل بهم ذلك الشاب. في اليوم التالي سألت المساعدة في المدرسة: لماذا لم تتصلي بأبنائي كما طلبت منك حيث كنت عالقة في الطريق كما تعرفين؟ فكان جوابها بكل بساطة: والله نسيت. استهجنّت الأمر وأسفت من عدم اهتمامها ورد فعلها.

هذه الحادثة جعلتني أتذكر المواقف السابقة التي حصلت معي في رحلتنا إلى رميمين، وتوقفي في شارع المدينة، وتساءلت عن سلوك المساعدة التي لا أدري هل نسيت أو تجاهلت الاتصال بالبيت والأولاد وطلب المساعدة لي، وتساءلت عن أسباب التغير في سلوك الناس تجاه بعضهم بعضاً وتجاه تعاملهم مع النساء خصوصاً؟؟ هل هي الحضارة الزائفة التي غيرت مفاهيمنا ونظرتنا للنساء في المجتمع، أم هي النزعة الفردية التي انتشرت في المجتمعات؟؟ أم لأنني أتوقع من البعض التصرف والشعور بالمسؤولية تجاه البعض الآخر كما أفعل أنا تجاههم؟. حقيقة لا أدري الإجابة وإن كنت أتوقع أسبابها. وإلى الآن تدور في رأسي بعض المواقف التي لا أجد لها إجابات مناسبة أو تفسيراً.

ابني عبد الرحمن

إبني عبد الرحمن، شاب في التاسعة والعشرين من عمره من ذوي الاحتياجات الخاصة، يعاني من زيادة في الشحنات الكهربائية في الدماغ وقد أثرت على نموه بشكل كبير. ومما زاد من صعوبة وضعه

الصحي وصف طبيب أعصاب مشهور له دواء زاد في سوء وضعه وتسبب في تلف في خلايا الدماغ وأصبح يعاني من التخلف العقلي.

وكأم تخاف على أبنائها وتتقبلهم بكل أوضاعهم، فقد عملنا كل جهدنا في الأسرة للتكيف مع وضعه ومساعدته على الاعتماد على نفسه وأن يعيش حياته كباقي أقرانه، فسجلناه في مراكز التربية الخاصة وبدأ تعلم القراءة والكتابة، ولكن التلف الدماغى كان يزداد كلما تقدم به العمر فكان عمره العقلي لا يزيد عن طفل السابعة أو الثامنة من العمر. عندما بلغ الثامنة عشرة من العمر تخرج في آخر مركز للتربية الخاصة، ولم يعد هناك مراكز تهتم بذوي الاحتياجات الخاصة الأكبر عمراً. فكل المراكز تُعنى بالأطفال حتى سن الثامنة عشرة فقط، وهذا الأمر يضع الفرصة أمام الأكبر عمراً أن يتعلم ويتكيف في المجتمع. وقد أثر جلوسه في البيت بدون مراكز التعلم سلباً عليه وعلى تفاعله معنا؛ فبحكم عمره العقلي هو طفل وبحاجة للتعليم المستمر والتعامل مع الآخرين من الذين يعانون نفس مشكلته.

ثم سمعنا عن "حدائق الكمال" وهو مشروع خيرى لكبار السن من ذوي الاحتياجات الخاصة أقامته سيدة لها شقيق يعانى من متلازمة داون؛ فقد كانت ترى الحزن والألم في عيني شقيقها كلما غادر أهله المنزل لقضاء حاجة أو لزيارة أو لشراء أغراض ولا يستطيعون اصطحابه معهم. ففتحت حديقة بيتها الكبيرة واستقبلت بها كبار السن من ذوي الاحتياجات الخاصة برعاية معلمات متخصصات بالتربية الخاصة، فمن بوضع برامج تهتم بالرياضة والزراعة بحيث يقوم بها المشاركون ويعملون على تنظيف الحديقة وإزالة الأعشاب وقطف الثمار وفرط الزعتر وزراعة النباتات، وعمل المربى والمخللات وبعض الأشغال الفنية البسيطة، كما كانوا يلعبون ويغنون ويمضون وقتاً ممتعاً. ولأنه جهد فردي كان الدوام في الحديقة في أيام الصيف فقط حيث تغلق أبوابها في الشتاء. وفي نهاية الموسم يتم إقامة بازار تعرض فيه منتجات الحديقة النباتية من أعمال الطلاب ويقوم متبرعون بإحضار مشاركاتهم، ويدعى عدد كبير من الضيوف للبازار فتباع المنتجات ويكون عائد البيع لمصلحة دفع رواتب المشرفين وشراء مستلزمات النشاطات والأعمال الفنية.

قبل سبع سنوات حدثت معنا قصة مع عبد الرحمن؛ ففي أحد أيام العطلة الشتوية وفي ليلة شديدة البرودة من ليالي كانون الثاني حيث اكتست الأرض بالجليد وتدنّت درجة الحرارة إلى ما دون الصفر. استيقظت في الواحدة صباحاً وتفقدت غرفة الأولاد كما أفعل دائماً، وعندما دخلت غرفة عبد الرحمن كان سريره فارغاً ففكرت أنه ربما ذهب لقضاء حاجته، ولما لم يكن في (الحمام) بدأت أبحث عنه في كل غرف المنزل، ثم عدت إلى غرفة المعيشة التي كان لها باب يطل على المدخل الرئيس للبيت، فخيّل إلى أن الباب مفتوح، وعندما اقتربت من الباب كان مفتوحاً فعلاً، عندها أيقنت بأن عبد الرحمن قد خرج من البيت، وهذه أول مرة يخرج وحده من البيت.

عندها ناديت زوجي وابني الأكبر وأخبرتتهما بما حصل، ولأن زوجي كان مريضاً خرجت مع ابني مشياً على الأقدام للبحث عنه؛ فلعله ما زال قريباً من البيت ولكن دون جدوى. ثم ركبنا السيارة وبحثنا عنه في الأماكن التي نتوقع أن يتواجد فيها، والساعة قد اقتربت من الثالثة فجراً والخوف عليه يسيطر علينا.

قررنا الذهاب إلى مركز الشرطة للتبليغ عن فقدانه، ولكن حسب القانون فلا يقبل بلاغ عن مفقود إلا بعد ٢٤ ساعة من خروجه من المنزل أو أكثر من ذلك، وعندما أبلغنا المركز عن وضعه الصحي طلب منا معلومات كافية عنه، وتم تحويلنا لمركز الشرطة الذي يقع ضمن منطقته سكننا، كل هذا وأنا أدعو الله ألا يكون قد أصابه مكروه.

وكان أذان الفجر قد رُفع فقررنا أن نعود إلى البيت ونصلي الفجر ونخرج بعدها للبحث مرة أخرى، ولكن لطف الله وكرمه كان أسبق؛ فقد اتصل بنا مركز الشرطة ليبلغنا بأن مركز أمن بيادر وادي السير قد اتصل يبلغ بوجود شاب بالموصفات المطلوبة، فقد وجدته دورية شرطة يسير بالشارع على غير هدى فأوقفوه ولما تبين لهم حقيقة وضعه الصحي والعقلي اصطحبوه إلى مركز الأمن، فاتصلوا بنا لاستلامه وذهبنا إلى المركز، ولما دخلنا وجدنا عبد الرحمن جالساً عند الضابط.

ولأن الضابط لا يعرف ماذا حصل، اعتقدنا أننا أهملنا رعايته، فأخبرناه بأنه كان نائماً وجميع من في البيت كانوا نائمين، وأنه خرج بدون علمنا وليس من عادته أن يقوم في الليل أو أن يخرج من البيت وحده لا في النهار ولا في الليل. ورفض الضابط أن يسلمه لنا إلا بحضور والده حتى يوقع على تعهد بالاهتمام به وعدم إهماله وأن يحافظ عليه جيداً. فأخبرناه بوضع والده الصحي وأنه لا يستطيع الخروج من البيت. وبعد طول جدال ومحاولات التأكيد بأننا نهتم به جيداً، سلمنا عبد الرحمن وعدنا به إلى البيت.

وعندما سألتنا عبد الرحمن عن سبب خروجه في الليل، وبسبب ضعف تقديره العقلي لخطورة تصرفه فقد قال: "بدي أروح أشوف أصحابي في الحديقة اشتقت لهم". وهذا الأمر أثر عليّ جداً فأنا لا أستطيع أن أوفر له اللعب مع أصدقائه بسبب العطلة الشتوية للحديقة.

أعرف بأن وجود ابن أو ابنة من ذوي الاحتياجات الخاصة يعتبر تحدياً كبيراً للأسرة كلها وللأم خاصة، فهي تشعر معهم ولكن بسبب عدم توفر الخدمات التي تساعدهم على الاندماج في المجتمع من ناحية، وعدم تقبل المجتمع لهم وفهم احتياجاتهم بصورة صحيحة من ناحية أخرى فإن هذا يضاعف الألم النفسي والعبء المعنوي على الآباء والأمهات.

لذلك، ومنذ تلك الحادثة، أقوم برفع مفاتيح الأبواب بعد غلقها في الليل، وأحاول إشراكه في كثير من الأعمال والنشاطات اليومية التي أقوم بها، فأخذه معي عندما أخرج من البيت لزيارة أختي أو التسوق. ولكن تصرفاته الطفولية تسبب الإحراج لي أمام من لا يعرفون وضعه وينظرون لنا بنظرات الاتهام بالإهمال، خاصة عندما يرفض العودة إلى البيت أو الخروج من المول أو أماكن التسوق؛ فالناس ينظرون ويرون رجلاً أمامهم ولكنهم لا يعرفون حقيقية عمره العقلي ومعاناة أسرته. وكثيراً ما أسمع كلمات اللوم من الناس معتقدين بتقصيرنا في علاجه، أو أرى نظراتهم مستكبرين ومعتقدين بأنني أسئى إليه.

وبسبب وباء كوفيد 19 (كورونا) الذي حلّ بديارنا، زادت أوضاع الحجر في البيوت، وزاد إغلاق المراكز الخاصة والمدارس الأوضاع سوءاً على الطلبة وذوي الاحتياجات الخاصة لأننا أصبحنا نلتزم بيوتنا معظم الوقت، وإذا خرجنا يرفض ابني المريض العودة إلى البيت أو الركوب أو النزول من السيارة. إنني أقضي معظم الوقت معه، وأحاول إشغاله بما أستطيع من النشاطات. إنه تحد كبير، أدعو الله أن يعينني عليه، وأدعو أن تقوم الجهات المسؤولة بإنشاء مراكز للتربية الخاصة للأكبر عمراً، وأن تقدم لهم الخدمات التي تستطيع من خلالها دمجهم في المجتمع. ولا نقول إلا: الحمد لله دائماً وأبداً على كل حال.

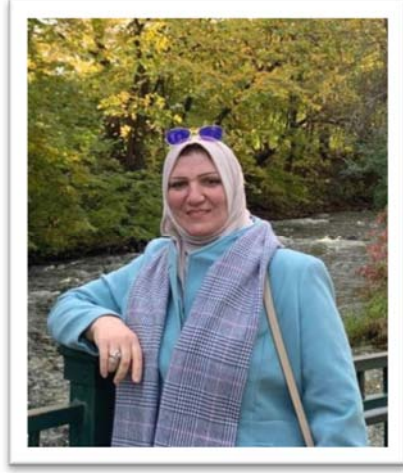
الكاتبة في سطور

- أمل نعيم طوقان، مواليد عمان، الأردن. حاصله على الثانوية العامة من مدرسة سكيبة بنت الحسين، وعلى بكالوريوس في اللغة الإنجليزية وفرعي آثار عام 1977 ودبلوم عالي في التربية عام 2001 من الجامعة الأردنية.
- عملت في وزارة السياحة والآثار لفترة، ثم عملت ما يزيد عن عشرين عاماً في مجال التعليم، وكمديرة مدرسة.
- حالياً، متقاعدة، وأرملة وأعيش مع ابني الأصغر عبد الرحمن وهو من ذوي الاحتياجات الخاصة، ومتطوعة وعضوة في الهيئة الإدارية لإحدى الجمعيات الخيرية التي تعنى بالأيتام والفقراء.
- أقضي وقتي بالقراءة والاهتمام بالزراعة والتدريس بين وقت وآخر، ولدي ثلاث بنات متزوجات وولدان. أحدهما متزوج، ولي من الأحفاد تسعة.

الفصل الثالث

اميرة بين الغربية والوطن

بقلم : اميرة حمدي زلوم



سيده مجتمعه

ولتبدأ حكايتي،، رغم أن جعيتي مليئة بالأفكار والحكايات والخواطر والذكريات، ورغم أن في حياتي الكثير من التحديات، إلا أن الأفكار والموضوعات تصارعت في رأسي، كيف أبدأ وبماذا أبدأ؟؟ هل أبدأ بقصة زواجي وغربتي لسنوات طويله ولا تزال؟ هل تبدأ بإصابتي بمرض السرطان والتحديات التي واجهتني خلال مرضي؟ هل تبدأ بعودتي لإكمال دراستي الجامعية بعد انقطاع دام خمسة وعشرين عاماً؟ وهل تبدأ بحنيني لوطني ولأهلي؟ وما تفعله بنا الغربية وما يفعله بنا فقدان الأهل والأحباب في الغربية؟ أو تبدأ بفلسفتي ورأبي عن الظلم الاجتماعي التي تتعرض له المرأة؟ أو عن حكايات مجتمع السيدات؟

لا أدري كيف سأبدأ؟ ولكن سأذكر بداية كم كنت سعيدة لأنني سأكون جزءاً من هذا الكتاب، ليعبر عني وعن كثير من مواطني وأفكاري ومشاعري التي أكتبها وتعبر عن بعض مني. بداية سأعرف بنفسي، وأروي حكاياتي التي ربما تشارك آلاف النساء معي فيها.

بداية

اسمي، أميرة، محظوظة لأن جدتي لأبي كان "اسمها أميرة"، سميتُ أنا على اسمها وذلك حسب عادات الأهل وتقاليد المجتمع. أحببتها وأحب اسمها، كانت الجدَّة بركة البيت والإحساس بالأمان، لها الدور الكبير في ترابط العائلة والأثر الجميل في غرس القيم من خلال أحاديثها معنا كأحفاد؛ فقد علمتنا الذوق والأدب ومعنى الأصالة والوفاء

أنهيت الثانوية العامة في عام 79-80 ودخلت جامعة الخليل كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية. كنَّا أول دفعة في القسم الذي كان قد تأسس حديثاً، كنت سعيدة جداً في دراسة التخصص الذي أحب. رغم حبي الشديد للغتي العربية.

في السنة الثانية تقدم لخطبتي صلاح الدين محمد الشريف كخطبة تقليدية عن طريق والدته التي جعلتني أحبها وأرتاح لها ولهم كعائلة من خلال زيارتها المتكررة برفقة أخته التي كانت زميلة لي بالجامعة، تعارفنا وتم الاتفاق بين الأهل وتم الوعد بيننا إلى حين عودته حيث سافر مضطراً إلى عمله، وبقي التواصل بيننا عبر الرسائل الورقية بألوانٍ سماويةٍ ووردية، ميزتها أي ما زلت محتفظة بها مع ألبوم للصور منذ ثمانية وثلاثين عاماً، معبراً بكلمات الشوق والحب التي كان مبدعاً فيها، فلم يكن هناك محادثات فيديو عبر التت كما الوقت الحالي ولا مسجات صوتية ولا واتساب. في حين توثقتُ علاقتي بوالدته اللبقة المُحبَّة واستمرت محبتنا بصداقة ونُصحٍ منها واحترامٍ متبادل طوال حياتها دون شوائب، وبأخته الصديقة الصدوقة إلى يومنا هذا، عاد من سفره وتزوجنا على أن أكمل دراستي برفقته في السعودية.

عشت الحياة بحلوها ومرّها كأبي زوجة مغتربة بين الرفاهية والهدوء والهناءَ والمحبة وبين الكلل والملل وتجاوز المطبات والطبطة... أهم أولوياتي الاهتمام ببيتي وأسرتي والتركيز على تربية أبنائي ومذاكرتهم؛ لذلك لم أواصل دراستي مباشرة، لكن الدافع الذاتي والإصرار بقيا مرافقين لي إلى أن أكملت دراستي الجامعية بعد حوالي ٢٥ سنة بدعمٍ من زوجي الذي طاب دربُ العُمُرِ برفقته.

مشوار تحدي الذات

في أول زيارة تعارف للجامعة في السعودية تملكني شعور من الرهبة، وتساؤلات أخذت مكانها في فكري؛ فقد لا أنسجم مع طلبة معظمهم من جيل أبنائي، وقد أجد صعوبة في البدء بعد انقطاع طويل عن الدراسة والمذاكرة.

وفي زيارتي الثانية تعرفت أكثر على الجامعة بإدارتها ومحاضراتها ومكنتها، وشربت فنجان قهوة برفقة إدارة الكلية، وحصلت على كثير من الإجابات للأموال التي ستواجهني خلال دراستي وشعرت بارتياح للبدء. توجهت إلى قسم التسجيل وسجلت أكبر عدد ساعات ممكنة للفصل الأول. ورغم محاولة موظف التسجيل إقناعي للاكتفاء بعدد بسيط من الساعات كبدائية، إلا أن الحماسة والهمة العالية وتحدي الذات والثبات هي أمور كانت تدفعني للاستمرار.

بدأت حياتي الجديدة كطالبة مرة أخرى، أذهب يومياً إلى الجامعة بنشاط وحماس كبيرين، ومن جميل الذاكرة أنني كنت أذهب مع زوجي في بعض الأيام بسيارة ابنتنا معتز، عاشق سيارات السباق الرياضية كنوع من التغيير، كان مشوار الدراسة مُجدياً وكانت خطوة جريئة ممتعة كسرتُ بها روتين حياتي السابق وملأت بها الفراغ الذي كاد أن يقتلني بعد خلو البيت من أبنائي بعد سفرهم للدراسة.

أذهب إلى الجامعة في الثامنة صباحاً وحتى الثانية ظهراً أقضيها مستمتعةً بين المحاضرات والبحث والأحاديث مع الزملاء، ولا بد من فنجان قهوة بين الوقت والآخر لي ولزوجي مع الإداريين والأساتذة القريين لنفسي، وبحكم كوني أمّاً وزوجة، سألني الطلبة باحترام وخجل: بماذا نناديك (أميره أو خالتو أو أم معتز)؟ أجبت مبتسمة: نادوني بما يريحكم فلا فرق عندي فنحن زملاء تجمعنا الدراسة. بحكم عمري، كنت أسمع فضفضة بعضهم، وأخفف عن بعضهم همومهم كوالديهم، وعشتُ أجواءهم الشبابية الجميلة من ضحك ومزاح، بثوا في نفسي الفرح والمرح وتبادلنا الدردشة والزيارات وتنافسنا في الدرجات. وأذكر حينها أنه إذا صعب عليّ موضوع كنت أرسّخه بالنسخ عدة مرات لأنتمكن منه، ولا أخفي أنني كنت أشعر بالتعب والتوتر إذا نقصت درجاتي عن الامتياز، لم يكن ذلك إلا تحدياً لذاتي وأحلامي وطموحاتي، (وتحدي الذات يُحيي الذات) وهكذا أراه.

تخرجت بتقدير ممتاز بفرحة غمرت قلبي وشعرت أنه لا مستحيل مع الإرادة والإصرار، وأيقنت أنه لا هزيمة مع العزيمة، فمن جدّ وجد، ومن زرع حصد، ومن سار على الدرب وصل. ومما زاد فرحتي ذلك العام هو تخرّج ابنتي علا في كلية الصيدلة بجامعة عمان الأهلية، وقبلها بعام تخرجت ابنتي سارة في كلية الحقوق بالجامعة الأردنية، وقبلهما ابني الأكبر معتز - تخصص إدارة أعمال -، وابني الأوسط محمد في كلية الطب، أما أصغر أبنائي فكان في السنة الثانية لدراسة الطب العام. وكل هذه التحديات من حولي أو لنقل الإنجازات جعلت لتخرجي وقعاً جميلاً على نفسي وأسرتي وشعوراً رائعاً بالإنجاز حققت به بعض آمالي.

كان زمان، طفولة حلوة وأهل وخلان

ما أجمل تلك الأيام، حينما كان أعظم هدف لنا: أين نلهو ومع من نلهو من إخوة وأخوات وبنات وأولاد وأعمام وأحوال وعمات وخالات وجيران وغيرهم؟! تسعدنا فطيرةً بالزعر الأخضر وترضينا قطعة خبز مقرمشة من صنع جدتي "بنكهة زيت الزيتون والملح والثوم"... كنا نتسابق بمرح وفرح لنقدم خدمة للكبّار بكل احترام ونحصل على "حبة حامض حلو" وكأننا امتلكتنا بها الدنيا وما فيها..

أتوق ليومٍ اشترى لي والدي حذاء المدرسة وذهبت معه لدوام أول أيام الدراسة وبداية المرحلة الجديدة، وطوال الطريق كنت أشعر باليد العظوفة المعطاة تمسك بيدي بكل حرص ترافقني و(تططب) على كتفي وتسدني وتمهد الطريق لخطواتي. أنظر إلى قدمي في أثناء المشي فرحةً بالحذاء الأسود اللامع الجديد تارة، وبالمربول المدرسي المخطط بالأبيض والأزرق متباهية حيث كَمَسَاتُ أمي تبدو على كَسْرَاتِهِ/ طياته الأنيقة تارة أخرى..

ولم أنس كلمات أبي حينها "تعودي يابا إنك تمشي دايماً ورأسك مرفوع فوق، لا تتحني! انظري يمينك ويسارك وانظري أمامك وخلي رأسك عالي فوق".....

نعود من المدرسة ورائحة فطائر السبانخ تشق الأنفاس وقد عمّت الأجواء كلها من بداية الطريق إلى البيت وبكميات لا تعد ولا تحصى، ولا نتذوق شيئاً دون أن يكون للجيران حصّة ونصيب فيه، حتى لماشي الطريق... نستمتع بمطبخ أمي الشهير المحشو بالجوز والقرفة حيث تقضي في إعدادها نهراً كاملاً.. نقضي ساعات طويلة باللهو والمرح حول البيت، نطيرُ فرحاً عندما نُطيرُ الطيارات الورقية التي اشتركتنا في صنعها، ونلعب لعبة الغمامية ونختبئ بين السنابل الخضراء التي توازينا طولاً ونترنح فرحين بين شقائق النعمان البهية. نجتمع بمتعةٍ ونعود لننام بهدوءٍ واطمئنان في أحضان الوالدين، نحلم بالماهي وأقصاها المراجيح، وكلنا نتذكر المراجيح الوحيدة في المنطقة.

كنا نصحو في منتصف الليل على يد حنونةٍ تغطينا ويلمسات العطف تغمرنا، ونستيقظ في أمان لا يشغلنا قريب ولا بعيد، نفتح أعيننا على حبات التين بقطرات الندى الصباحية ولم يكن الحليب والكورن فلكس حينها بل كان الخبز بالحليب وقليل من السمينة البلدية لتعطي دفئاً وطاقاً في أيام الشتاء. ولم ننس فتّة العجوز "فتوش زمان للي مالوش أسنان"، والمفروكة "رقائق بزيت الزيتون والسكر الشهية". أشتاق لكل شيء من زمان... أحنّ لناس زمان وبيوت زمان وحجارة زمان وأشجار زمان، أذكر عمتي الصغرى وهي تحمل (عيدان الدبق) فجراً لتنصبها على أغصان البلوط والسويد، تنتظر قليلاً ونظّل نرفرف فرحاً عند صيد عصفور أو بلبل، وكيف ننسى شجرة البلوط المُعمرة التي كنا

بالعشرات نستظل بظلمتها!! هي أرجوحتنا وهي ملاهينا، ودائرتها الكبيرة كانت مطعمنا ومنتزهنا وفسحتنا وكل سعادتنا... وما أجمل أيام البراءة والبساطة والذهن الصافي المرتاح.

خواطر أم مغتربة

مرت الأيام.. ومضت الأعوام كالسراب والأحلام.. وتغرب الأبناء الواحد منهم تلو الآخر لإكمال الدراسة في دولٍ مختلفة لم تكن بالحسبان يوماً، ولم أتخيل أبداً أن غربة الأبناء ستترك في نفسي أثراً بهذا الشكل ولهذا الحد؛ فلهيب الشوق تأجج وأصبح قلبي بالحنين مدججاً، ولست أدري ما الذي أعادني إلى أكثر من خمس وعشرين سنة ماضية، تذكرت بداية غربتي عن الأهل والوطن، تذكرت دمعات أمي وشوق أبي، لكنهم في وطنهم وعلى أرضهم، وبين أقاربهم، نظرت إلى نفسي فوجدتها تعيش الغربة غربتين: الأولى عن الأهل والشوق إليهم وقد تحملت وصبرت، والثانية عندما تغرب الأبناء للدراسة فكان في ذلك الكثير من عناء الشوق إليهم ولم يبق للحياة طعم بالبعد عنهم.

نظرت إلى البيت الكبير الذي كان يموج بفوضى الصبيان والبنات والذي لم يخل من ضحك ولهو ومزاح وجدال، جاعلين من غرفهم أحياناً ملاعب وأحياناً سهولاً وتلالاً، افتقدت تلك الفوضى الجميلة والمشاعبة اللطيفة، اشتقت إلى الطفولة البريئة بثغرها الباسم، واشتقت إلى موسيقى المراهقة بصوتها الصახب، افتقدت ساعات المذاكرة والواجبات، واشتقت لترجمة المفردات وإعراب بعض الجمل والكلمات، وإلى حل مسألة رياضيات، وإلى تسميع آيات كريمات أو قصيدة بأبيات متناغمات.

أخذت أنظر إلى أسرّتهم فرأيتها ساكنة، دواليبهم هادئة، مكاتبهم وأقلامهم صامتة، وحول المائدة أرى مقاعدهم ثابتة، نظرت إلى الجدران فرأيتها مزينة بصور مبتسمة بمختلف مراحلهم، ولكن أصحاب تلك الصور تفصلني عنهم بحور ومحيطات، فلم أحتمل شدة التفكير وكدت أفقد القدرة على التعبير، سوى أنني تنهدت من الأعماق... آه، ما أفسى غربة الأبناء.. آه، ما أصعب البعد عن فلذات الأكباد! ما أطول المسافات وما أبعد البلدان والقارات..! أكتب هذا وأنا واثقة أن كثيراً من الأمهات بإحساسي شاعرات.

إرهاق مغتربة

سئمت الغربة وشعرت أن مخالبتها تنهشني، وهذا الذي على مدى الأيام يؤلمني، يرهق أفكاري، يتعب أنفاسي. تحولت حياتي إلى انتظار.. فانتظار.. فانتظار.. أنتظر مكالمة مطمئنة عنهم في غربتهم، أنتظر نتيجة تثلج القلوب وتشفي الصدور. وأنتظر عودة ترفع الرأس وتُبهِج العيون. أنتظر الوقت الذي سيدفأ فيه جو بلادهم القارس والبارد بجنون؛ الجو الذي يجعلني أرجف من البرد حين أسمعهم يرددون: ثلاثون وأربعون تحت الصفر أو دون ذلك وأتساءل: يا ترى تدفئوا بالأغطية أم لا يفعلون؟! وهل قلب الأم يقبل أن يكون غير حنون؟! أَدعو الله دوماً بلم الشمل ولكن، متى هذا اللقاء... وفي أي بلد سيكون؟! أم نرضى بنصينا ونبقى بين أنحاء الأرض مشتتين، ولنا هناك وطن عريق اسمه فلسطين، ينتظر عودتنا بلهفة وحنين؟!!

لكن، رغم ما في الغربة من مشاعر الشوق والافتقاد للأهل والأحبة والوطن، لا بد أن أعتز بأن من إيجابيات الغربة وجمالياتها - بالإضافة لتحقيق الأهداف المادية أو العلمية التي تفرض عليك الغربة - أنها تمنحك فرصة ووقتاً للجلوس بأريحية مع الذات في هدوءٍ وصفوٍ وتأمل، كما تمنحك فرصة التعرف على نفسك الجديدة الناضجة، فتجعلك تناجي النفس وتسمو بالروح، وأجمل ما في الغربة أنها تجعل من الغرباء أصدقاء، ومن الأصدقاء إخوة وأخوات.

هدية أُمي في المستشفى

ذات يوم، رن جرس الهاتف صباحاً وتهاوت نبضات القلب قلقاً مع تلك الرنات المبكرة... فإذا بالمتصل يخبرني أن والدتي مريضة وترقد في المستشفى والأفضل أن أسرع في زيارتها لخطورة حالتها... لم أتردد لحظة، فجهزت نفسي على الفور وأحضرت ما يلزم للسفر بشكل سريع، وقد أخذت ثوباً كنت قد اشتريته في وقت سابق لأُمي لعلها ترتديه وهي معافاة بإذن الله، ودعوت ربي أن يمد في عمرها ويقبها أي ضرر.

وصلت عند أُمي بعد انتظار صعب في المطار وبعد عناء تفكير خلط بين الشرق والغرب... ما أشدها من ساعات!!!! لم أصدق نفسي أنني رأيتها وهي تتكلم ووجدتها شبه طبيعية... قبلت يديها ودموع الفرح في عيني واحتضنتني بكل فرحة مع استغراب شديد (شو اللي جابك بهذه السرعة يا بتي!! وأطالت النظر في وجهي متسائلة بينها وبين نفسها، يا ترى حالتني خطيرة لهذه الدرجة بحيث تأتي ابنتي من غربتها وبهذه السرعة!!!) قدمت لها الثوب الذي لم أكن أعرف مدى قيمته النفسية والمعنوية لها واعتبرته هدية رمزية لا غير.

بعد ساعات حضر الطبيب ليطمئنَ عليها ويطمئنها عن نفسها.. قال لها: أنت بخير يا حجة... فتفاجأت من ردها حين قالت: عرفت أني منيحة وأنى بخير يا دكتور لما بتتي جابت لي الثوب، لو أنها فقدت الأمل في حياتي كان ما جابت لي هدية. فنظر الطبيب إلي وفي عينيه لمعان دموع ترافقها ابتسامة وقال: الله لا يحرمكم من بعض، فبكيت من شدة الفرح لأنى لم أكن أعرف أن هذا الثوب البسيط سيرفع من معنوياتها لهذه الدرجة ويبعث فيها الأمل من جديد.

اللهم أدم الصحة والعافية على كل الآباء والأمهات، فلنكسب رضاهم ولا نضيع فرصة لبث السعادة في قلوبهم؛ ففي كبرهم يسعدون لأبسط الأمور من أبناءهم، فلتتذكرهم ولو بوردة أو بسملة أو بالإنصات لكلماتهم ولنبراتهم الخافتة الهادئة، أو بكلمة طيبة تجلب الراحة لقلوبهم المرهقة، فلتتقرب منهم وتأخذ من عقبهم ونرتوي من طيبتهم، ولا تشغلنا الدنيا عنهم؛ فهم بركة الحياة وأهم ما فيها.

ما أصعب أن تُغلق الأبواب بعد رحيل الآباء والأمهات!

رحلت أُمِّي بهدوءٍ وسلام، رحمها الله وطيب ثراها وجعل جنان النعيم مثواها، يوم الجمعة 10/3/2017. كان رحيلاً مؤلماً وشريطاً كالخيال يصعب استيعابه، لكنه قضاء الله وقدره المحتوم على جميع عبادِهِ ولا اعتراض على أمر الله... رحلت أُمِّي وانطقاً القلب وبهتت ألوان الحياة برحيلها، وكأنها أبَّت أن تطيل العيش بعد أبي الذي سبقها الرحيل يوم السادس من رمضان 23/6/2015، رحمه الله وجعله من عتقاء الشهر الفضيل.

اجتمعنا على إكرامه وتسايقنا على دلالة راجين الله شفاءه. ولكن عندما يعجز الأطباء الأبناء أمام وهن الآباء، وعندما يعجز الأطباء الأصدقاء أمام ما كُتِبَ وقُدِّرَ... تتألم بشدة وتندرك مدى ضعفك وقلة حيلتك أمام حُكْمِ الله وقدرته فتقف عاجزاً عن الكلمات سوى مناجاتك لرب السماء.

رحل أبي "الحبيب المُحب حمدي" الذي عُرف بحُبِّهِ وإخلاصه لأُمِّي كقلة نادرة من رجال زمانه، أبي التقوي الهنيء الأبوي، الرضي لوالديه، كريم النفس المعطاء بسخاء لأولاده، طيب الذكر محمود السيرة عند كل من عرفه.

قبلنا جبينه ويديه وابتسامته الرضى على وجهه ونظرات الاستسلام لله في عينيه، كان الوداع الأبدي، وكانت حرقة القلب موجهة حين أجبرنا الطاقم الطبي في اللحظات الأخيرة على الخروج.. خرجنا بعد وداعه. وعزما على تقبل أمر الله وأن نقوى أمام والدتنا لتقوى بنا، ولم تلتئم جراح الفراق الأليم حتى رحلت أُمِّي السيدة المربية، القائدة الصارمة، البشوشة، المرحة المحبوبة لدى القريب والبعيد. "انتصار التي لا تعرف غير القوة والصبر والنصر" رحلت وتركنا نعتصر أَلَمًا.

لم أنس كيف ودّعناك بوجهك الصافي المرتاح.. لم أنس كيف طلب مني أخي الأصغر د. ياسر بخفيّة أن أقص جزءاً من غرّة أُمّي لأنه اعتاد أن يقبل يدها ورأسها وشعرها غرتها على جبينها، وبشكل سريع طلبت المتقص من إحدى الممرضات وفعلت. ولم أنس التحية العظيمة من أخي د. عثمان العائد من كندا مع أسرته ليُدلّلك ويكرمك حين وقف وأدى لك تحية العظماء.. "كان مشهداً مؤثراً". كيف أنسى حرقة العيون والدموع الحارة في عيني أخي د. ناصر المغترب طويلاً في موسكو، والذي كانت تخبي له أُمّي كل ثمين وتتظر أن تراه عريساً لأحلى عروس ولم يحصل؟ ولم أنس وجوه أخواتي الثلاثة الحزينة التي تصرخ بصمت. وأخي الأكبر د. وائل حين وقف متألماً وكأن عيونته تدمع دماً؛ محاولاً أن يكون قوياً متماسكاً أمامنا ويُقبل جبينها قائلاً: ادعوا لها إلى جنات الخلد يا أُمّي. خرجنا جميعاً وراءها عند عتبات المنزل وسيارة نقل الموتى سارت أمامنا وكان جزءاً من قلبي المُتعب سار معها ورحل.

ما أصعب أن تُغلق الأبواب بعد رحيل الآباء والأمهات، أن يرحل أصحاب البيت الغالين على القلوب! وما أصعب أن يُطفأ نور بيتٍ كان دائم الإشراقه والحيوية! ليس سهلاً أن تُغلق أبواب اعتدنا أن تكون مفتوحة في الليل والنهار مرحبةً بالكبير والصغير من الجد إلى الحفيد، فبيت الجدّين بمثابة قلب كبير يتسع للجميع، قد كان بستاناً ومطعماً ومنتزهاً وملعباً واستراحة، كان أروع مكان يستقبل بشائر المسرورين ويتقبل فضفضة المهمومين.

كم يؤلمني رحيلكم، وكم يعز عليّ أنني لم أعد أشرب قهوة الصباح ولا شاي العصر برفقتكم يا أُمّي ويا أباي، "يا أهلي وجيراني ويا أغلى خلاني!" كأن الحي كله قد حُجبت عنه الشمس بغيابكما. مدخل البيت يناديكما والدوالي حزنت وهزلت لغياب من زرعتها وافترقت من دلّلتها، وورود الجوري ذُبلت ولم تعد تتفتح بألوانها المفرحة حزنًا على فقدان من روتها بحنانها. رحل الأحباب وأُغلقَت الأبواب وتغير كل شيء.

تلعثمت حروفي وغبشت عيوني ولن أطيل، وليس باستطاعتي إلا أن أتوجه إلى الله العليّ القدير بالدعاء لهما: اللهم ارحم "أُمّي وأباي" رحمة واسعة واغفر لهما وأحسن إليهما وأكرم نزلهما وأنر قبريهما وارأف بحالهما يا الله، وارحم جميع من سبقونا إلى الدار الآخرة واجمعنا فيهم في الفردوس الأعلى من الجنة يا رب العالمين. (وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) (الإسراء: 24). صدق الله العظيم. وأدعو الله أن يحفظ زوجي وأولادي وإخواني وأخواتي وكل أحبائي.

"هداك المرض"

كلمتان لا يجروُ غالبية الناس على نطقهما، والكثير منهم يذكر ونهما: "هداك المرض" (ذاك المرض)..! لهما وقعٌ مخيفٌ على جميع الأنفس وأنا من هؤلاء. حينما كنت أزور ابنتي عُلّا في آخر فصل في كلية الصيدلة، وكان سكنها أمام مركز الحسين للسرطان في الأردن، كنت أتجنب النظر في الياقطة لأني كنت أشعر برهبةٍ من اسم المركز وحتى المرور بالقرب منه...

كنت أرى في كلمة "سرطان" الشراسة في أسنان سينها والرعب في رائها، والخبت في عين طائها، وأرى العصا اللعينة في ألفتها، وأحياناً طوق النجاة ولطف الله في حضن نونها؛ كأن حروفها اجتمعت لتهيئ صدمة مفزعة للشخص إذا أنه مفاجئة.

مشاعر مختلطة بين الخوف من الرحيل الأبدي من الحياة والغياب عن الأسرة والأحبة وبين الأمل والتشبث بالحياة والإنكار والحزن والوحدة، كلها مشاعر وردود فعل طبيعية لمثل هذا التغير المفزع. في ذلك العام قمنا بترتيب رحلة ترفيهية إلى شرم الشيخ برفقة ابنتي للتخفيف عنها من ضغوطات الدراسة، وكانت الابنة الكبرى قد تخرجت وتزوجت وتقابلنا مع ابني الأصغر الذي كان يدرس الطب في مصر. كانت أياماً جميلة، وجزءاً من أحلامنا مع الأبناء قد تحقق.

في ليلة العودة إلى عمان ظهرت حبة صغيرة وكأنها لسعة نحلة أو ناموس فوق الثدي وتحت الرقبة دون ألم ولا لون ولا رأس، ولا أي شعور سوى الاستغراب والدهشة من ظهورها الفجائي. استشرت زوجي، وقال ليطمئني: توكلني على الله ما فيك إلا الخير. نعم، عدنا إلى عمان واضطر زوجي لمواصلته سفره إلى الرياض. والتقيت خالتي وقريبات لي فشجعوني لإجراء فحص الماموغرام في مركز الحسين للسرطان، ورغم تصوري المسبق لكلمة "سرطان" لم أتردد لحظة في الذهاب بكل عزيمة وكان مشاعر الخوف قد زالت.

أجري لي التصوير المبدئي، وطلبوا مني مرة أخرى إجراء فحص آخر، وهُنا زاد الخوف والقلق، وإذا بالطبيبة تقترب مني قائلة: أعرف أنك ستسافرين إلى الرياض، لكن عليك المتابعة وضرورة سحب عينه. توجهت إلى المطار برفقة ابنة عمي بحالة نفسية سيئة وقد فقدت التركيز حينها، وتأخرنا عن موعد الرحلة دقائق وتأجلت الرحلة لليوم التالي. وصلت الرياض وأنا أحاول تجنب أخذ عينه خوفاً من سماع جملة (هداك المرض). شجعني زوجي وابن عمه الدكتور أكرم الشريف ورئيس قسم الأشعة الدكتور ماجد دويك وتم سحب العينه، وكانت الصدمة أن الورم غير حميد، وهذا يعني أنه سرطان.

كانت لحظات صعبة حين اجمع عدد من الأطباء بعد استشارتهم في مراكز مختلفة على ضرورة إجراء عملية، والأصعب حين القيام بالتحضيرات والإجراءات لفحص PET/CT لكامل الجسم. قبلها سألت الطبيب عن ماهية جهاز الفحص لأكون على دراية بما يجري، فقال: حقن المادة الإشعاعية في الوريد. وهكذا أجد نفسي وحيدة لوقت طويل في غرفة مظلمة، بعيدة عن ابنتي الحامل في أول حفيذة؛ نظراً لخطورة المادة المشعة.. أفكار مشوشة، تهدة للنفس بما تيسر من القرآن. الشيء الوحيد الذي يخفف الأمر أن الجهاز غير مغلق كلياً. بدأ التصوير المقطعي وبدأ الجهاز يطلق إضاءة وإشعاعات متتالية... شعرت بخطورة الوضع وتذكرت قريبات وصديقات لي تُوفين في سن مبكرة في نفس المرض.. تذكرت أولادهم وتساءلت: كيف سأفارق أولادي؟! وكأني سلمت أمري لله وشعرت بتقبل الموت. انتهى التصوير ولم يعد بي قوة على الوقوف، كان زوجي ومن معه من إخواني بانتظاري، كلماتهم المزاحية الضاحكة تدعي الخير وملاحم وجوههم تعكس الحقيقة.

وجاء وقت العملية، ولحظات صعبة جداً عندما طُلب مني التوقيع على احتماليات عديدة حسب رؤيتهم في أثناء العملية، أغمضت عيني ووقعت دون أن أكمل قراءة السطور، مشوا بي على سريري في ممرٍ موحش.. ارتجف قلبي برداً وخوفاً.. دقائق وصرت في عالم آخر حتى فقت على يد (تطبطن) على كتفي هي يد الطبيب الذي أجرى الجراحة لي وبرفته مجموعة من الممرضات لن أنسى لطفهن، وصوت كلماتٍ بعثت بي أمل الحياة من جديد: أمورك تمام أميرة، الحمد لله على السلامة.

من تجربتي، لكل من داهمه المرض الخبيث طريقة في التأقلم مع الأمر مع اختلاف الحالات وتفاوتها، الكل يشعر بالقلق والتشتت الفكري والإرهاق الجسدي بشأن الأعراض الثانوية للمرض، والشعور بالألم، وكيفية العلاج والمراحل المقبلة وانتظار نتائج الفحوصات الصعبة، وظلمة غرف الأشعة ورهبة التصوير الطبقي وإزعاج الرنين المغناطيسي والطنين والتصوير الطبقي والتخيلات القاتمة، وسحب عينات الدم وانتظار النتائج، ومدى القابلية للاستجابة والتردد على مختلف المراكز واستشارة الكثير من الأطباء، والخوف من عودة الإصابة بالمرض لا قدر الله، عدا عن العلاج الجراحي، أو الإشعاعي، أو الهرموني، وربما الكيماوي.

فمن المصابين بـ "هداك المرض" من يبوح بحالته بأريحية، ومنهم من يرتاح بالسرية والكتمان؛ علماً بأن كل ابن آدم مُعرّض لمداهمة هذا المرض أو غيره من الأمراض الأخرى ومن مختلف الأعمار.

إصابتي بـ " هداك المرض " غيرت حياتي بشكل إيجابي أيقظتني ونبهتني .. آمنت بأن الإصابة به لا تعني أن أفقد الأمل وأنزوي جانباً وأنتظر الأضعف؛ فأنا أو من بأن الأعمار بيد الله: "وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْجِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (الاعراف: 34) "؛ فالثقة بالله وتسليم الأمر لله أساسان مهمان، مع المتابعة الطبية والفحوصات الدورية والرضى بما قسم الله ومحاولة التقبل ورفع المعنوية الذاتية قدر المستطاع والإيمان بأن العمر واحد: فـ "من لم يمته بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحد".

تقبُّل الأمر أو التأقلم يحتاج إرادة قوية كاضطرار التعايش مع العدو، تسايهه بشتى الوسائل وتقاومه وتحاط منه، قد يخذلك كخذلان البشر؛ فكم سمعنا مؤخراً عن صديقٍ عدوٍ خبيثٍ قاتل، وقد تدمم الصداقة بوقاية وحذر إلى آخر العمر؛ علماً بأنه من الممكن التأقلم مع المرض كبقية الأمراض المزمنة كالضغط والسكري وغيرهما.

عن نفسي: لم أنس أبداً وقفة رفيق دربي بجانبي؛ فقد لمست حقاً أن الرجال مواقف. ولم أنس مساندة أبنائي، ومن حسن حظي وجود ابنتي في حياتي؛ فهما سر سعادتي وحياتي، يشرق صباحي بمشاهدتهما وتبتل عروقي بحديثهما المشوق الداعم كلما ضَعُفْتُ. أذكر دعوات الخير وماء زمزم من أصدقاء العمر والأهل والجيران الذين أشعروني بمحبتهم الصادقة. اكتفيت بالمحبين ولم أكثر لمن حاول زعزعتي بتصرفٍ أو بكلمة بقصدٍ أو بغير قصد. وجدت أن وعي الأسرة ومساندتها ومراعاة المحيطين ومخالطة الأصدقاء الإيجابيين ممن يجلب الطمأنينة والسعادة، ولطف الممرضين والأطباء، ومحاولة الخروج من العزلة النفسية بالتنزه والمشى في الهواء الطلق والجلوس في الأماكن المريحة والابتعاد عن التوتر وعن كل ما يؤثر سلباً، كل ذلك كان له دور فاعلٌ في تخفيف أزمتي ورفع معنوياتي، وأثر على استجابتي للتحسن والتأقلم وإمكانية الشفاء بعد إرادة الله سبحانه وتعالى.

وبعد مرور عشر سنوات ها أنا أكتب هذه الكلمات حامدة شاكرة، سعيدة بكل يوم يمر علىّ وعلى أسرتي بتمام العافية. فرحتي لا توصف يوم زفاف ابني الأكبر الذي رُتّب بنفس تاريخ ميلادي وكأني ولدت من جديد عام ٢٠١١، وحين كُرِّمْتُ من مجلس العائلة عام ٢٠١٦ لتخرج ابني - آخر العنقود - طبيياً، فِرْحَةً بأحفادي بضحكاتهم، بظفرهم، بشهادات تفوقهم المدرسية، بالسباحة والفرسية، بحفلات أعياد ميلادهم، سعيدة عند رؤيتهم يرتدون بعض ما اشتغلت لهم من قطع الكروشيه بألوان الزهور، صَنَعْتُهَا بأناملي وعلى لساني، مع كل عُرْزَةٍ تسيحُ وشكرُ الله.

دردشة ع الماشي

بالزمانات لما كانت الغربية بُعِيع... كانوا الناس يخافوا ع اولادهم من الغربية ومن مصائبها الاجتماعية والأخلاقية ويظلموا يتصلوا فيهم ليل نهار عن طريق الجار أو الصديق اللي عنده تلفون ويلفتوا نظرهم ويوصوهم مليون وصية ووصية إنه الحياة برّا بدها حذر وانتباه وديرة بال... أخلاقك أهم شي... سمعتك راس مالك... اهتم لدراستك... إياك حد يوقعك.. إلك أهل حافظ ع سمعتهم، بدهم يرفعوا راسهم فيك... احذر بنات الحرام... ابعدهن عن الأماكن المشبوهة وإياك تختلط بناس حوليهم شكوك... إياك تأخذ حبة ما بتعرف شو هي ولا عصير غير اللي بتعرفه... كانوا يسمعون عن المخدرات وعن شي اسمه المافيات والعصابات وادعوا دايمًا لأولادهم الله يكف عنكم الشر ويحميكم ويسر إلكم أولاد الحلال في طريقكم..

معقول أهل الخواجات اللي برّا يصيروا يحذروا أولادهم من خطورة مجتمعنا الحالي فيما لو فتحت البلاد وصاروا يجوا أولادهم لِعنّا!!!! معقول صار الكذب والنفاق واللف والدوران ذكاء وشطارة!!! معقول صار عنا مزارع حشيش ومخدرات ويوت ال "ما تسمى" وووو.....!!! معقول صار عنا وجود مافيات السرقة والنصب والاحتيال أمر عادي!!! وعصابات الغدر والإسقاط والخيانة أمر بسيط!!! بتساءل عن الكرامة العربية وعن المجتمع الأصيل!!!! بتساءل عن دور الأهل اللي لبسوا نظارات العمى عن بناتهم وعن شبابهم!!!! معقول انقلبت الموازين وصار مجتمع شعب الجبارين مجتمع بُعِيع!!! يبدو أن المجتمع زي البطيخ انت وحظك!!!.

أحب بلادي وأريد أن أفخر بمجمعي وأنا فرد من مجتمعي. إصلاح الذات ضرورة والحرص على سلوكيات الأبناء والبنات واجب، الأطفال منهم والشباب وحتى المتزوجين والمتزوجات، وأيضاً نحن السيدات والسادة من ذوي الأحفاد كل منا مسؤول... مخافة الله وتقواه والحذر والتوجيه والإرشاد والأخذ بالنصيحة والرجوع إلى الصواب، كلها أمور أساسية لحماية المجتمع من فساد الأخلاق.

هدية الحياة

عش أيامك عش لياليك خلي الدنيا تفرح فيك، هكذا تقول الأغنية؛ فهما واجهت من ضغوطٍ نفسية أو متاعب صحيةٍ ومهما اعتزّصت حياتك المصاعب والشدائد تُثق أن الله على كل شيء قدير وهو اللطيف الخبير وهو الرؤوف بعباده وهو الرحيم. كُنْ على يقين بأن المراحل العصبية ماهي إلا سحابة صيفٍ وتزول، وأن داوم الحال من المحال. تمعّن بزوغ الفجر وإشراقه الشمس بعد ظلمة الليل

الحالك، واجعل الطمأنينة والسلام الداخلي سلاحين تقاوم بهما متاعبك بعيداً عن أي استسلام. تنعم في كل يوم تعيشه فهو هدية من الله عز وجل... حاول أن تستمتع بهديتك هذه بتفكيرك الإيجابي لمختلف أمور الحياة؛ فالحياة ما هي إلا أيام وساعات ولحظات أكرمك الله بها فاهنأ بها واغتنمها.

إن لربك عليك حقاً وإن لنفسك عليك حقاً؛ فعند استيقاظك بدايةً اجعل النوايا سليمة في فؤادك وأرض خالك بحسن عبادته.. ابدأ نهارك بفتح نافذتك لإشراقة تشع بالأمل وتبهج بالتفاؤل، وتنفس الصعداء برضى وقناعة.. استمتع عند احتسائك قهوة الصباح وتمتع ببطيرة اللبنة أو الجبنة أو لقيمات الخبز بالزيت والزعر مع كوب الشاي بالنعناع؛ فهناك من حُرِم الأكل وشح طعامه بسبب فقر أو مرض أو سجن أو حرب.

استمتع عندما تلبس؛ فهناك من يتوق لارتداء لبسة جديدة ومن يتمنى ملابسك التي استهلكتها وتريد التخلص منها، قد تشعره بالشكر وبهجة العيد.

تمتع بنسمات الهواء العليل عند المشي؛ فهناك من يتمنى أن يقوم من مقعده المتحرك أو من سريره ويزيل جهاز التنفس الاصطناعي ويقف ليخرج ويرى بزوغ الشمس ورُرقه السماء وسعة الفضاء.. استمتع بنعمة حواسك فهناك من يفتقد إحدى الحواس من سمع أو بصر أو حركة أو غير ذلك؛ فلا تتخيل نفسك بهذه الحال ولو لدقائق.

افرح عندما تام هائناً مراتح الضمير، لم تؤذ أحداً ولم تسيء لأحد ولم تخدع ولم تكذب ولم تظلم ولم تحمل على كفتيك ذنباً؛ فهناك من ينام بلا دين ولا ضمير ولا خلق ولا حتى حُسن تفكير. اعلم أن الجمال جمال الروح قبل الجسد، وأن العمر بالعطاء لا بالسنوات، وأن سمعة المرء باقية تتحدث عنه خلفه، وأعماله مدخرة ليحدها أمامه وينال أولاده وذريته من حسنها أو سوءها الكثير.. عش كل مراحل عمرك برضى فلكل مرحلة جمالها وروعها وإنجازاتها.

احمد الله على تمام صحتك واشكره عند مرضك، فلو زرت المستشفيات لوجدت نفسك في نعمة عظيمة وحالك أفضل من الكثيرين، وكم من مريض رضي بما قدر الله وتخطى المعاناة وتوكل على الله ورجاه، فأكرمه سبحانه بالشفاء والنجاة وتمتعه بحياة رغيدة كريمة وغير نظرت له لمعنى الحياة وأدرك أن الله لا يأتي بأمر إلا وله في ذلك حكمة.. كن قوياً واجعل الآخرين يستمدون القوة منك وتذكر أن الحياة لا تقبل الضعفاء.

اهنأ ببساطة عيشك فهناك قصور وبذخ وترف لأصحاب أموال حُرِم أصحابها من السعادة الحقيقية لأسباب خفية غير ظاهرة ولا معلنة. افتخر بإنجازاتك وإن كانت غير عظيمة فبداية الغيث

قطرة. أشكر الله على كل نعمة حولك: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) (إبراهيم:7). واهناً بأسرتك، بأطفالك، بوالديك، بأهلك، بأحفادك، وبوجود محبين أو أفياء من أصدقاء وجيران، وتذكر دوماً أن الدنيا مازالت بخير وإن كثرُ القساةُ فيها والمحبطون.

تذكروا قوله تعالى: (وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (البقرة: 237) فلا تنسَ أبداً فضل والديك وشريكك في الحياة وكل من ساندك من محبيك يوماً ورسم الابتسامة على وجنتيك حالاً ضعيفك أو أزال الهمَّ عن قلبك وفرَّجَ عنك كربتك.. اجعل من يراك يستبشر بطلَّتِكَ يدعوك ولا يدعوك عليك. وختاماً، انثر الخير حولك قدر استطاعتك لتحلوا لك الحياة وتحلوا بك.

مجتمع السيدات

كما هو متعارف في "المثل الشعبي" بين مجتمعنا كسيدات. لولا الصديقات والجارات لتراكت ولربما انفجرت في المرارة الحصوات. لكن، هناك بعض من الجلسات لا نجد فيها إلا فطائرَ ومعجناتٍ. وتبدأ بمشروباتٍ وتنتهي بحلوياتٍ وتتخللها فاكهةٌ وفكاهات. تقضى الجلسة بالحديث عن الملابسِ والثمين من العباءات. بلا جديد أو مفيد من المعلومات. تُجرى مسابقات في التنافس والتباهي والتفاخر بأغلى وأرقى الماركات. والنتيجة: فوزٌ بكلماتٍ بالهواءِ مُبعثراتٍ أو خسارةٌ لأخرى متطايرات. فلنرحم العقول التي احتارت والأجسام والأقدام التي أنهكت. بين الإكسسوارات والتحف والفاطات * (جمع فاطة، وهي آنية الزهور). سئمتنا بعض القنوات التي أصيبت بحمى الآفات وأمعنت في التشوهات. واشتكى الهاتف من طول المكالمات وهول المسجات وضجر المسؤول عن دفع ثمن المكالمات. العلاقة بالبشر ضرورةٌ كضرورة المطر، هذه سنة الحياة ولكن!! علمتنا الحياة بمرور السنوات أن العلاقة مع البعض كعلاقة راكبي القطارات، يجتمعون في محطة، ويتسلون لساعات، وبعد الوصول ربما لا يكثرث الواحد للآخر مدى الحياة.

إلا ابن أصلٍ عريقٍ توقظه الأصالة والعراقة فيبحث عن رفيقه وراء المحيطات.
إلى متى الاستسلام لهذه الحال؟ فلنفتح الأبواب نحو تفكيرٍ مجدٍ.
وسيرٍ هادفٍ أو عملٍ فعال.
نُحصن أنفسنا لمواجهةِ أيابِ زمنٍ لم يكن بالبال.
لِمَ لَمْ نتحَيَّن الأوقات لما فيه نفعٌ... وأنفعها آياتِ كريمات.
ننفعُ ذاتنا، أولادنا، أحفادنا، كما تنفع آخرتنا الأعمال.
نتعلم ما نرغب من لغاتٍ وما نلمسه مُجدياً من نشاطاتٍ وهواياتٍ.
بينَ معاهدٍ وفنونٍ وثقافاتٍ ودوراتٍ تدريبيةٍ وبرمجياتٍ.
لنعيش تكنولوجيا العصر ونعرف ما يدورُ حولنا من تغيّراتٍ.
نحن في زمنٍ تتراحمُ فيه المدخلاتُ وتتنافسُ فيه التطوراتُ.
لَمْ نعتبرها مُسلّماً! فهناك إيجابياتٍ وهناك سلبياتُ.
ولكننا كأهاتٍ مسؤولاتٍ لمحيط أولادنا مدركات.
نكشِفُ ما يجولُ في قلوبهم وما يغزو عقولهم من غزوات.
نتفقد الجوال والشبكات وما يبنون من علاقات.
فما حكمهُ حرام بعد فترةٍ من التعود يصبحُ من العادات والمقبولات.
فلنقهِم من كل خللٍ وضررٍ فهم في أعناقنا أمانات.
نُمهد لهم الطريق ونبعدهم عن الحُفْرِ والتحويلات.
ولكن لهم "بوصلَةٌ" في الغربة تدلُّهم وتوجههم قبل الضياع في المتاهات.
نُرشدهم ونقنعهم ونُخلصهم من شوائب العادات.
نشاركهم الأحاديث ونبادلهم الآراء بحُلُو الكلمات.
لولاهم لما تذوقنا الحياة، ألا يستحقون منا أئمن الأوقات؟!
ألا نستحق...! ويستحقون منا أئمن الأوقات!!

أين الوفاء!!

رجل سبعيني يقوده ابنه على كرسي متحرك وابنه الآخر (يطبظب) على أكتافه ويدلّك له عظام ظهره وأضلاعه المتآكلة بطلب متكرر منه وبصوت خفيض كله ألمٌ وأنين. لفتني ذلك المشهد بينما كنت في صالة الانتظار لمراجعة طبية، حزنت لمشهد الأب وسررت بمشهد الأبناء البارين. لم أتمالك نفسي بالنظر فحسب بل اقتربت من زوجته وأبنائه بعدما أخذته الممرضة لغرفة الأشعة وقلت لهم: "الله

يشفي والدكم والله يرضى عليكم، دللوه وأكرموه، الدنيا فانية، بكرة بروح، حاولوا تسعدوه قدر المستطاع".

تفاجأت من رد والدتهم التي هي "زوجته" حيث قالت: "بس إن شاء الله متى يروح، هو تعب وتعبنا معه. بكفي!!!!!!".

قلت في نفسي: "شكلها الحجة (زهقانه)... بس ما تنسي يا حجة هذا كان في يوم من الأيام حبيبك وكان زوجك وأبو عيالك ويمكن كان سنك في الحياة. بس اعلمي بأصلك يا حجة عشان العشرة والعيش والملح، الدنيا رايحة". تركتهم ولسان حالي يقول: "تَبَّاً للْحُبِّ إن لم يكن في النهايات كما كان في البدايات".

اليوم العالمي للمرأة

في يوم المرأة العالمي أتمنى أن تنال نساء العالم كامل حقوقهن وأن تحظى كل واحدة منهن بالتقدير والاحترام، وفي مجتمعنا خاصة أتمنى أن يسود العدل في المعاملة.

نحن لا نريد مساواة المرأة مع الرجل؛ بل نريد إنصافها في المجتمع وإعطاءها حقوقها التي منحها الله لها، ويقدر ما أفرح بمجتمعنا المتكافل المتعاطف المحافظ المحترم بقدر ما أتساءل "دون تعميم": "أين مخافة الله عند مناصرة الرجل في كثير من الأمور حتى وإن كان على خطأ؟! ولماذا إلقاء اللوم على المرأة في كثير من الأمور وإن كانت على صواب...!!؟"

المرأة اليوم، ارتقت وشغلت شتى المناصب بحكمتها وبتميزها العلمي وحنكها، هي الملكة والوزيرة والأميرة، هي المعلمة والمهندسة والمحامية، هي الإدارية والصيدلانية والطبيبة والمستشارة، وهي ربة المنزل الفنانة المبدعة التي تحافظ على بيتها وتحرص على زوجها وتهتم بأبنائها، هي النصف اللطيف في المجتمع، هي الحنوننة بطبيعتها، وهي السخية بغيريتها، في طفولتها تتعلق بأبويها وإخوتها، وفي صباها تتفاخر بهم وتتعش بمساندتهم.

تتزوج وتترك من تعلقت بهم وترتبط برجل من أسرة قد تكون مختلفة في كثير من الأمور، تحاول التأقلم، وتنجب وتعب فتصبح معطاءة مدرارة لأبنائها؛ مُحبة مساندة لشريك حياتها، ولم يزل في قلبها مساحة ثابتة لأبويها وإخوتها. قد يقدرها الزوج وأهله وهي دخيلة "كضيف خجول" عليهم، وقد يدمرون حياتها منذ البداية إذا كرهوا منها تصرفاً سواء كان مقصوداً أم غير مقصود.

للأسف، الحل الأسلم لكثير من الخلافات في نظر الكثير في مجتمعنا الذكوري هو أن يزوجوا ابنهم من ثانية وربما ثالثة وحتى رابعة مستغلين الشرع، ولا يكون إلا تحدياً وعناداً متناسين مشاعر الأم ومشاعر الأطفال إن وجدوا، غير مباليين بالنتائج التي قد تهدم الأسرة وترزع استقرارها..

وفي حال كبرت الفتاة في السن وتأخر نصيحتها في الزواج أو لم تتزوج فإن المجتمع يهشمها، وفي حال انفصلت المخطوبة عن خطيبها أو الزوجة عن زوجها تلقب بالمطلقة فتكثر حولها الثرثرة وترسم حولها علامات الاستفهام وتحيطها بالمنوعات وتخفقها المحظورات، عدا عن الاتهامات والإشاعات، ولن يتقدم لها إلا من عفا عليه الزمن أو من ساءت ظروفه، وقد يتركها الشبان ويتهافت عليها الشبان.

وفي حال تعدد الزوجات، قد يخلق الرجل أسباباً لا تخطر على بال لتبرير زواجه، مع أن الشرع معه إن استطاع العدل، "ولكن عن أي عدل يتحدثون هذه الأيام؟! وقد تُتهم بالتقصير أو تُتهم أنها معتلة جسدياً أو مختلة عقلياً بعد أن تسبب لها بالجنون من تسلطه وتمرده وسوء سماته، وأحياناً من بخله وعسر تعامله، وأحياناً من اتباع أوامر أهله ومحيطه، وأحياناً من شربه للمحرمات وانسجامة معها واتباعه للشهوات وغيابه عن أسرته وعدم الاكتراث لزوجته وأبنائه وإهماله لحقوق بيته، وتكون هي قد صبرت وتحملت وحاولت العيش بوثام وسلام؛ متبعة المثل القائل "غلب بستيرة ولا غلب بفضيحة"، قلبها يتمزق ألماً على فلذات كبدها إن فكرت بالانفصال عن زوجها وكأن المجتمع يبرر أفعاله بقوله لها: اصبري وتحلمي إنه زوجك وأبو أولادك، ولكن إلى متى هذا الهوان؟!

وفي حال تزوجت ولم يكتب لها الإنجاب لمشكلة لديها، فإنه يبرر له على الفور الزواج بثانية ولا اعتراض على شرع الله، إلا أنه لو حصل العكس غالباً لا تسمح لنفسها بالانفصال عنه، بل تكمل المسيرة معه؛ محاولة إقناع نفسها بأن ترضى بنصيحتها، وفيما لو أنجبت بنات دون صبي يبقى المجتمع يذكرها مع كل رشفة فنجان قهوة "في عوضك بالصبيان"، وكأن البنات غير معترف بهن، وهل يدري أحد منا أين يكون الخير!!

في حال السفر في مجتمعنا، كثيراً ما يترك الرجل زوجته تاركاً لنفسه العنان بالسفر والترحال، وكثيراً ما يكون مقتدرراً وباستطاعته أن يسافر برفقة زوجته وحتى أبنائه البلدان كافة، لكنه تجده يتجول في العالم تاركاً إياها حائرة بين (كركة) المطبخ وضجيج البنات والصبيان؛ كاتمة أنفاسها؛ مخفية همها لولا ملاحظة البعض والحيران وظهور تضاريس الحزن على وجهها الحيران.

في حال الميراث في مجتمعنا قد تُحرم المرأة من حقوقها، وقد يتلاعب الورثة الذكور بحقوقها المشروع... كأن يمنحوها جزءاً كترضية، وإن طالبت بكامل أو حتى بجزءٍ يقطعها وتصبح منبوذة مكروهة وقد تلقب بقليلة الحياء ولا خير فيها... ولكن أين حقوق الله وأين ضمير الإنسان؟! أين الصلاة والصيام، وأين الإمامة ورفع الأذان؟!

حبذا لو يلتفت مجتمع الرجال وبعض النساء إلى الصواب فلا يحللون ويحرمون حسب أهوائهم أو ما لا يروق لهم ولمصالحهم، حبذا لو يتذكر الرجل أن المرأة هي الأم والزوجة، الأخت والابنة، الجدة والعممة والخال. وأنت أيها الرجل، أنت الأب والزوج، الأخ والابن، أنت الرفيق وأنت السند، كن خير الأصدقاء لزوجك فلا تخذلها ولا تقمعهما، كن لها داعماً وليس مانعاً إن طمحت، اشكرها جهراً إن استحقت، ليس عيباً أن تمدحها على المثل إن أحسنت أو أبدعت، عبّر عن حبك وأبد احترامك لها، وارتق عن العادات القديمة والعقليات المتحجرة؛ فهي منذ أن ولدت وأنت لها مصدر الأمان والأمان، ألا تستحق منك أن تمنحها الراحة والاطمئنان!! كثير من الرجال يعلمون أن المرأة تأبى الصعود والارتقاء إلا برفقتهم ولا تشعر بالشموخ إلا بمحادثاتهم. في يوم المرأة أقول لكل امرأة: كوني قوية جريئة ضمن حدود الأدب والأخلاق.

الكاتبة في سطور

- أميرة حمدي زلوم من مواليد الخليل، فلسطين، متزوجة من صلاح الدين محمد الشريف، لدينا ثلاثة أولاد وابتنان، يحملون شهادات في الطب والصيدلة وإدارة الأعمال والقضاء الشرعي.
- أحصل شهادة بكالوريوس في اللغة الإنجليزية من جامعة القدس المفتوحة في الرياض عام ٢٠١٢ وذلك بعد أن تخرج الأبناء من الجامعات، وحصلت على دورات في علم الحاسوب، كما عملت كمدرسة في كل من الخليل، وفي الرياض.
- أقدر الحياة الزوجية والأسرية، أحترم الرجل الذي يقدر المرأة ويساندها، أميل للوضوح والصراحة. قد أكون متحيزة للمرأة وحقوقها خاصة عندما تتعرض للظلم الاجتماعي.
- من هواياتي، تنس الطاولة، والمشي والتصوير، وعمل الكروشيه، والسفر مع زوجي. وحضور الدورات التعليمية والثقافية والاجتماعية والاعمال الخيرية والتطوعية. وقد شاركت في عدد من المعارض الخيرية للأعمال اليدوية التراثية الفلسطينية بين 2006-2013.
- لي مشاركات وخواطر منشورة في المجلات الطلابية وجريدة عكاظ السعودية.

الفصل الرابع

أوراق ملونة

بقلم: إيمان محمد الخطيب



Freelancer

كثيراً ما يجول بخاطري ولا يزال، أن أقوم بتدوين صفحاتٍ عن حياتي. وفي كل مرةٍ أهمّ فيها بالأمر لا أعرف كيف أبدأ، أو من أين؟ إلى أن جاءتني هذه الفرصة مع نخبة من السيدات الفاضلات لأعبر عن نفسي وحياتي وأقول ما أريد قوله.

إن ما أريد قوله ليس بالأمر السهل؛ فعندما يكتب الإنسان عن حياته ويستعيد ذكرياته يصعب عليه أحياناً التذكر، وتختلط مشاعره عند الكتابة عنها. ولكن الدافع الذي شجعني أكثر هو أنني أكتب مع مجموعة من السيدات اللاتي يشاركن تفاصيل حياتهن أيضاً؛ هذه الحياة والتجارب التي تعيشها كل النساء في كل بقاع الأرض، من التمييز والقهر والظلم والفقر، وحتى أولئك اللاتي سمحت لهن الظروف بالعيش في رفاهية وحرية، كما يسميها البعض، يواجهن صعوبات جمّة في العمل والشارع والمنزل، وهذا الصراع الأزلي الذي لا أدري كيف تم تقسيم الحياة بناء عليه. قد يستطيع المختصون في الأنتروبولوجيا وعلم النفس والاجتماع يوماً ما أن يجدوا الإجابة الحقيقية عنه.

صحيح أنني أحمل شهادة بكالوريوس في علم الاجتماع، ولكن التاريخ القديم والحديث لم يتركا لنا الكثير لتفحصه. والعيش في الدول العربية وما تواجهه المرأة فيها لا يزال تحدياً كبيراً، مع انتشار الأمية والبطالة والفقر والجهل، وعدم اكتراث الحكومات حقيقةً بأهمية دور المرأة الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ومشاركتها لمناحي الحياة كافة، وأنها ليست فقط للزواج والحمل والإنجاب والتربية ولإرضاء الرغبات الجنسية وأغراض المتعة. حتى مع وجود قوانين ضابطة وتجاوز بعض الدول عن نصرة المرأة ودورها، إلا أن نظرة المجتمع والعادات والتقاليد والعصبية القبلية التي لازالت تسيطر على مجتمعاتنا لا ترحم المرأة ولا تعطى حريتها حتى ضمن القانون كما شريكها الرجل.

نعم أودُّ أن أُعبر عني، وعمما يجول بخاطري من مقتطفات عن حياتي، التي تشبه الكثير من النساء اللاتي لم تتح لهن الفرصة للتعبير عن أنفسهن، وعن حياتهن من جداتنا وأمهاتنا اللاتي عانين أيضاً في ظل مجتمعات ذكورية متعصبة، وأود مشاركتها مع العالم والآخرين، علّ أحدهم يقرأها فيستفيد منها.

من أنا؟

اسمي إيمان محمد الخطيب من مواليد مدينة إربد سنة 1979، درست الابتدائية والثانوية في المملكة العربية السعودية، وعندما أنهيت دراستي الثانوية العامة سنة 1997، قدمت مع عائلتي: والدتي وإخواني إلى الأردن لإكمال دراستي الجامعية وتخرجت في كلية الآداب، قسم علم الاجتماع وفرعي في اللغة الإنجليزية وآدابها من جامعة اليرموك سنة 2002.

بدأت حياتي العملية عندما تخرجت، ولم يكن عملاً بالمعنى الحرفي للكلمة، بل كان عملاً تطوعياً غير مدفوع الأجر؛ فقد تطوعت مع العديد من الجمعيات المحلية الخيرية، تلك التي تهتم بالأسرة والطفل. كما تطوعت مع جمعيات نسائية أهمها جمعية النساء العربيات لاكتساب الخبرة، وخضت العديد من التدريبات وورشات العمل التي عرفتني على أناس كثر وعرفتني أكثر على بلدي الحبيب الأردن. ثم تطوعت في برنامج (إنجاز) الذي يعطي دورات تدريبية للطلبة في المدارس، وكانت تجربة جميلة ومهمة في مسيرتي العملية. ثم عملت بأول أجر مدفوع لي وكان الراتب (150 ديناراً أردنياً لا غير) مع إحدى الجمعيات وكانت تنفذ مشروعاً لدعم المرأة ومناهضة العنف ضدها، وكان عملاً ميدانياً عرفني وقربني من أبناء البلد أكثر وأكثر.

بعد ذلك أتتني الفرصة للعمل في مجال العمل الإنساني لتقربني أكثر من فهم طبيعة المجتمعات البشرية وتركيبها واختلافها فعملت في منظمة كير العالمية في برامج متعددة لدعم اللاجئين في الأردن

من كافة الجنسيات والمجتمع المحلي، وتدرجت فيها من باحثة اجتماعية وعاملة في الميدان في المناطق الحضرية وفي المخيمات إلى أن أصبحت أدير المشاريع وأعطى البرامج التدريبية. كما عملت في نفس نطاق دعم اللاجئين والمجتمع المحلي في برامج لدعم المرأة تحديداً مع الصندوق الأردني الهاشمي وتجمع لجان المرأة، كل ذلك كان بين العامين 2009-2017. بعد ذلك قمت بالتسجيل في برنامج لدراسة دبلوم مهني متقدم لمدة ثمانية أشهر مع مركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية في تخصص "دراسات اللاجئين والهجرات القسرية".

أما عملي الحالي والذي عملت فيه لأكثر من مرة منذ العام 2018 فهو في مجال العمل الحر والاستشارات، وهو عمل لطيف ولا يوجد به التزامات كبيرة، تعرفت من خلاله على العديد من الأشخاص، ولكنه لم يكن مجدياً على الصعيد المادي إلا إذا كنت تعرف الأشخاص المناسبين ولديك علاقات وخدمات متبادلة معهم.

الموت في زمن الكورونا (كوفيد 19)

عام 2020 يعتبر عاماً مرهقاً وصعباً ومأساوياً على العموم لجميع سكان الكرة الأرضية، عندما انتشر وباء (كوفيد-19) عالمياً. وانتشر انتشاراً واسعاً. ومع ازدياد أعداد الوفيات، تغيرت طبيعة الحياة والعلاقات الاجتماعية في جميع أنحاء العالم، ولم تكن حياتنا استثناءً لما يدور في هذا العالم. فعندما سمعتُ بأول حالة موت لقريب صديقة لي في أول أيام "الحجر المنزلي" الذي فرضته الدولة على السكان حماية لهم من المرض في شهر مارس من عام 2020. وسمعتُ وصفها للسلوكيات التي فرضتها عليهم طبيعة المرض للتعامل فيما بينهم وكيف أنهم اجتمعوا ستة أشخاص فقط لوداع المتوفي وللدفن، ولا يستطيع أحدهم أن يُسلم أو يقترب من الآخر أو حتى أن يربت على كتفه أو أن يحتضنه ليواسيه، والاكتفاء بكلمات قليلة تُقال: (عظم الله أجركم، وربنا يرحمه ويغفر له)، خاصةً في اليوم الأول للدفن. كان وضعاً غريباً لم أتصوره، وكان صوتها في وصفه غريباً عني، لم أعهده وكأنني أسمعها للمرة الأولى، بالإضافة لخلو الشوارع من الناس والسيارات وحتى الطيور والقطة والكلاب.

ولكن حصل وأن توفي والدي - رحمه الله - في نهاية ذات الشهر، أحسستُ بما وصفته من الغرابة والغربة في نفس الوقت. الغرابة بأن لا أحد يطرق بابك من قريب أو صديق ليعزيك أو يحتضنك ويواسيك، والغربة في بيتك الذي لا تستطيع أن تسمع فيه صوت أحد، فماذا كان يُقال مع غياب عمود

البيت الأب؟! حتى إخوتي عندما تلاقوا في المستشفى من أجل التغميس والدفن، لم يستطع أحد منهم أن يُسلم على الآخر أو حتى أن يُعزيه ويحتضنه، لقد تلاقوا كما الغرباء. وعندما أحضروا والدي إلى البيت لوداعه وإلقاء النظرة الأخيرة، كنا فقط أفراد أسرته إخواني الخمسة وأمي وأختي وأنا، دقيقتان فقط للوداع وقراءة سورة الفاتحة. ومشاعر الفراغ والغربة تزداد، الشارع خال من المارة، الحي خال من السكان، لا صوت للعصافير والطيور ولا للحياة سوى حفيف أوراق الشجر الحزين.

أما عند المقبرة فتلك قصة أخرى، كما وصفها أخي، قال: لقد كنا الخمسة وسائق سيارة الدفن والشخص المسؤول عن الدفن في المقبرة وشخصاً آخر، فقط ثمانية أشخاص صلوا عليه ودفنوه ودعوا له. وعلى الرغم من الحزن الشديد، إلا أن أخي وصف المكان بالسكون والهدوء، هناك على سفح الجبل حيث مقبرة شفا بدران تطل على وادٍ عميق وتمتد أمام الناظر مساحات شاسعة من الأراضي تصل الأرض بالسماء، وزخات خفيفة من المطر هطلت في ذلك اليوم، ونسيمٌ عليل يرد الروح للمكان الصامت الذي يحتضن الأموات في رهبة ووجل. ولو عرف والدي رحمه الله أين سيكون مقامه الأخير على هذه الأرض، لأحبَّ هذا المشهد كثيراً، فقد كان يُحب الهدوء كثيراً ولا يُحب أن يكلف أحداً عناء زيارته لا عندما كان مريضاً في المستشفى ولا عندما كان في البيت بعد خروجه من المستشفى. وكان الله قد حقق أمنيته في حياته، فهكذا كان في دفنه ومماته.

سبحان الله، الموت وحده حكاية غريبة، ويصبح غريباً وأكثر غرابةً وغربةً في زمن الكورونا؛ فلا أحباب يودعون بعضهم بعضاً بشكلٍ لائق، ولا تستطيع الكلمات أن تُعبر عن الموقف والحزن. رحمك الله يا والدي الطيب ورحم كل من رحلوا في هذه الأوقات العصيبة. ولنا الرحمة من بعدهم؛ فالقصة لم تنته بعد!

إيمان القارئة

عندما بدأتُ أقرأ دروسي وحدي دون أن يساعدني والداي، إلا عندما أواجه كلماتٍ جديدة لم تمر علي، كانت البداية عندما كنتُ في الصف الخامس الابتدائي، حيث كُنّا في إجازة ذلك الصيف في الأردن، كان يعمل والدي - رحمه الله - مُدرّساً في السعودية، وفي تلك الإجازة الصيفية أهدت خالتي لأمي ثلاثة كتبٍ شعرية لنزار قباني. وعندما عدنا من الإجازة أخفت أمي عنا تلك الكتب، ولكننا بعد فترة اهتدينا إليها أنا وأخي الكبير وقرأناها. ولا أدري لماذا أخفت عنا والدي الكتب؟ هل لأن أشعار نزار قباني تتعلق بالحب والمشاعر؟ أو لأنها تريدنا أن نشغل بدراستنا وكتبنا الدراسية؟ وربما لأننا كنا

أصغر من أن نقرأ أشعار القباني في ذلك الوقت. بعد ذلك قرأت قصة الكوكب النظير باللغة العربية واللغة الإنجليزية وكان عمري أحد عشر عاماً.

مكتبة الجامعة

أعرف بأن هناك سبع سنواتٍ بين بداية قراءاتي خارج المنهاج الدراسي والجامعة وبين....، ولكنني لن أكتب عن تلك الفترة، ليس لأنها لم تكن غنيةً بالكتب والقراءة؛ بل لأنني أحتاج أكثر من ثلاثين صفحة لوصف تلك المرحلة، لذلك سأعرج مباشرةً على فترة انتقالي إلى الجامعة. منذ أول أسبوعٍ لي في الجامعة، وقبل أن أحفظ أماكن قاعات محاضراتي، ذهبتُ لزيارة المكتبة، وأتحدث هنا عن مكتبة جامعة اليرموك سنة 1997. دخلتُ، وتجولت في طوابقها الأربعة طابقاً طابقاً، وطفُتُ بين أروقة كتبها رواقاً وواقاً، وألقيتُ نظرةً على رفوفها وما احتوته من كتب، حتى إن أحد العاملين في المكتبة حين رأني أتجول بين الطوابق سألني مرتين ما إذا كنت أبحث عن شيء معين؟ ولكنني أحبته بأنني أتجول فقط في المكتبة لأتعرف عليها وأنني في السنة الأولى في الجامعة. أذكرُ أنه ابتسم لي وهز رأسه ومضى في سبيله. ثم أصبحتُ أزور المكتبة كل يوم تقريباً، حيث كانت محاضراتي تبدأ عند الساعة الثالثة عصراً وتنتهي عند السادسة مساءً؛ فقد كانت تلك السنة بداية التعليم الموازي في الجامعة. قرأتُ كتباً كثيرةً واستعرتُ كتباً أكثر عندما كنت أدرس في الجامعة خلال خمس سنوات، لم أحص ما قرأتُ ولكن أعرف بأنني لم أترك علماً إلا وقرأتُ فيه، من العلوم الطبيعية والتطبيقية إلى التاريخ والجغرافيا، والعلوم الإنسانية، وعلم الاجتماع والنفس والسياسة، والتربية والآداب والروايات والشعر والمسرح والدوريات والمجلات العلمية والأدبية والفلسفية، وغيرها الكثير من المعاجم اللغوية والتعريفية.

كتب الرصيف

أمام مداخل الجامعات، لا بُدَّ أن تكون هنالك "بسطة" لبيع الكتب، بجانب عربات بيع الذرة المسلوقة والمشوية والفوشار والتسالي بمختلف أنواعها، بل وحتى الحلويات للباعة المنتشرين خارج أبواب الجامعة الرئيسية. لقد كنت أحب أن أطلع كثيراً على تلك الكتب المرصوفة على رصيف الطريق المغطاة بالغبار والتي تبعدُ بضعة أمتارٍ عن البوابة الشمالية والرئيسية لجامعة اليرموك في تلك الفترة. كتبٌ بسيطة صغيرة وعناوين كبيرة، أشعار نزار قباني ومحمود درويش، قصص أجاثا كريستي، مسرحيات شكسبير ومولير، روايات تولستوي ودوستويفسكي، كتب عن الجمال والطبخ، مجالات علمية وأدبية ذات تواريخ قديمة ومستهلكة. وهناك في جانبٍ بعيد، قد لا تصل إليه العين، كتبٌ في

الفلسفة والدين قابعة على استحياء تنتظر عيناً تَنْظُرُها ويداً تَطالُها. وكم كنت أحب ذلك الركن البعيد وأتسوق كل أسبوعٍ لأرى ما الجديد الذي يحتويه ذلك الركن.

مكتبة الفيقيق

كُنْتُ أسكن في منتصف السوق في مدينة إربد، في شارع الهاشمي، ولكثرة الطلب والزحمة على "السرفيس" أي "سيارات الأجرة" في شارع الهاشمي "كنت أنزل أحياناً في باصات "مجمع الشيخ خليل" وأمشي من هناك مروراً بـ "شارع بغداد وشارع السينما" لأصل إلى بيتنا في "شارع الهاشمي". كنت أمر على مكتبة صغيرة الحجم تعرفتُ عليها في أثناء عبوري في شارع بغداد وتوقفت عندها مراراً وأصبحتُ محطة أسبوعية، وأحياناً أمرُّ بها أكثر من مرة كل أسبوع.

مكتبةٌ عتيقة صغيرة ولها (سدة) "ملحقٌ في طابقٍ صغير فوقها" يُستخدم كمستودع، حتى إضاءتها كانت باهتة ويعتمد صاحبها على ضوء النهار أكثر من اعتماده على الضوء في داخلها. مكتبةٌ لها رائحة الورق العتيق، المصفر من القدم، رائحةٌ لا تشمها إلا في المكتبات القديمة. أسعارها كانت معقولة جداً بالنسبة لي، كطالبة في الجامعة لا يتجاوز مصروفها اليومي الدينار وأحياناً أجرة الطريق فقط، كنت أشتري كتباً أحياناً بثلاثين قرشاً وبخمسین قرشاً، وأذكر أن أعلى كتابٍ اشتريته من مكتبة الفيقيق كان سعره ثلاثة دنانير.

عالم المعرفة وعالم الفكر

عالمٌ آخر تعرفتُ عليه خلال زيارتي لمكتبة الجامعة، أنهل منه علماً مميّزاً جميلاً زادني رغبةً في القراءة أكثر وأكثر. كانت تصدر دورية شهرية، وكل شهر كتابٌ جديد ومجلة جديدة وحقل علمٍ جديد، وكتابٌ جديد وترجمةٌ جديدة. كنتُ أدخر كل شهر دينارين لأشتري هذه السلسلة الجميلة المتنوعة التي عرّفتني على كُتّاب العالم العربي والعالمي. وعرفتني أكثر على الدراسات والدوريات والجامعات في الوطن العربي وإصداراتها، وأدخلتني مجال الأبحاث من أوسع أبوابه. لا أذكر بأنني نسيتُ في شهر أن أشتري نسخةً من عالم الفكر أو عالم المعرفة إلا ما ندر وخلال سنوات مختلفة. ولا زلتُ أتابع هذه السلسلة التي أتمنى أن تستمر بعطائها لسنوات وعقودٍ مديدة قادمة لتستفيد منها الأجيال القادمة. شكراً لإصدارات عالم المعرفة وعالم الفكر من الكويت الشقيقة.

معرض الكتاب

لم يمرّ معرضٌ للكتاب داخل الحرم الجامعي إلا وكنت أحضره ومن رواه. صحيح أنها كتبٌ في أغلبها تخص الدراسة والعلوم التي كنا نتعلمها، ولكنها كانت فرصةً لي في نفس الوقت لأخذ معلومات عن طبيعة تلك الكتب وتنوعها.

أما معارض الكتب التي كانت تقام في إربد أو في عمان، فكنت أحضرها كلما تيسر لي ذلك. كمعرض "الكتاب الدولي في عمان"، خاصةً بعد انتقالنا من إربد إلى عمان سنة 2011، كنت أحاول أن أحضرها جميعاً وتلك التي كانت تقام في منطقة "رأس العين" في وسط البلد وفي "مدينة الحسين للشباب"، وحتى التي كانت تقام في "الجامعة الأردنية". كان التنوع الموجود في معرض عمان الدولي للكتاب يُحيرني، بأعداد دور النشر والتوزيع والمطابع التي كانت تشارك فيه من كل الدول العربية. وآلاف النسخ من الكتب المتنوعة التي تحتوي على كافة المواضيع ومختلف حقول المعرفة.

كما كان يثير تساؤلي عدد المواد التي نقرأها في عالمنا العربي ونوعيتها؛ فكل هذا التنوع وعدد الزائرين الذي يزداد يوماً بعد يوم، وسنةً بعد سنة، وما زلنا في ركن الأمم المتخلفة!!! فماذا يفعل أولئك الناس بكل تلك الكتب التي يشترونها؟ هل يقرؤونها فعلاً؟ هل يستفيدون منها؟ أم هل يتباهون بشرائهم لها ولاستكمال ديكور مكتبة المنزل، التي أصبحت ديكوراً مهماً من ديكورات المنزل العصري الحديث حتى لو لم تتم قراءة محتواها!!

نادي الكتاب

عندما انتقلنا للعيش في عمان، أحبيتُ الاطلاع على النوادي الثقافية الموجودة فيها، لم يكن هنالك الكثير منها وكنت أذهب لمعارض الكتب المُعلن عنها في الجرائد والمناسبات الثقافية الأخرى مثل العروض المسرحية والموسيقية والملتقيات الثقافية والمعارض الفنية على حسب طاقتي ووقتي. ثم تعرفت إلى مجموعة على الفيسبوك لديهم أنشطة اجتماعية وثقافية ورياضية وترفيهية متنوعة، اسم هذه المجموعة (أوت أند أبوت / منصة المواطن العالمي)؛ حيث ذهبْتُ أولاً في رحلةٍ معهم إلى وادي الموجب وكانت أول عهدي بالرحلات في عمان وكان ذلك سنة 2016. ثم بدأتُ أتُعرف إلى برامجهم ومجموعاتهم حيث هنالك مجموعة الرياضة والترفيه، ومجموعة نادي الكتاب، ومجموعة الدراما، ومجموعة مشاوير، ومجموعة دوائر التي تحتوي على دائرة نقاشية لمواضيع متنوعة، ومجموعة إيد على إيد.

المهم أن ما شدني أكثر هو نادي الكتاب، حيث كانوا يقيمون في كل يوم سبت من الشهر جلسة لمناقشة كتاب معين. فبدأتُ أحضر معهم هذه المناقشات والجلسات وتنوعت الكتب بحسب اختياراتهم ما بين روايات وقصص ومواضيع مختلفة واستضافات وكتب اجتماعية ونفسية وأحياناً علمية. وتنوع جمهورهم القليل نسيجاً، والذي تعرفتُ عليهم بعد فترة واكتشفتُ أنهم هم أنفسهم الذين يحضرون كل مرة، وأحياناً تأتي وجوه جديدة مع نفس الوجوه المعتادة.

ثم طلبوا مني الانضمام إليهم وأصبحتُ أشارك معهم في التيسير وتقديم الكتب التي أختارها؛ فكل شخص يقوم باختيار مجموعة كتب ونأخذ منها ونرتب مواعيدها على مدار الشهر وأحياناً لشهرين أو ثلاثة أشهر، وكل يوم سبت في الشهر يقوم شخص بمناقشة الكتاب الذي اقترحه لذلك الشهر. ولا زلتُ إلى اليوم أتواصل معهم وأسهمت بتقديم عدد كبير من الكتب ما بين الشعر والقصص والروايات والمسرح والكتب العلمية والاجتماعية والفلسفية والسياسية والاستضافة وغيرها.

أزبكية عمان (خزانة الكتب)

"أزبكية عمان" هو مبنى تراثي قديم للكتب النادرة والمستعملة، تعرفتُ عليه عندما بدأت بحضور جلسات نادي كتاب "أوت أند أبوت"، وهناك وجدت كتباً جميلة وكتباً لم أجدتها في مكتبات كبرى. والأجمل من ذلك أنني تعرفت إلى صاحبها حسين ياسين وأخيه. هاذان الشابان الرائعان كانا يستقبلنا بكل دفاء ومحبة عندما نلتقي هناك. يا لها من مكتبة جميلة تحتوي على كتب عديدة ونادرة في كافة العلوم والمعارف والآداب واللغات العربية والإنجليزية والفرنسية! وإذا بحثت أكثر قد تجد كتباً بلغات أخرى. والعديد من الدوريات والمجلات وكتب الأطفال والمعاجم؛ فهي مكتبة العائلة وكل باحث ودارس وقارئ ومثقف.

والأهم من المكان ذاته، هو الزمان الذي كنتُ أنتظره كل أسبوع بلهفة للقاء الأصحاب والأحباب الذين تعرفت عليهم، فيوم السبت من كل أسبوع وفي الساعة الخامسة والنصف كنا نلتقي لنناقش ونتدارس كتاباً جديداً ورواية جديدة وشعراً وحتى أفلاماً قصيرة نعرضها ونناقش محتواها. وقد كُنّا نلتقي قبل ذلك الوقت؛ ففيها من الكتب ما قد يبيحك ساعات وساعات فلا تعود تشعر كم مضى من الوقت وأنت تتنقل بين رفوف الكتب وعناوينها. عدا عن أنها تأخذك في رحلة حول العالم دون أن تدري؛ فهذا كاتبٌ روسي، وذاك ألماني، وهذه نسويةٌ أمريكية، وتلك أديبةٌ تركية، وهذا فيلسوف من الصين وذاك من فرنسا، كُتابٌ مصريون وسوريون ولبنانيون وأدباء من المشرق والمغرب، وباخرة تبحر بنا إلى كُتاب وأدباء أمريكا اللاتينية. وبالطبع الكتاب والأدباء الأردنيون.

لا أعرف كم من الكتب اشتريت من خزانة الكتب، "فأزبكية عمان" حاضرة في كل مناسبة ثقافية في مقرها في وادي صقرة وفي معارض الكتب في رأس العين ومدينة الحسين للشباب والعديد من الملتقيات والمعارض، حتى وصلت المدرج الروماني ووضعت آلاف الكتب لتكون مجانية في تناول الجميع. وحتى في الجامعات، فخلال دراستي في الجامعة الأردنية، أقامت الأزبكية معرضاً فيها وذهبت إليه لدعمهم. فجميل أن يجد الإنسان مكاناً مميزاً يحبه ويعتبره بيته الثاني ولا يشعر فيه بالحرج، تمضي فيه الساعات وأنت لا تشعر بأنك غير مرغوب فيك، بل تلقى الترحاب والضيافة والابتسامه وتتعرف على أشخاص كثير وجدد، وتجد لأطفالك مكاناً يجدون فيه كتباً تناسب أعمارهم ومستقبلاً يضمهم.

أنا والفلسفة

بدأت قصتي مع الفلسفة منذ عمرٍ صغير جداً؛ فقد كان عمري أحد عشر عاماً عندما سمعتُ كلمة فلسفة للمرة الأولى في حياتي، وكانت عبر برنامج إذاعي يُبث في إذاعة البي بي سي من لندن. وعندما سألتُ أبي عن معنى هذه الكلمة ابتسم وأظنه حتى ضحك فسمعتُ صوته، وقد قال لي: هذه قصةٌ طويلة، قد أحكيها لك في يومٍ ما. ولكن بقي صدى هذه الكلمة يتردد في عقلي وعلى لساني وأصبحتُ كمن يغوص في بحرٍ لا نهاية له. وحاولت جاهدةً البحث عنها في مكتبة والدي المتواضعة، ولكنها بالنسبة لي، كانت مكتبةً كبيرة وتحتوي كتباً لا أفهم جُل ما فيها في تلك السن، عدا عن أنني كنتُ في الصف السادس الابتدائي وكان عليّ أن ألتفت إلى دراستي.

ثم جاءت الإجازة الصيفية وذهبنا إلى الأردن، وهناك سألتُ خالي (الذي يعتبر المثقف في العائلة) عن الفلسفة وماهيتها، فأجابني بنفس ما أجابني به أبي: إنها قصةٌ طويلة. ولم يكن من أولئك الذين قد يجلسون ساعات ليناقشوا معي أمراً كهذا؛ فأنا بالنسبة لهم لا أزال فتاة صغيرة! وربما لم يكن ليشرحها لي كما سوف أفهمها لاحقاً عند دخولي إلى الجامعة. ولكنه قد يقضي ساعات وساعات طويلة مع أصدقائه وأقرانه يتحدثون عن حزب ما أو في السياسة.

والذي حدث في تلك الإجازة أنني وجدتُ في (كومدينة) صغيرة عند جدتي لأبي أوراقاً وكتباً كثيرة فسألتها: لمن هذه؟ فقالت: لأبيك. فقممت بإخراج هذه الأوراق والكتب الممزقة وعثرت فيها على كتابٍ صغير جداً، ربما أوراقه نصف ورقة الكتاب العادي، وعدد صفحاته لا يتجاوز العشرين صفحة، وعنوانه "ما الفلسفة!". يا لفرحتي، لقد وجدتُ أخيراً كتاباً يحمل عنواناً بقي يجول في

خاطري أشهراً طويلة، وفرحتُ جداً أنني أخيراً سوف أقرأ عن هذا العلم الجديد الذي سوف يغير حياتي للأبد. قرأتُ الكتاب في فرح وعندما أنهيته اكتشفتُ أنني لم أفهم منه شيئاً، ولم أعرف سوى أسماء سقراط الحكيم وأفلاطون وأرسطو! أَلقيتُ به بعيداً وأعدته إلى مكانه. وعدنا من إجازتنا في ذلك العام. ثم مضت السنوات، وكنْتُ أستمعُ بين فترةٍ وأخرى إلى برامج إذاعة البي بي سي، ومن ضمن برامجها، كان يُبث برنامجٌ يتحدث عن الفلسفة لمدة ربع ساعةٍ من الزمن فأصبحت أستمعُ إليه وكنْتُ في الثانوية العامة فبدأتُ أفهم ما يتحدثون عنه بدرجات مختلفة.

وعندما دخلت الجامعة وذهبتُ إلى مكتبها قرأتُ عناوين لكتبٍ فلسفية كثيرة ولكنني لم أَرِدُ قراءتها فوراً، قلتُ لنفسِي: ليس بعداً! واكتفيتُ بقراءة الروايات العالمية والمسرح والشعر وكل ما يخص اللغة الإنجليزية التي كانت تخصصي الأول في الجامعة. وفي السنة الثانية، وعندما كنتُ أريدُ أن أسجل للفصل الدراسي الثاني، وجدتُ مادة "مقدمة في الفلسفة" وكانت متطلب كلية اختيارياً فقامت بتسجيلها لذلك الفصل الدراسي (1998-1999).

كان مُدرِّس المادة الأستاذ الفاضل الدكتور زاهد الروسان - رحمه الله - أستاذ الفلسفة وعلم الاجتماع في جامعة اليرموك، وكان عالماً في الفلسفة وعلم الاجتماع. بدأتُ في محاضراته أتعرف على الفلسفة الصحيحة وكيفية قراءتها وفهم منطقتها وتحليلاتها وتفسيرها؛ فقد أصبح عمري ثمانية عشرة عاماً ولم أعد طفلةً صغيرةً تلقى بالكتاب لأنها لم تفهم محتواه.

لقد كان الدكتور قد تجاوز السبعين عاماً، وكان أسلوبه مميّزاً، جميلاً هادئاً، وهو ذو خبرةٍ طويلة مع أمهات الكتب في الفلسفة والاجتماع واللغة، وذو ملكة حفظٍ لم أعرفها عند غيره من الأساتذة. وهكذا بدأتُ أتعرف على أقسام الفلسفة والفلسفات القديمة والحديثة، وبدأتُ أقفُ على أساليب الجدل الفلسفية وعلاقة الفلسفة مع العلوم الأخرى. وتعلمتُ أن الفلسفة هي أم العلوم ومبدؤها ومنتهاها، وأنا إن لم تكن لدينا معرفةٌ بها فإن كل معارفنا الأخرى ستبدو دون ركائز بدونها. وعندما حوِّلتُ إلى تخصص علم الاجتماع ليُصبح هو الفرع الرئيسي لدراستي، تعرفتُ أكثر على الفلسفة وارتباطها بعلم الاجتماع والعلوم الإنسانية والطبيعية، وهذا الارتباط وثيق الصلة ولا تكاد تخلو كتب هذه العلوم من الفلسفة.

لقد قرأتُ الكثير من الكتب عن الفلسفة والفلاسفة وتعلمتُ بأن الفلسفة توجد في الأدب والشعر والمسرح والموسيقى وكافة الفنون أكثر من وجودها في العلوم الأخرى، ونهلتُ من معارفها الكثير، وإنني مدينةٌ إلى تلك اللحظة التي سمعتُ فيها هذا المسمى الجميل الذي وقع في قلبي بسلاسة وجمال؛ فلم أعد أخاف من كلمة فلسفة بعد أن فهمتها وعرفت مداخلها ودواليها وتحوّلت في أروقتها

وظفتُ في محيطها الذي لا ينضب وناقشتها مع الآخرين وتعلمت منهم كما تعلموا مني. فشكراً لك أيتها الفلسفة لأنك جعلتني أحيا حياةً أخرى مختلفة.

حياةٌ أخرى وعالمٌ آخر

إن القراءة وعالم الكتب بالنسبة إليّ حياةٌ أخرى وعالمٌ آخر، تأخذني معها في رحلات العلم والفلسفة والثقافة بمختلف فنونها الأدبية الروائية والقصصية والمسرحية والشعرية والغنائية، ورحلاتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والنفسية والتاريخية والإنسانية، ورحلات الخيال العلمي والفضاء والكون، فتحملي لسابع سماء وتعود بي إلى بواطن الأرضين السبع، وتأخذني في رحلةٍ لأتعرّف فيها على مختلف المجتمعات الإنسانية وثقافتها وعلاقاتها ببعضها البعض وفهمها بطريقة تجعلني أتقبلها كما هي. فكأنني أشاهدها جميعاً وأعاشرها وأسمع شخوصها وأحاديثهم وحواراتهم وأستشعر كتابها وهم يكتبون ما يكتبون ويترجمون ما يترجمون. إن الكتب بالنسبة إليّ تنفس، ولولا أنها حية ما كانت صدورنا لتنتشر عند قراءتنا للكتب التي نحب قراءتها؛ فالقراءة حياةٌ أخرى وعالمٌ آخر.

خلاصةٌ تجرّيتي في الحياة

هي هذه الرحلة التي - خلال ثلاثين سنة من عمري - ما فتئت أمارسها وهي القراءة، إنها تنقذني دائماً فإذا ما شعرت بالضجر لجأتُ للقراءة، وإذا ما كنت حزينةً أو متضايقاً كنت أتجه للقراءة؛ فقد كانت متنفسي الأول والأخير. صحيح أنني صحبتُ الناس وتعرفت على أصدقاء وصديقات رائعين، ولكن القراءة كانت هي رفيقتي الوحيدة التي لا أضجر منها ولا تضجر مني، وأستطيع من خلالها أن أعيد توازني العقلي كما الرياضة تعيد إليّ توازني البدني.

وأكثر قراءاتي في الفلسفة والعلم؛ فلم تعد تشدني الروايات بسهولة؛ فقد علمتني الفلسفة منهج حياة أسير عليه يريحني ويريح من حولي وأشعر معها بالهدوء وتدريب النفس على تقبل الآخرين من حولي كما هم، فلا أحاول تغييرهم، ولكن نصحتهم ضروري ومهم خاصة في محيط الأصدقاء. ونصيحتي لمن يقرأ كلماتي هذه، نصيحة يسعدون بعدها كما أسعدتني، هي أن لا تحاولوا تغيير الآخرين من أجل رضاكم، حتى أولادكم وأصدقائكم المقربين؛ بل تقبلوهم كما هم وحاولوا مساعدتهم، تحدثوا معهم وعلموهم الأفضل.

أنا والعمل

العمل أحد أهم أساسيات تنمية شخصية الفرد بعد التخرج من عالم المدرسة والكلية والجامعة، وحتى قبل ذلك؛ وهذا ما حرصت على القيام به بعد تخرجي. وعلى الرغم من أن علم الاجتماع في فترة تخرجي في العام 2002 لم تكن له سوق رائجة كما اليوم؛ لأن الناس كانوا يخلطون بينه وبين علم النفس ويعتبرونهما نفس العلم؛ فلم أنتظر الوظيفة لتأتي؛ بل بحثت عن عمل بنفسني وقمت بالتطوع لمدة ست سنوات قد لا تكون متواصلة ولكنها عرفتني وأفهمتني طبيعة العمل التطوعي بشكل كبير، وألهمتني ما أريد القيام به في السنوات القادمة.

وخلال الحرب على العراق سنة 2003-2004، نزح الملايين من اللاجئين العراقيين هرباً بأنفسهم وأهليهم من الموت. في تلك الفترة، انتشرت أعمال المنظمات الإنسانية والدولية والأمم المتحدة لمساعدتهم بالتنسيق مع الحكومة الأردنية، فنشط عندها توظيف باحثين اجتماعيين ونفسيين لم يكن عددهم كبيراً؛ فقامت المنظمات الدولية بتوظيف عاملين من تخصصات الإدارة والأدب الإنجليزي واللغات، كونهم أيضاً يبحثون عن العمل، ومنهم من يتقن اللغة الإنجليزية وغيرها من التخصصات. وأيضاً مع دخول الأزمة السورية والأزمة اليمنية وغيرها من الأزمات مثل الجنسيات الأفريقية التي نزحت إلى الأردن بسبب المشاكل والنزاعات التي تعاني منها دولهم. وهكذا بدأت العمل سنة 2009 مع منظمة كير العالمية كباحثة اجتماعية لدعم البرنامج الخاص بمساعدة اللاجئين العراقيين.

منظومة العمل الإنساني

ما أريد قوله هنا ليس بناءً على دراسات أو نتيجة بحث في منظومة العمل الإنساني، ولكنها خلاصة تجربتي التي استمرت منذ تخرجي في العام 2002 وإلى اليوم. خلال العشر سنوات الماضية تضاعفت وتيرة العمل الإنساني في الأردن أضعاف ما كانت عليه منذ حالات اللجوء الفلسطيني سنة 1948. ومع اللجوء السوري بعد اندلاع الأزمة السورية سنة 2011، ولأن الأردن يقع على الحدود مع سوريا وبسبب درجات القرابة بين الشعبين، لجأ الملايين من الإخوة السوريين إلى الأردن، مما تطلب وجود كثيف للعديد من المنظمات المحلية والدولية التي تقدم المساعدات الإنسانية للاجئين؛ خاصة أنه غير مسموح لهم بطلب اللجوء إلى بلد ثالث حسب قوانين واتفاقيات اللجوء.

صحيح أن العمل الإنساني قد تطور خلال العشرين سنة الماضية، ليس فقط في الأردن ولكن على مستوى العالم أيضاً، ولكن يبقى هذا القطاع الإنساني يعاني من قضايا التمويل والقدرة البشرية

والتخصص لمساعدة المحتاجين حول العالم، بالإضافة إلى قضايا الفساد الإداري والمالي التي تظهر لنا ونسمع عنها هنا وهناك. إلا أن ما يعاني منه هذا القطاع تحديداً: الحركة الدائبة للاجئين والنازحين في مناطقهم وصعوبة ضبطهم في مكان محدد حتى في المخيمات التي يتم إنشاؤها وصعوبة مساعدتهم دائماً خاصة في المناطق الساخنة وذات النزاع المستمر.

في الأردن - كبلد يستضيف اللاجئين - يبقى الوضع مستقراً ومسيطرأً عليه إلى درجة ما، لكن التحديات الاقتصادية والسياسية والصحية مع تفشي وباء كوفيد-19 تؤثر بشكل كبير على آلية المساعدات وتبقيها في حركة دائمة مما يجعل من الصعب قياسها وتقييمها وهذا ديدن المجتمعات البشرية، ولكن اختلاف الاستقرار والتنقل يتدخل في ظروف البشر ووظائفهم ومدى الاستفادة التي من الممكن أن يسهموا فيها في الدول التي يقيمون فيها. نعم لقد كان للوجود السوري تحديداً تحريكاً للاقتصاد والاستثمار في الأردن. ولكنه غير كاف بسبب تغير الظروف العالمية جراء وباء كورونا، وعليه فالعمل هنا يصبح خليطاً من التعاون المحلي والدولي وبين الدول لإعادة بناء العالم صحياً واقتصادياً وسياسياً.

أما على الصعيد الاجتماعي والنفسي؛ فالموضوع أكبر بكثير؛ خاصة أن أعداد الوفيات تضاعفت بسبب الوباء من ناحية وبسبب إصابة الناس بفوبيا الخوف من المرض والتعامل مع الآخرين حتى لا يتعرضوا للإصابة بسبب ضعف الإمكانيات الطبية. وهذا موضوع من المهم الحديث عنه. فكيف من الممكن لدول فقدت الآلاف من مواطنيها أن تعيد بناء اقتصادها وسياساتها دون الالتفات إلى صحة مواطنيها ورفاههم النفسي والاجتماعي؟! وهذا ينطبق على كافة السكان في الدول التي يعيشون فيها من مواطنين ومقيمين ولاجئين وغيرهم.

كلمة أخيرة

لقد بدأت حديثي في البداية عن أن مجموعة من السيدات يشاركن في هذا العمل، سيدات من جنسيات ودول مختلفة وخلفيات اجتماعية وثقافية ومعيشية مختلفة وحيوات متباينة وخبرات متداخلة، وقد قلت بأن الوضع الذي تعيشه النساء والفتيات في عالمنا العربي وضع غير مستقر، ويخضعن فيه لسُلطة الأب والزوج والأخ والعم والخال والجد وشيخ القبيلة وهذه الهرمية التي لا تنتهي حتى من النساء الأخريات ونظرة المجتمع التي تتبع كل خطوة تخطوها المرأة في حياتها؛ في المنزل والشارع والحى والحارة والمستشفى والعمل وأي مكان تذهب إليه.

للأسف لم تتجاوز بعد ترك الخيار بيد الفتاة كما الصبي عندما يبلغ وتبلغ الثامنة عشرة، ولا حتى في حياتها على طولها إذا كانت غير متزوجة أو مطلقة أو أرملة وحتى نهاية حياتها وقرارها بالورثة فيتم غضبها على التنازل عن حقوقها كافة، وحتى عند زواجها وطلاقها تتنازل بسهولة بسبب ضغط الرجل في العائلة عليها وتهديدها. وإذا قررت أن تتزوج مرة أخرى تُحرم من أبسط حقوقها في رؤية أولادها إذا كان هنالك مشاكل من قبل. والعديد من الأمور التسلطية التي يتبعها الرجل باسم القانون المدني أحياناً والعشائري دائماً وهذا هو القانون الحاكم للأسف في دولنا العربية.

أما في العمل فحدث ولا حرج، من خصم لراتبها لأنها امرأة، إلى التحرش الذي يجعلها في نهاية المطاف وخوفاً من الفضيحة أن تسكت أو أن تنسحب وتترك العمل، وللأسف هذا موجود في كل القطاعات تقريباً، ولا يمكن أن نستثني أي قطاع من قطاعات العمل التي تشغلها المرأة والتي أصبحت تشغل كل القطاعات، وهذا بشهادة العديد من الصديقات والسيدات اللاتي ألتقي بهن وأعرفهن.

أعرف بأن هذا لا ينطبق على الجميع، ولكن في الأغلب تتعرض المرأة للعديد من التحديات في كل مكان، حتى وإن كانت تعمل في منزلها أو تباع في السوق أو تقوم بأي نشاط رياضي أو اجتماعي أو خيرى. وهنالك أيضاً من السيدات اللاتي أيضاً يتحرشن بالرجل، لن ننكر هذا الأمر. والعديد من القصص التي لا تنتهي في مجتمع انفتح على العالم ليس بسبب التطور التكنولوجي وحسب، ولكن أيضاً لأسباب اجتماعية ونفسية تحتاج لدراسات واهتمام من الدولة لإكمال مسيرتها؛ خاصة بأننا بعد عامين سوف نحتفل بمرور مائة عام على تأسيس الدولة في منطقة مشتتة بالأحداث السياسية والاقتصادية والنزاعات؛ دولة محدودة الموارد بقيت ثابتة وتصارع ولا تزال، وهذا يحتاج لتضافر الجهود وتوحيدها بين أبناء الشعب والدولة.

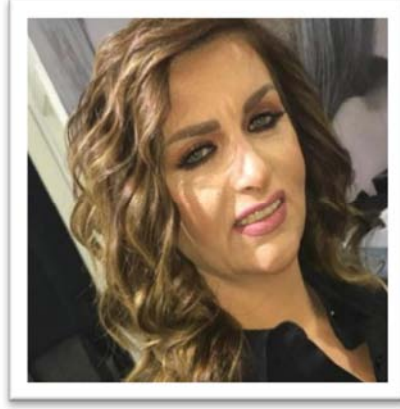
الكاتبة في سطور

- إيمان محمد الخطيب، مواليد مدينة إربد - الأردن، أبلغ من العمر 41 عاماً وأعيش مع أسرتي، حاصلة على الثانوية العامة سنة 1997 من السعودية، وعلى دبلوم مهني في دراسات اللاجئيين والهجرات القسرية عام 2018 من الجامعة الأردنية. وعلى بكالوريوس في علم الاجتماع وفرعي في اللغة الإنجليزية وآدابها عام 2002 من جامعة اليرموك
- عملت في عدة جمعيات ومنظمات دولية تعمل مع اللاجئيين والمجتمع المحلي، وحالياً أعمل Freelancer.
- عضوة في عدة نواد تهتم بالقراءة، وأمارس هوايتي في القراءة والرياضة بشغف.

الفصل الخامس

مخاوفي وإذ وقعت

بقلم: حنان عبد الكريم العسوس



محامية مزاولة

طوال عمري ومنذ طفولتي يعرف عني الجميع حساسيتي وحسي المرهف تجاه الكثير من الأمور في الحياة، كان الجميع يعرف هذا عني، لذلك كانت عملية إبلاغي لأي من الأحداث غير السارة في الحياة تتطلب منهم أخذ الاحتياطات والتدابير قبل إبلاغي خشية ردود فعلي غير المتوقعة. لم أكن ضعيفة كما يعتقد البعض ولكن كنت حساسة تجاه بعض الأمور التي أثرت على حياتي، وربما كان ضعفاً في مواجهة بعض المواقف كفقدان الأجابة والتي رغم كل شيء كنت أجتازها بنجاح ولكن بطريقتي الخاصة. وخصوصاً كانت أكبر مخاوفي في الحياة تجاه والدي رحمه الله.

كنت أكتب بعض المشاعر والأشعار وأحتفظ بها لنفسني ولم يسبق لي نشرها، وكنت أفكر في نشرها في ديوان شعري ذات يوم، ولكن انشغالي بمهنتي التي أحب - المحاماة - كانت تأخذ جلّ وقتي في كتابة المرافعات والذهاب إلى المحاكم والتي قد تتنافى مع طبيعتي الحساسة. ولكنني كنت أحاول جاهدة ألا أجعل هذه الطبيعة تؤثر على عملي ومهنتي التي تتطلب الكثير من الحذر والتحقق والدراسة حتى لا أظلم أحداً.

وقد أثرت على مهنتي وتأثرت بها، وكنت أخفي طبيعتي الحساسة في الذهاب إلى مكتب زوجي الذي كان يعمل بنفس مهنتي وأبكي عند تأثري بسماع إحدى القصص، ثم أمسح دموعي وأعود لمكثتي للاستماع وكان شيئاً لم يكن. وأحمد الله أن الله كان معي خلال حياتي الشخصية والعملية. وعندما طلبت مني خالتي العزيزة إكرام العرش، التي تجمعني بها صداقة قوية قبل أن تكون خالتي أن أشارك في هذا الكتاب، وجدت ذلك سبباً لنشر بعض كتاباتي ولأعبر عن نفسي ومخاوفي التي عاشت معي لسنوات طويلة.

مخاوفي وإذ وقعت

فتاة مُدلة أبيها، يتساقط عليها الدلال وكلمات الإعجاب والإطراء منذ الطفولة من كل حذب وصوب، شقراء بعيون ملونة زرقاء، رقيقة وحساسة وطيبة القلب، تتباهى بحب والديها وأهلها لها، يحملها جميع أفراد الأسرة ويرغبون بإسعادها، كانت الحفيدة الأولى لبيت جدها لأنها، شعرت بدلالها تلك الصغيرة وهي أنا "حنان". وكما يقولون: لكل أمرئ من اسمه نصيب، ولعل لي من اسمي نصيباً وأعتقد ذلك جازمة بل وكل النصيب.

فتاة تعلقت بأبيها فبادلته حباً بحب، أبي هو حبي الأول الذي لم ولن ينافس في حبه أحد مهما حاولت، ومنذ نعومة أظفاري، وأشد ما كنت أخشاه ويرعب تفكيري طوال عمري أن أوجع بفقده، وأن تضطري الحياة للعيش بدونه، لم أكن أعلن عن هذه المخاوف لأحد، ولكنها لازمتني بصمت طوال حياتي. إلى أن بلغت الأربعين عاماً، وبتدبير رباني وقعت تحت يدي مقالة عنوانها "التغيرات في سن الأربعين" وجاء فيها أن على الإنسان إذا بلغ هذا العمر أن يستعد لمرحلة فقد أحبه وفي مقدمتهم والده أو والدته، ويبدو أنها لامست ذلك الخوف القديم الساكن في الأعماق، ودون تفكير أو تخطيط أدركت بأنه قد حان الوقت. ليس لأنني لم أكن أعرف هذه الحقيقة، ولكن لأنني كنت بحاجة لمن يذكرني بها ويجعلني أتقبلها، وأنا التي أعيشها طوال عمري في صمت.

وفي عام 2018 شعرت بأن خوفي ومخاوفي قد أوشكت على التحقق والاقتراب؛ ففي هذا العام مرض أبي مرضاً شديداً، أدخل على أثره إلى المشفى؛ وهنا كنت مضطرة أن أفص مع مخاوفي وجهاً لوجه. وكنت أنا ومخاوفي وجهاً لوجه مع مرض والدي.

عندها قررت ملازمة أبي في مرضه حتى لا أدع لحظة من حياته تمضي بدون أن أكون معه، وأخفف عنه وأحدثه ويحدثني كما كنا نفعول أيام صحته. فتركت مكثبي وبيتي ولازمت أبي في المشفى، فكنا أربعة معاً "أبي وأنا وخوفي والمرض".

كنت أجلس بجانب سرير أبي أحادثه وأخفف عنه وعني وأحاول جاهدة " ألا أنظر إلى عينيه كي لا يقرأ خوفي حيث إنه الوحيد القادر على فهم لغة عينيّ الزرقاوين اللتين ورثت لونهما عن لون عينيه؛ فكنت أشيح بنظري عنه حتى لا تلتقي نظراتنا؛ فهو يعرف حزني وخوفي عليه، ومع هذا كنت أخطف نظرة عابرة من وقت لآخر دون علمه لأستمد منها القوة.

كنت أظهار بالقوة وقلبي من الداخل يرتجف بشدة بين ضلوعي بجانب سرير أبي ولو نطق السرير لقال عما شعر به من خوفي، وذلك الخوف يحدق بي بلا رحمة والمرض يشتد ويشد باليدي وأنا أظهار بالقوة والشجاعة، إلى أن أدخل أبي إلى العناية الحثيثة أربعين يوماً، وبقي على أجهزة التنفس يصارع بين الحياة والموت، وأنا أصارع حزني وخوفي وضعفي وقوتي بجانب سرير.

كنت أدرك جيداً أن أمي وزوجي وإخوتي وأخواتي وأبنائي غير مصدقين لتلك القوية العجيبة التي تجعلني أبدو متماسكة قوية إلى الآن وبدون أن أنهار؛ فهم يعرفون ضعفي وحبي وارتباطي الشديد بأبي.

إلى أن كان ذلك اليوم 26.6.2018، عند العصر وفي حوالي الساعة الخامسة عصراً؛ حيث استفاق أبي من غيبوبته، نظر إلينا تلك النظرة الغربية واحداً واحداً، أنا وأخواتي وأمي أطال الله في عمرها، نظر إلينا مبتسماً فقد وجدنا جميعاً حوله، ولشدة خوفي أشحت بوجهي عنه هرباً من أن تلتقي نظراتنا، ولكنني سرقت نظرة خاطفة إلى عينيه وأجزم بأنه قد استرقها أيضاً.

ففرح الجميع بتلك الاستفاقة إلا أنا؛ لأنني أدركت حينها ومن نظرة أبي لي أنه كان يودعني بابتسامة؛ فقد شعرت بأن الوداع الأخير فقد حان واقترب؛ فلن أنسى نظرتة الحنونة المودعة التي تطلب مني التشجع والتحلي بالصبر بصمت وبدون أن ينطق بكلمة ولكنني فهمت كل ما كان يريد أن يقول لي.

كنا لا نزال جميعاً نجلس في غرفته أو نتحدث معاً في الممر، وفجأة في الساعة الحادية عشرة قرب منتصف الليل قررت وبدون سبب ظاهر للآخرين مغادرة المشفى والعودة إلى البيت. دخلت البيت وتنقلت بين حجراته بصمت، لم أقم بعمل أي شيء سوى الجلوس في حوار صامت مع مخاوفي. شعرت بأمر ما سيحدث ولا أستطيع رده أو وقفه ومع هذا كنت ساهمة واجمة.

وفجأة رنّ هاتفني وكان ابني وليد على الطرف الآخر " فقال لي: ماما آجي أوديك عند سيدو على المشفى لأنه كثير تعبان!. فقلت له: لا، وطلب مني زوجي أيضاً أن أعود إلى المشفى، فأجبت أيضاً بـ لا..

فكرت بسبب إجابتي بالرفض، ولم استمر بالرفض والإجابة بـ لا؟ فلم أجد جواباً سوى أن خوفاً قد أصبح قاب قوسين أو أدنى فهربت منه إلى البيت. نعم هربت وانتصر الخوف عليّ، فهزعت إلى سريري والتحفت غطائي واخترت الصمت، وعلمت أنني قد فقدت أبي، لكنني اخترت الصمت والتجاهل والبكاء وتظاهرت بالنوم.

غالبني النوم من كثرة البكاء. وفي الساعة السابعة صباحاً قرع جرس المنزل. نهضت من فراشي وأزحت الستارة ونظرت إلى الشمس، وحينها أدركت أن شمس هذا اليوم ليست كشمس أي يوم؛ فقد عانقتني أشعتها لا بل عانقتني روح أبي وهي التي فعلت.

فُتح باب الغرفة وإذا بزوجي وأبنائي طلال ويحيى يدخلون عليّ الغرفة وتبدو عليهم ملامح الحزن. فبادرتهم قائلة: بابا مات صبح؟ صمتهم كان جوابهم؛ فقد علمت ذلك؛ لأن شمس ذلك اليوم لم تشرق كشمس أي يوم آخر؛ فقد كانت تحتضن روح والدي صاعدة بها إلى خالقها.

عندها فقط صرخت وبكيت وسمحت لنفسي المتماسكة منذ أيام طويلة بالانهيار؛ فقد رحل من تظاهرت بالقوة من أجله طوال هذه المدة، وفي لحظة سكون مع الذات لمحت الخوف يناظرني وروح والدي تعانقني فهدأت واخترت أن أصادق روح أبي.

صادقت روح أبي

واجهت مخاوفي بفقد أبي بمصادقة روحه وكيف صادقتها منذ شروق شمس ذلك اليوم، كانت نقطة الفصل، والتحول والبدايات الجديدة بين (أنا الطفلة) و(أنا الآن المحامية والأم لثلاثة أبناء وابنة أُمِّي وزوجة والشقيقة الكبرى لإخوتي وأخواتي)، وفوق كل ذلك مدللة أبي الغارقة حزناً على وفاته. هذا الحزن الذي يلازمني حتى هذه اللحظة، إلا أنني أعلم بأن أبي رحمه الله رحمة واسعة، أحب وسيحب، وخشي ويخشى أن يراني خائفة "حزينة".

ففكرت، أنه كما أكرمني في حياته سأكرمه بوفاته وذلك بألا يراني خائفة حزينة، إلا أنني أؤكد أن الحزن على وفاته لم يفارقني أبداً، وأن أحلى أيامي التي عشتها هي تلك الأيام التي قضيتها بجانب سريريه برغم الحزن والخوف والقهر. وأذكر أنني وعند وداعه عانقته بشدة وصرخت "بابا بجزبك ألف مرة" فرأيت ضاحكاً هامساً: وأنا أجبك، فاستبشرت وتركت حضنه طوعاً لا كرهاً وغادرت الغرفة.

غادرت، وشعور لا يمكن أن أضفه أبداً مهما حاولت، شعور كان فيه من الفرح، نعم الفرح، بأن أبي قد غادرنا ضاحكاً بوجه يفيض نوراً سعيداً فخوراً بنا جميعاً حيث لم نتوان جميعاً عن خدمته وبره

والحمد لله، والدتي وإخواني وأخواتي وأحفاده وتلك نعمة وفضل من الله؛ فالجميع قد أحبه لأنه كان إنساناً طيب القلب. كما أن الشعور بأن أبي قد رقد بسلام، شعور لا يمكن أن أصفه أبداً مهما حاولت. ثلاثة أيام من العزاء واجهتها بشجاعة وصبر وقوة، ومنذ تلك الأيام وحتى هذه اللحظة وروح أبي تصادقني وتعيش معي بسلام.

تقبلت رحليه وتقبلت الأمر بإيمان ورضى؛ فقد ألهمني الله الصبر وربط على قلبي، وقررت عندها ألا أعمل عملاً إلا وأن أهبه لروح والدي، وكل صدقة أتصدق بها خالصة لروحه، وفي كل صلاة ودعاء أدعوه له، وفي كل فرح وحزن وفي كل حدثٍ من أحداث حياتي فإن أبي ليس بغائب عني؛ بل وأطلب منه الرأي والمشورة الافتراضية كما كنت أفعل عندما كان حياً وأتوقع إجابته عليها؛ فأبي ما زال حاضراً بيننا وفي حياتنا في كل يوم، ندعو له بالرحمة والمغفرة وتلك من أكبر النعم علينا. والآن، وها قد واجهت خوفاً ومخاوفاً وإذ وقعت.. رحم الله والدي وأسكنه فسيح جناته كما أكرمني حياً وميتاً.

أيقنت

تتشابك أحداث الحياة بحلوها ومرها، بخيرها وشرها، تتشابك إلى أن تصل في النهاية إلى قدر الله؛ فقدر الله نافذ حتى لو اجتمع الإنس والجن جميعاً لتغييره، وهذا يبدأ من أبسط أحداث الحياة إلى أعقدها؛ ففي النهاية تدور الأحداث وتتشابك إلى أن تؤدي إلى قدر الله وبدون أن نستطيع فهم وتفسير ماذا حدث لنا أو معنا.

قمت بشراء أسورة فيها خرزات زرقاء، أحببتها لفرط جمالها، طوقت بها معصمي، وكنت خلال تلك الفترة أداوم على قراءة "سورة الضحى"، لأمر ما كنت أرجو الله في ذلك الفرج والتدبير. وعوداً على بدء؛ فأسورتي الجميلة ومنذ أول لحظة طوقت بها معصمي سقطت هكذا بلا سبب، فأرجعتها إلى البائع لإحكام إغلاق قفلها جيداً، وتكرر الأمر لما يقارب الأربع مرات وأنا أستغرب في كل مرة ما الذي يحصل معي، وكأن في هذه الأسورة شيئاً غريباً وترفض البقاء في معصمي. حتى إن البائع الذي يقوم بإحكام إغلاقها اعتراه شعور الحيرة والاستغراب؛ فلا سبب ظاهر يدعو إلى سقوطها؛ فاتفقنا أنه - وإن وقعت مرة أخرى - سأعمل على أن أرمي بها بعيداً.

طوقت بها ذراعي للمرة الخامسة ولم تمض ساعات حتى سقطت، ودون أي تردد فتحت نافذة السيارة وألقيت بها بعيداً؛ فقد قلت في نفسي: لا بد وأنها ليست من نصيبي. وهنا رجعت إلى البائع،

وعندما رأني سألتني: هل سقطت؟ أجبت: نعم. فقلنا: الحمد لله، بدون أن يفهم أي منا السبب لما يجري.

عندها طلب مني البائع اختيار أسورة أخرى من بين مجموعة أساور جديدة كان قد انتهى من صنعها، وكان قد صنع أساور ذهبية تحمل آيات قرآنية، ودون النظر إلى ما نقش على أي منها اخترت واحدة. وحين نظرت إلى النقش على أسورتي ذهلت؛ لأنني وجدت أن اختياري كان قوله تعالى في سورة الضحى (ولسوف يعطيك ربك فترضى)، وهي السورة التي كنت أرددها منذ مدة؛ فأيقنت أن الله سيحقق لي طلبي.

وبقيت أردد قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم: (وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى * وَالْأَجْرُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأَوْلَى * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى * أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى * فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ *). صدق الله العظيم (الضحى 1-11).

فرح

ذكرت في مقدمه الفصل أن مهنتي كانت من أصعب التحديات في حياتي؛ إذ إنني أملك شخصية حساسة وعاطفية وحنونة جداً؛ وهذه الشخصية كانت تسبب لي بأضرار في بعض الأحيان خلال تعاملتي مع بعض القضايا التي أتولاها؛ ففي بداية التدريب على مهنة المحاماة والتي امتدت لسنتين سألت أستاذي المحامي الذي كنت أتدرب في مكتبه - نادر سرور، رحمه الله -: أستاذ: كيف يمكن لي أن أدافع عن متهم قتل فعلاً، عمداً وعن سبق وإصرار؟ أجابني: عليك أن تبرري فعل موكلك بالقتل.

من هنا أدركت أن طبيعة القضايا الجزائية لا تتناسب وطبيعتي؛ لأن ما أعرفه من تعاليم ديني الإسلامي وتربيتي وقناعاتي أن من قتل يُقتل، ومن سرق تقطع يده، وكل يعاقب ويتحمل نتائج أفعاله وما يترتب عليها.

ومن هنا حاولت الابتعاد عن القضايا الجزائية طوال مدة ممارستي لمهنة المحاماة التي امتدت خمسة وعشرين عاماً، لم أتول خلالها الدفاع عن مجرم إلا ما قد ندر ولأسباب خاصة. خلال هذا العام اتصلت بي إحدى النساء من معارفي وطلبت مني الدفاع عن ابنها المتهم في قضية تعاطي مخدرات. لم أستطع الرفض بحكم طبيعة علاقتي بها ولأنني لم أستطع أن أرفض لها طلباً. ومن اللحظة التي قبلت فيها تولي القضية ووافقت عليها، دخلت في صراع حقيقي مع نفسي وقناعاتي ومبادئتي، ومع ظروف القضية لموكلي الشاب (شهم).

وبعد جمع المعلومات عن القضية وظروفها تفرعت قضية شهيم من قضية تعاطي المخدرات إلى قضية فتاة قاصر أحبها شهيم، وهي مَنْ قادته إلى سلوك الانحراف واستغلت حبه لها لتقوده إلى عالم فذر مخيف بكل ما للكلمة من معنى، لدرجة أنني كرهت الفتاة قبل أن ألقاها.

وكان لا بد أن أجتمع بـ (فرح) لربط القضية وجمع ملابساتها. اجتمعت بفرح، ولشدة دهشتي أنني عندما التقيتها ونظرت إلى عينيها شعرت بأنها أيضاً بريئة كشهم؛ فهي ضحية ظروف أسرية ونفسية واجتماعية مرعبة، ودون تفكير مني حضنتها وقلت لها: سأحميك يا فرح أولاً وقبل شهيم. حمل صعب وثقيل أن أكون خصماً وحكماً في نفس الوقت، حتى إن شهيماً وفرحاً أصبحا جزءاً من حياتي اليومية لما يزيد على الشهر.

فرح شابة في السابعة عشرة من عمرها، ظروفها الأسرية والاجتماعية صعبة وفسادة؛ فقد بدا عليها أنها كانت ابنة عائلة قبل أن تعيش في الشوارع لتبيع وتشترى المخدرات. وكذلك شهيم شاب لا يتجاوز العشرين من العمر، وقادتي ظروفهما لأن أكون محامية ومعالجة نفسية وباحثة ومرشدة اجتماعية. أحببت فرحاً، نعم أحببتها، وعظفت عليها لأن والدتها لم تعاطف مع ابنتها ولم تحاول إبعادها عن الشوارع بسبب سوء والدها معها. وتعاطفت مع شهيم وأم شهيم التي حاولت مساعدة ابنها وإخراجه من ورطته بسبب الطريق الذي سلكه في حبه لفرح. وكان عليّ أن أبرر فعلهما بما اتفق مع حناني وإحساسي بأنهما كانا ضحيتي ببيئات اجتماعية فاسدة.

وكان عليّ اتخاذ قرار بشأن فرح وشهيم، وكان اتخاذ القرار صعباً وقاسياً أرهقني جداً، ومضمونه أنه إن كان شهيم قد أقبل على تعاطي المخدرات فإنه مذنب فعلاً ولا بد أن ينال عقابه بالحبس حسب القانون. وإن كانت فرح قد سلكت سلوكاً منحرفاً فإنه لا بد لنا جميعاً أن نساعدتها بالرجوع عن هذا السلوك وذلك بإخراجها من بيئتها الفاسدة وإدخالها للعلاج من الإدمان والوضع النفسي الصعب.

وهنا، وبعد خمس وعشرين سنة من ممارسة مهنة المحاماة، فهمت وأدركت معنى قول أستاذي نادر سرور - رحمه الله - (عليك أن تبرري فعل موكلك). وأدركت أن معني كلماته لم يكن سهلاً أبداً.

دافعت عن فرح وشهيم، فعملت معهم دور الأخصائية النفسية والاجتماعية لمحاولة معرفة أسباب سلوك فرح، وتفاعلت بأن أمها لم تكن لابنتها أما حقيقية أو أختاً أو صديقة فلم تهتم بها وبحمائتها؛ بل ربما كانت ترى سلوكياتها الخاطئة وتغض الطرف عنها؛ فلم تحاول أن تمنع ابنتها من التواجد في الشوارع للبيع والشراء.

وربما كانت ظروف شهيم الأسرية أفضل قليلاً والفضل في ذلك لوالدته التي تحاول مساعدته. وفي النهاية نال شهيم جزاءه، ولأنها كانت المرة الأولى له، تم تكفيله على أن يخضع للعلاج، أما فرح فقد

كانت تحاول التهرب من العلاج، وللأسف هي صاحبة قيود وهي في هذا العمر. حزنت عليها، وحاليًا هي تخضع للعلاج.

لا أنكر أنني خلال التعامل مع هذه القضية، تفاجأت بدرجة التفكك الأسري في مجتمعنا، وعرفت عن المخدرات من معلومات ما لم أعرفه طوال حياتي المهنية.

دافعت عن فرح وشهم، نعم دافعت عنهما رغم حزني وألمي، ولكنني لم أكن أدافع عنهما فقط؛ فهناك مئات من فرح وشهم يعيشون بيننا، ويحتاجون لمساعدتنا وتفهمنا.

دافعت عن فرح وشهم، ولكنني لم أكن أدافع عنهما فقط؛ بل كنت أدافع في الحقيقة عن أبنائي وعن بناء إخوتي وأخواتي - وليد وطلال ويحيى، وعبد الكريم وهديل ومايا ونادين - وعن جميع أبناء المجتمع.

أدافع عن الذين تم التفرير بهم لسبب أو لآخر، ووقعوا في فخ المخدرات الذي جعلهم يتخلون عن أعلى وأثمن ما يملكون من أنفسهم أو أملاكهم الغالية والثمينة، ووقعوا في جرائم السرقة وغيرها من أجل شراء هذه السموم التي تفتك بهم وبعقولهم وتدمر أحلامهم وأسرها ومستقبلهم، وتدمر المجتمع.

شعرت بحزن وألم عميقين وأنا أتعامل مع قضيتهم وتعاطفت معهم. أعرف أن هذا التعاطف ليس جيدًا، ولكنني شعرت بالرضى أنني فعلت ذلك؛ حيث كنت أمل أن يستمروا في علاجهم من الإدمان، وأن يدرك الأهل خطورة وضع أبنائهم فيقدمون لهم المساعدة الممكنة لإنقاذهم، وأن يعودوا أعضاء صالحين في المجتمع. أدعو الله أن يحفظ أبنائنا ويبعد عنهم صحبة السوء.

الكاتبة في سطور

- حنان عبد الكريم العسوس، مواليد مدينته عمان.
- حاصلة على بكالوريوس في القانون عام 1991 من الجامعة الأردنية، وعلى مزاولة المهنة من نقابة المحامين الأردنيين منذ عام 1995
- عملت في مكتب المحامي نادر سرور من عام 1995-2000
- محامية، تعمل في مكتبها الخاص منذ عام 2000
- متخصصة في مجال الشركات والقانون المدني
- أعمل حاليًا للحصول على الماجستير في مجال الشركات
- متزوجة ولي ثلاثة من الأبناء، أحب السفر والرحلات المحلية والخارجية.
- أعمل في المعهد الوطني لحقوق الإنسان، عمان

الفصل السادس بين الأمس واليوم بقلم: خولة زهير العواملة



فنانة تشكيلية

قصتي ستكون مع ذكرياتي من زمن الطفولة والماضي الطيب الجميل الذي يعيش في الذاكرة والوجدان ويشكل تكويننا الحالي وما نحن عليه الآن ومقارنات ما قبل - كوفيد 19- وما بعدها. فعندما يتقدم بنا العمر وتتسارع أيامنا مع تغير الظروف الأسرية والاجتماعية والاقتصادية التي تحيط بنا رغمًا عنا، نجد أنفسنا نخوض في مقارنات بين الماضي والحاضر وقد يكون هذا وضعًا طبيعيًا؛ لأننا أصبحنا نفتقد للأمان والسلام والطيبة والحب الذي كان يملأ حياتنا أيام طفولتنا.

في لحظة هدوء وصفاء نظرت من نافذة غرفتي وسرحت قليلاً والتفتُ خلفي فرأيت شقتي المتواضعة، ثم نظرت أمامي فرأيت الحياة بماضيها وحاضرها ومستقبلها، بفرحها وحزنها، بجمالها وقبحها، بنورها وظلامها، بصيفها الجميل وشتاتها البارد وربيعها الأخاذ وخريفها الحزين.

مرت الأيام والسنون وكأنها ساعات سرقت منا طفولتنا وشبابنا، وما نحن في أواسط العمر نستعيد أحلى الأيام واللحظات والذكريات، مرت وكأنها لحظات ولكنها لحظات حملت دهرًا بأكمله. وكم يجول بخاطري ما مرّ علينا من أحداث منذ طفولتنا وحتى يومنا هذا، فكلما مرّ شريط الذكريات كحلّم

جميل. ألتقط بعض ذكرياتي الهاربة من الذاكرة، والتي تراودني من حين لآخر، أعيشها ذكريات حية بكل تفاصيلها وأحداثها ووجوه أشخاصها العالقة بالذاكرة.

فأتذكر طفولتي، ولا أعرف لماذا لا أتذكر طفولتي إلا حين دخولي المدرسة وكأنني لم أشعر أو أع بنفسي إلا عندما دخلتها؟ فلقد دخلت المدرسة صغيرة بالسن مقارنة ببنات صفي، وتم ترفيعي من الصف الأول إلى الصف الثاني مجازاً؛ لأنني دخلت الصف الأول كمستمعة وكان سني لا يتناسب مع صفي. تم ترفيعي للصف الثاني بسبب تفوقي. وأذكر معلمتي في الصف الأول عندما حملتني ووضعتني على الطاولة، وقالت: "هذه أجمل بنت وأشطر بنت"، ولا أنسى فرحتي يومها بسبب تقدير معلمتي لي؛ وهذه من الذكريات الجميلة في طفولتي التي لا تغيب عني.

وما زلت أذكر بيتنا أيام الطفولة في مدينة عمان وفي جبل الحسين تحديداً والذي عشنا فيه أيام طفولتنا وشبابنا، وكان هذا الجبل هادئاً وراقياً، وكانت منطقتنا تتمتع بأنس وحسن الجيرة والجيران؛ فكانت العائلات متصالحة مع نفسها ومع بعضها البعض، كنا نشعر بأننا أهل وأقرباء ونعرف ظروف بعضنا بعضاً وتعاون معاً، وكم من الذكريات الجميلة التي جمعتنا معهم وما تزال حية حتى الآن.

أذكر أننا كنا أول من أحضر جهاز تلفزيون في الستينات من القرن الماضي في حيننا، وكان أولاد وبنات الجيران يأتون في المساء لمشاهدة أفلام الرسوم المتحركة معنا. كان الأهل لا يمانعون ذلك فكانا جميعاً نفتش الأرض ونحن نشاهد التلفاز. كم كانت أياما جميلة تحليها البساطة وحسن المعشر بين الأهل والجيران.

كان جبل الحسين يجمع كثيراً من العائلات من شتى المنابت والأصول من الأردن وفلسطين وسوريا وكان هناك تقارب بيننا جميعاً، أما هذه الأيام فقد تبدل الحال واستقطب الأردن أفواجا كثيرة من الدول العربية من مصر والعراق وسوريا ولبنان واليمن وليبيا؛ فتارة أشعر وكأنني في مصر وتارة أشعر وكأنني في العراق وتارة أشعر بأنني في سوريا أو اليمن رغم أنني في بلدي الأردن.

أعترف بأنه شعور جميل جداً لأنني أعرف بأن بلدي الأردن بلد مضياف يلجأ إليه العرب المُحِبون من كل البلدان المجاورة وهم يشعرون أنهم بأمان في بلدهم الثاني. أنا أشعر بفخر العروبة وفرحة صلة الدماء العربية التي تضخ في الأردن الكريم المضياف.. وهذا يعزز نبض العروبة ويشكل اتحاداً عربياً وشعبياً في أزهى معانيه.

زمان في عمان،،، كان الناس يعرفون بعضهم بعضاً؛ فعندما كنت أتمشى مع والدتي وأخواتي وصديقاتي إلى دوار مكسيم (دوار فراس حالياً) كنت أعرف كل من أرى في طريقي، وكنا نلقي على

بعضنا التحية أو تتوقف لحوار قصير؛ فالبلد كان صغيراً والناس تعرف أصول بعضها بعضاً، تجمعهم المحبة والطيبة ويشارك الجار جاره في أفراحه وأتراحه. على خلاف العلاقات بين الناس هذه الأيام، تسكن العائلات بنفس البناية ونفس الطابق، لكن الجار لا يعرف جاره المقابل له، وقد لا يعرف إن كان جاره بحاجة للمساعدة أو لا..!

كم تغيرت الدنيا، وتغيرت الوجوه فأصبح الجار يلّمح جاره ولا يلقي عليه التحية في أغلب الأحيان، وأصبحت العائلات تخاف على أولادها من التعامل مع جيرانهم أو أقاربهم. لقد غادرتنا الألفة والحميمية وصلة الأرحام ونأمل أن تعود يوماً ما، لذلك يزداد حنيننا إلى الماضي الجميل وطيب المعشر وصدق النوايا والشوق إلى تلك الأيام، ونحاول أن نلمم بعض الذكريات الهاربة من على أسوار السنين.

آه،،، كم أشعر بالفرح والحب والاعتزاز عندما ألتقي صديقة لي من أيام ذاك الزمن الجميل، وأتوق شوقاً لسماع أخبارها وتذكر ماضيها الجميل، وكم أحنّ إلى منطقة سكنائي ومدرستي وذكرياتي ودفائري القديمة! لذلك أحاول أن أقوم كل شهر تقريباً بتعمد السير في تلك الطرقات وطرقات بيتنا القديم ومدرستي؛ حيث أتذكر البيوت والناس التي كانت تعيش فيها وجمعتني معهم أجمل الذكريات التي ترفض الرحيل عن الفكر والقلب الوجدان. كم أتذكر الماضي بكل تفاصيله؛ فالحنين والوفاء صفتان متلازمتان، فلا يُذكر الوفاء إلا ويتبعه الحنين؛ فالحنين توأمه الوفاء ويعطيه هبة الحب والود والكمال. وكلما مررت بمنطقة سكني طفولتي وشبابي يراودني الشوق وتناديني الذكريات، فأبطئ السير لعلي أرى وجوهاً كنت أعرفها؛ أو أشم نسمة هواء عليلة مُعتقة تعطيني صفاء لأكمل مشوار الحياة. إن أجراس الماضي الجميل تدق وتمنحنا الأمل لكي نستطيع تكملة المشوار للأمام.

ذكريات الدراسة والمدرسة

في هذه الليلة الصيفية الشديدة الحرارة، التي لم تمر ليال وأيام مثلها على الأردن، حيث بلغت درجات الحرارة ٤٤ درجة مئوية نهائياً و٣٨ درجة ليلاً وهذا الطقس لم نعتد عليه في الأردن؛ فالطقس عادة يكون لطيفاً ويحلو السهر فيه مع الأهل والأحبة والأصدقاء على "الفرنندات" أو "أسطح البيوت" أو حديقة المنزل.

جلست مع نفسي وأوراقتي وأفلامي أحدثها عما سأكتب فقد قررت أن أهرب بنفسي بعد يومي الطويل مع أسرتي وأبنائي. جلست أفكر بهدوء وقررت أن أكتب ما يروق لي؛ فالحنين للماضي يشدني إليه كثيراً، وإلى أيام تراودني فيها ذكريات كثيرة ومتنوعة.

عدت بمشاعري وأفكاري إلى أيام المدرسة تحديداً؛ فقد كانت أياماً جميلة وممتعة بالرغم من بساطة الحياة آنذاك، وكثيراً ما نتذكر أحداثها كلما اجتمعت وصديقات الطفولة، ولا نزال نجتمع كلما سمحت لنا الظروف بعيداً عن أسرنا وأبنائنا ونتذكر أيام الشقاوة ونفتقد من غادر الحياة منا.

مازلت أذكر الصباحات عندما كانت تجهز لنا والدتي (العصرونية) أو وجبتنا التي نتناولها خلال الاستراحة (الفرصة) في المدرسة؛ فقد كانت عبارة عن ساندويش من الزعتر والزيت أو المُرْبِي الذي كنا نسماه "تقلي" أو الجبنة واللبننة مع الخيار، أو قد نشترى بقرشين سندويش الفلافل أو الكعك بالسمنم ونضع الزعتر بداخله. ولم تكن المرتديلا المعلبة والمُصنعة والمليئة بالمواد الحافظة والتي تُعرف بـ "السنيرة" والتيركي / لحم طيور الحبش " معروفة كما الآن حيث إنها وجبة مهمة يملأها الأطفال بطونهم رغم ضررها على صحتهم.

وخلال الاستراحة بعد الحصّة الثالثة التي تستمر ثلاثين دقيقة كنا نأكل طعامنا، أو نشترى "القضامة" أو السمسمة التي كانت تباع لنا "أذنه المدرسة" أو المسؤولة عن "المقصف" أو الدكان المدرسي.

وعند خروجنا من المدرسة كان بائعو الذرة المسلوقة والترمس والفاول النبات، كل يقف بعربته أمام الباب الخارجي للمدرسة يبحث عن رزقه بتلك القروش البسيطة التي كنا نحفظها لتسلى بها في طريق عودتنا إلى بيوتنا، أو نشترى قطع "الجاتو" اللذيذ والآيس كريم من "محل غازي" الموجود على دوار مكسيم آنذاك، وأعتقد أنه ما يزال إلى الآن أحد المعالم الأساسية لجبل الحسين.

عقاب التأخر عن البيت

كنا نعود من المدرسة إلى منازلنا مشياً على الأقدام على شكل جماعات مؤلفة من ثلاث أو أربع طالبات في كل مجموعة حسب قرب بيوتنا من بعضها البعض. كانت بيوتنا قريبة نوعاً ما من المدرسة، ونادراً ما كنا نحتاج إلى المواصلات في التنقل، إلا في أيام الشتاء الماطرة حيث كنا نصل إلى المدرسة ووثابنا مبللة إن لم نجد سيارة نقلنا إلى مدرستنا. كم كانت أياماً جميلة ونحن نسرد بها حكاياتنا في طريق العودة من المدرسة.

كان الاهل يعرفون مواعيد عودتنا من المدرسة؛ لذلك كل تأخير في عودتنا كان يعرضنا للعقاب بسبب القلق الذي نسببه للأهل؛ فوسائل التواصل لم تكن متوفرة كما اليوم، فتأخرنا بدون إعلامهم مسبقاً كان يجعلهم يضربون أخماساً بأسداس. فعندما كنا في المرحلة الابتدائية كانت لي صديقة عزيزة

على قلبي ولا تزال صداقتنا قوية رغم مرور أكثر من أربعين عاماً، كنا نسكن في شوارع قريية من بعضنا البعض، فأكملت صديقتي وشقيقتها وأنا وشقيقتي الطريق إلى بيتنا لنلعب ونلهو قليلاً قبل أن يعودا إلى منزلهما، وفي غمرة اللعب واللهو نسيت صديقتي موعد عودتها إلى المنزل وخشيت أن يقلق أهلها عليها وعلى أختها. فقد قضينا أكثر من ساعتين في اللعب واللهو، في الوقت الذي كان أهلها يبحثون عنها وعن أختها، ولا يعرفون أين ذهبنا

وفي اليوم التالي قالت لي صديقتي - أنها بعد أن عادت إلى البيت - مع شقيقتها وبعدها يئس الأهل من العثور عليهما، بأن أمهما قد انهالت عليهما بالضرب عندما عادتَا كعقوبة لهما على هذا التصرف غير المسؤول وعدم إبلاغها بمكان وجودهما، وكانت كلما تذكرت هذه القصة تقول لي: لن أنسى طوال حياتي هذه العقوبة من والدي حتى إن جدتي التي كانت دوماً تحنو علي لم تدافع عني في ذلك اليوم كدليل على فداحة الخطأ الذي ارتكبته والقلق والخوف اللذين سببتهما لأهلي.

سبحان الله.. وبعد مرور ثلاثين سنة أعاد التاريخ نفسه وبنفس الحادثة؛ فقد قامت ابنتي بنفس التصرف حين ذهبت إلى بيت زميلتها في المدرسة مباشرة بدون أن تستأذن مسبقاً منا، ودون أن تتصل بي من بيت زميلتها، وبقيت أنا والدها نبحث عنها حوالي ثلاث ساعات إلى أن أخبرتني إحدى زميلاتنا بأنها رأتها تذهب مع زميلتها إلى منزلها. ولكم تخيل العقاب الذي اخترناه لعطيها درساً لتتعلم منه معنى تحمل المسؤولية والتصرف بحكمة وعدم التسبب لنا بالقلق.

مرت أيام المدرسة بحلوها ومرها، لكن حلاوتها كانت تفوق مراتها بأضعاف؛ فقد كانت غرفنا الصيفية رغم بساطة محتوياتها مفعمة بالأخوة والحب والانسجام والمرح والتعاون؛ فقد كنا نحب بعضنا البعض ونلعب ونستغل فرصة الخمس دقائق بين الحصص لنمارس هواياتنا ونظهر مواهبنا الفنية والموسيقية بالغناء والرقص والطبل على المقاعد الخشبية. ومازلت أذكر الزميلات اللواتي كن يتقن فن تقليد المعلمات والطالبات بجدارة، وبأسلوب فكا هي جميل، أو التي كانت تقفز على طاولة المعلمة أو على الدرج وتقوم بالرقص ونحن نطبل ونصفق لها وما إن نلمح المُدرسة قادمة إلى الصف حتى تعطي إحدانا إشارة الانضباط والعودة إلى مقاعدنا وكأن شيئاً لم يكن، وإذا حصل وتم ضبطنا فإما أن نعاقب عقاباً جماعياً أو أن تعترف الطالبة التي كانت تقوم بالإزعاج (في نظر إدارة المدرسة) ولكنها كانت مصدر مرح لنا، يا لها من أيام جميلة لا تنسى.

ذكريات مع الإدارة والمعلمات

كانت نظرتنا للإدارة والمعلمات تتميز بالاحترام والرغبة، وقد حصل معنا الكثير من المواقف منها الطريف ومنها غير ذلك، ولا تزال لي بعض العلاقات مع معلماتنا أيام المدرسة ولكن ليست كعلاقة المعلم والتلميذ ولكنها علاقة صداقة واحترام وبدون أن ننسى فضلهم السابق علينا.

بعض الذكريات لا تنسى خاصة أن بعض المعلمات اعتمد أسلوب القسوة والتعنيف وبدون مراعاة لنا في مراحلنا العمرية المختلفة وحاجتنا للتوجيه والاحتواء عندما كنا أطفالاً أو مراهقين، لن أنسى ما حيينت تلك المعلمة عندما قامت بتوجيه كلمات قاسية ولاذعة للطالبة مشاغبة، وكان انتقادها جارحاً ومؤلماً للطالبة حيث اعترضت على شكلها وخلقتها التي خلقها الله عليها، عندما قالت لها حرفياً: "ألا يوجد في بيتكم مرآة لتنظري إلى شكلك القبيح؟"

أصابنا جميعاً الذهول من كلماتها. وربما الألم والإحراج، مما دفع الطالبة لتدافع عن نفسها وبنفس الأسلوب الاستهزائي الذي استخدمته المعلمة معها بأن تنتقد أنف المعلمة الكبير، فما كان من المعلمة إلا صفتها على وجهها بقوة وأخرجتها من الصف لتنال العقوبة المشددة من المديرية، وتمت معاقبة الطالبة بأن لا تدخل إلى الصف لمدة يومين. لقد كان مركز القوة في تلك الأيام للإدارة والمعلمات ومن تتجاوز من الطالبات حدّها تأخذ نصيبها من العقاب وبدون التحقق من حقيقة الموقف أحياناً.

وكلما تذكرت الموقف، قارنت أسلوب التعامل مع الطالبات قديماً وهذه الأيام حيث كان بعض المدرسين والمديرين يتصفون بالقسوة في التعامل ولا يراعون الأمور النفسية والظروف الاجتماعية المحيطة بالطالبات، ويعتقدن أن القسوة والعنف هي أفضل أساليب التعامل مع الطلبة. ولو أردنا تحليل الموقف الذي حصل؛ فإنه مهما كان السلوك الذي قامت به الطالبة لا يحق للمعلمة إحراجها بأمر لا يد لها فيه أمام الطالبات؛ فالتوجيه الذي يتم بهدوء واحترام يكون له أثر إيجابي أكثر من العقاب العلني أمام الجميع، وكان على المعلمة أن تنال جزءاً من العقاب على عدم حكمتها في التعامل مع الطالبة وإجبارها على رد الإهانة لها أمام زميلاتها دفاعاً عن نفسها وكرامتها.

طالبات مزعجات

لا تخلو المدارس والصفوف من الطالبات المستفزات سواء للمدرسات أو لزميلتهن؛ فقد كان هناك طالبة تستفز معلمة اللغة الفرنسية التي لم تكن تفقه شيئاً من اللغة العربية بكلماتها الساخرة التي تدفع بنات الصف للضحك، وكان هذا السلوك يثير المعلمة الفرنسية ويؤجج غضبها لأنها لا تعرف

كيف تفاهم مع طالبات لا يُجِدْنَ الفرنسية ولا تجيد هي العربية أو الإنجليزية؟ بمعنى أن جزءاً من الفوضى التي كانت تحصل في الصف كان لعدم وجود لغة تفاهم مشتركة بين المعلمة والطالبات، فانتهى العام الدراسي دون أن تتعلم الفرنسية ولم نفهم إلا عدة كلمات فرنسية بسبب ذلك.

وكانت هناك طالبة تصدر أصواتاً مزعجة بغلاف " حلوى السمسمة" حيث كان الغلاف مصنوعاً من النايلون المقوى الذي يصدر صوتاً مزعجاً عندما تضغط عليه بيدها، فكانت تستغل الطالبة الأمر وتصدر الصوت عندما تتعد المعلمة عنها، وكلما اقتربت المعلمة من مصدر الصوت توقفت عن إصداره وكأنها كانت تلاعب المعلمة لعبة " حامي"،، بارد" بهذا الغلاف من النايلون، كان الأمر مستفزاً للمعلمة وسبباً لإثارة الفوضى والضحك بالنسبة لباقي الطالبات.

وكانت هناك طالبة أخرى متفوقة ومميزة وذكية ولكنها كانت تسبب الازعاج للمعلمة بكثرة حركتها ونشاطها. وكانت تصدر أصواتاً بأصابعها لكي تختارها المعلمة لتجيب عن الأسئلة، وأحياناً كانت ترفع يدها عالياً وتقرب أصابعها عند وجه المعلمة عندنا تكون بجانبها. كانت الطالبة تريد الاستحواذ على الإجابات جميعها على حساب زميلاتها، والمعلمة لم تكن تريد أن تحرم الأخريات فرصتهن بالإجابة والمشاركة؛ فقد كانت المعلمة رقيقة وحساسة جداً، ولم تكن تستطيع السيطرة على هذه الطالبة المزعجة التي كانت تحاول أن تأخذ حق الطالبات وتستفرد بالإجابة مما أفقد المعلمة قدرتها على السيطرة وضبط الصف، فما كان من المعلمة إلا أن أخذت تبكي وخرجت من الصف، لا أزال أتذكر هذه المعلمة رحمها الله؛ فقد كانت مسالمة ولا تستطيع السيطرة على إدارة الصف.

وهناك طالبة لم أنس قصتها طوال هذه السنين، تزوجت هذه الطالبة ونحن في الصف الثاني الإعدادي، أي كان عمرها خمسة عشر عاماً؛ فقد كانت طويلة وجميلة وتبدو أكبر من عمرها لكنها كانت حزينة. وأنا كنت حزينة عليها أيضاً؛ لأن أهلها أجبروها على الزواج بمهندس كان يكبرها باثني عشر عاماً!! حزنت عليها لأنها ما زالت طفلة ولم تكن نستوعب موضوع الزواج المبكر وقتها ولا المسؤوليات المرتبطة به؛ فقد كان همنا الكتاب والدراسة والمدرسة واللعب.

دارت الأيام والأعوام والتقيتها بعد أربعين عاماً؛ فإذا هي أم لخمسة أبناء وبنات وجدة ولها أحفاد ولكنها مطلقة وتسكن مع ابنها الكبير المتزوج؛ فبعد إنجابها خمسة أبناء حصل الطلاق بينها وبين زوجها لعدم الانسجام الفكري بينهما، وتزوج هو بأخرى وعادت هي إلى أهلها وأكملت دراستها المدرسية والجامعية وتفوقت في الجامعة ثم عملت في القطاع الحكومي وبلغت منصباً رفيعاً في إحدى الوزارات.

فسبحان الله، في النهاية وبعد سنين طويلة، قد نحصل على إجابات للسؤالات التي كانت تؤرقنا منذ طفولتنا ولسنوات طويلة، وتذكر أشخاص تلك القصص لنغلق صفحة من صفحات الماضي التي كانت لا تزال مفتوحة في الذاكرة.

الإدارة المدرسية بين القسوة والحزم واللين

تفاوت أساليب المديرات والمعلمات في الإدارة والتعامل؛ فمنهن الإداريات الحازمات الرائعات اللواتي لا يخلون من شدة ورفق ولين، ومنهن المعلمات الراقيات اللواتي يمثلن مهنة التعليم بأرقى معانيها ومفاهيمها سواء بسلوهم أم بكلماتهم وأساليبهم الراقية الداعمة، فيفهمن ويستوعبن الطالبات ويتعاملن معهن بلطف ولين، مراعيات ظروفهن الأسرية والمادية والنفسية ويكن بمثابة الأمهات والأخوات لهن.

ومنهن الشديديات المرعات اللواتي تبدو عليهن ملامح القسوة والشدة، ويستعملن ألسنتهن السليطة لتوبيخ الطالبات وانتقادهن غير مراعيات لمراحلهن العمرية المختلفة أو حاجتهن للدعم والحب والاحترام والتقدير، وهؤلاء اللواتي كنا نحسب لهن ألف حساب ونتفادى رؤيتهن في الممرات أو حتى في الشارع ونخشى التعامل معهن. كما كنا نخاف أن نلتقي بهن بعد مغادرتنا للمدرسة؛ لأن دور المعلمة لم يكن في المدرسة فقط؛ بل يستمر لما بعد مغادرتنا المدرسة، فكن يحاسبنا إذا التقيناهن في الطريق وسألنا: لماذا نحن في الطريق وليس في بيوتنا للدراسة؟

ولم أنس تلك المعلمة التي نعتنا جميعاً بكلمات نابية كانت تعتبر قمة في التحقير وتتنافى مع الأساليب التربوية ومع الموقع الذي يفترض أنها يجب أن تكون فيه قدوة لنا.

وفي المقابل أذكر موقفاً آخر مع مديرة المدرسة التي كانت تنزل بعد استراحة الطعام لتراقب انتظام طابور العودة إلى الصفوف بنفسها، وكانت تقف على الباب الداخلي الذي يؤدي إلى غرفنا الصفية. وبينما كنت أمشي في طابور المدرسة، رأيت جزءاً من "ساندويش" في يدي لم أنته من تناوله لأنني كنت بطيئة بالأكل، فطلبت مني أن أخرج من الطابور وأقف جانباً لأكمل ما تبقى من الساندويش على مهل وقالت لي: اذهبي إلى صفك عندما تنتهين من طعامك. وقتها شعرت بالأمان وأنها ليست مديرتي فقط؛ بل أمي التي تحنو عليّ ولم أنس لها عطفها وحنانها.

بعكس تلك المديرة في الابتدائية التي وقفت عند أعلى الدرج وضربت كل طالبات المدرسة بعصا غليظة بحجة أن الطالبات كن يصدرن أصواتاً مزعجة خلال الفرصة وهي تريد تأديبهن لمنعهن من

اللعب وإصدار الصوت العالي . في ذلك اليوم شعرنا جميعاً بالظلم لأن المديرية عاقبت غالبية الطالبات بلا سبب؛ فبعضهن كن مريضات ولا يتحملن الضرب والتعنيف وكننا أنا منهن؛ علماً بأن اللعب أو الضحك حاجة طبيعية وصحية لنا في ذلك العمر؛ فلدينا طاقة نحتاج لإفراغها في اللعب والتفاعل والمرح خلال الاستراحة حتى نستطيع الانضباط خلال الحصص الدراسية.

صحيح أننا كنا أطفالاً ولا نفهم أمور الحياة كما نفهما الآن، لكننا كنا قادرين على التمييز بين الإدارة الرحيمة المتفهمة وبين الإدارة القاسية غير المتفهمة، وبين المُدرّس الإنساني في تعامله معنا وبين المدرس القاسي . إن ذكرياتنا في سياق المواقف التي تعرضنا لها أو تعرضت لها أخريات أمامنا حُفرت في الذاكرة ولم ننسها بل دليل هذه القصص التي أذكرها إلى الآن ورغم تجاوزي الخمسين من العمر .

ولكن الماضي أحياناً لا يبقى ماضياً لأنه يظهر إلى السطح باستمرار من حين إلى آخر، ودارت الأيام، وكانت هذه المديرية في الابتدائية تقطن في عمارة أصدقاء لي في عمان، واشتبتك مع إحدى جاراتها بشراسة، ربما لأنها اعتادت إيذاء الآخرين واعتقدت أنها قادرة على التعامل معها كما فعلت معنا ونحن أطفال، ولكن جاريتها قامت بضربها وأوقعتها أرضاً وسقطت عن الدرج وتسببت لها بأضرار جسيمة، وعندما ذُكرت القصة لي قلت في نفسي: اللهم لا شماتة، ولكن رب السماء لا ينسى الظلم؛ فكما تدين تدان ولو بعد حين.

عالم الطفولة والذكريات

عالم الطفولة والمدرسة التي تأخذ من حياتنا حوالي اثني عشر عاماً، يحوي الكثير من الذكريات والمفارقات! فقد تكونت غالبية أفكارنا وقناعاتنا خلال هذه السنوات التي كانت المدرسة بعد الأسرة هي المصدر الوحيد للعلم والتعلم والتفاعل في وقت لم تكن وسائل التكنولوجيا متوفرة كما هي في السنوات العشرين الأخيرة؛ فما يُقدّم لنا من المدرسين من مفردات ومعلومات وسلوكيات كان مُصدّقاً دائماً وغير قابل للشك.

وبعد أن كبرنا وتعلمنا ونضجنا أصبحنا قادرين على الفهم والتحليل لكثير من هذه المفردات والسلوكيات التي لم نكن ندرك أسبابها بسبب صغر أعمارنا؛ فكل معلمة من المعلمات جاءت من بيئة مختلفة عن الأخرى نشأت وتربت فيها، وربما كانت هي نفسها ضحية بيئة سيئة وانعكست على سلوكها معنا، وبرغم ذلك فالعلم والدراسة والشهادات التي تحملها لم تستطع أن تغير من طباعها وصفاتها للأفضل ولم تستفد من علمها لتغيير نفسها؛ فأصبح لكل منهن صبغتها الغالبة عليها وكذلك الأمر بالنسبة للطالبات.

هنالك الكثير من الذكريات والأحداث والقصص التي لا أستطيع نسيانها؛ فنحن الطالبات كنا نحب معلمات دون أخريات، وعندما نلتقي يستغربن كيف ما زلت أذكر تلك الأحداث وتفاصيلها؟! نضحك وأقول لهم: أولاً: إن الله أنعم عليّ بذاكرة تفصيلية تتعني في بعض الأحيان "والله يديم عليّ ذاكرتي". وثانياً: لأننا كنا نتحدث ونحن طالبات عن تصرفات المدرسات معنا، وكنا نقارن بين المدرسات ونحكم عليهن من خلال تصرفاتهن معنا، وكنا نقدر بأن هذه المدرسة الفلانية تعاني من مشاكل واضطرابات نفسية أو أسرية وبالتالي سلوكها معنا يجعلنا نكرها، وأخرى مدرسة لطيفة وجيدة وكنا نحب التعامل معها.

الزمن يدور والقصص تتجدد وتزيد، وعجلة الحياة تدور بكل ما فيها من أحداث وتطورات، ولقد عشنا قصصاً تشبهها مع أبنائنا وأحفادنا. وعندما نقارن أيامنا هذه بالأيام الماضية نشعر بالحسرة والشوق إليها لأنها كانت أجمل وأنتى وأروع رغم بعض الظلم والقسوة!

أما الآن فالتكنولوجيا غزتنا في عقر دارنا ودخلت علينا عنوة وبلا استئذان!! وفرضت علينا أموراً وممارسات لم نكن نتقنها من قبل فسرت منا الكثير من الطيبة والسلام والأمان والتي كنا نعيشها رغم بساطة الحياة، فأصبحت حياتنا سريعة فارغة وذهبت البركة من الأوقات والأشياء والأشخاص؛ فها نحن وأولادنا وأحفادنا نلهث وراء عالم التكنولوجيا السريعة التي تعتمد على الاختراعات المتوالية المستمرة، حيث أصبح الهاتف النقال هو العصب المحرك للحياة، وغداً يتحكم بنا كباراً وصغاراً، آباء وأبناء، شبيهاً وشباباً؛ فلقد سيطر على أوقاتنا وأفكارنا ومعتقداتنا، وأصبح يُسيرنا في كل اتجاه؛ بل وسرق منا ماضينا وحاضرنا وأصبح تأثيره على الجيل الحالي تأثيراً سلبياً على الأغلب؛ فهم الآن يتسابقون لكي يلحقوا بالحضارة الكاذبة المزيفة بمعزل عن الدين والعرف والعادات والتقاليد التي تربينا نحن عليها وكانت لنا البوصلة التي ساقتنا إلى بر الأمان، فلا أعلم أي مستقبل ينتظرهم، وأين ستقلهم هذه القفزة التكنولوجية التي ملكت العالم بأسره، وألغت الكثير من القيم والمبادئ التي كانت هي الأساسية في نظرنا؟! رغم إدراكي وفهمي للفروقات الحضارية بين أوقاتنا وأوقاتهم.

ما قبل كورونا وما بعدها

بعد مرور ما يقارب العام على ولادة أسوأ أثنى على وجه الأرض وسمّيت كورونا - COVID 19 - والتي انبثقت من أبوين غير شرعيين وانحدرت من عائلة نجسة، أبت إلا أن تلوث الأرض بشاعتها وغرابتها وقلة أصلها.

غزتنا هذه الآفة وهذا الوباء الذي انتشر بسرعة، ومن يوم أن حلَّ بأرضنا وأجوائنا ونحن في حيرة من أمرنا، نعيش مصدومين وتائهين، مصدقين ومكذبين لهذا الوباء الذي نرى آثاره ولا نراه، وصول ويجول في كل مكان، ويصطاد من يصطاد من أرواح ضحاياه؛ فمنهم الكبير والصغير والمريض والسليم، ومنهم من قاوم وانتصر، ومنهم من استسلم جزئياً فوهن وضعف! ومنهم من استسلم كلياً ليس يارادته ففارق الحياة إلى غير عودة!

خطر لي أن أعقد مقارنة ما بين أيام كورونا وما قبلها، وبدأت استرجع الأيام الخوالي وكيف كنا نعيش حياتنا على السليقة وعلى البركة، ورغم تعقد الحياة وظروفها إلا أننا كنا في نعمة لم نعرف قيمتها وأهميتها إلا بعد أن فقدنا قيمة الأشياء من حولنا؛ فلم نعد نملك حرية الحركة والدخول والخروج أينما وكيفما شئنا وحيثما أردنا. ولم نعد نمارس ما كنا نعتبره أدنى حقوقنا الطبيعية، فلننظر حولنا لنرى الفرق ولتقارن، كل من وجهة نظره.

بادئ ذي بدء سأبدأ بالسفر وحرية الحركة والتنقل، فما قبل الكوفيد -19 كان السفر متعة للنفس، ومن كان يريد السفر لا يفكر إلا بتأمين الفيزا وحجز التذكرة وتحضير شنطة السفر. أما الآن فلم يعد بمقدورنا السفر إلا بشروط صعبة ومعقدة؛ فالمغادرة لم تعد خياراً لنا فلقد أصبحنا مقيدين بالقوانين التي تضعها الدول وشركات الطيران وحجز التذكرة وثمانها الباهظ وأصبح "الحجر" من وإلى أماكن السفر ضريبة شاقة وله شروط وقوانين خاصة بكل بلد، وهناك بلدان تتطلب أن تحجر عليك بالفنادق وأخرى بالحجر المنزلي، ومنها ما يطلب الحجر أسبوعين، ومنها ما يحجر أسبوعاً، ومنها ما يجدد الحجر بسبب ظهور إصابات جديدة، عدا عن ظروف الحجر القاهرة في بعض الأحيان. وقد تسبب الحجر لكثير من المحجورين بإصابتهم بالتوتر والضغط النفسي والأزمات النفسية جرّاء الظروف الصعبة المحيطة بهم وإجراءات العزل والوحدة التي فرضت عليهم. وبعد الحجر الفندقية هناك حجر منزلي مدته تُقرر حسب قوانين البلد الذي تقيم فيه. لذلك أصبح السفر نقمةً بعدما كان نعمة وأصبح شقاءً بعد أن كان رفاهية، ويعتمد كل هذا على سبب السفر إن كان للعلاج، أو للعودة إلى الوطن لرؤية الأهل والأحباب، أو بسبب العمل، أو بهدف التجارة وغيرها من الأسباب!! هذه أولى المفارقات التي حصلت بسبب كورونا، وقد تعرضتُ لها مع زوجي عندما عدت إلى الوطن في بدايات انتشار الوباء.

أما المفارقة الثانية فهي الأعراس والأعراس! فبعد أن كانت حفلات الأعراس تقام بطقوس لها ما لها وترتيبات وتجهيزات وتكاليف مادية وغيرها. وبعد أن كانت فترة الخطوبة تمتد لأشهر طويلة قد تتجاوز السنة، أصبحت الفترة قصيرة واختصرت كل مظاهر الترف والبذخ؛ فقد كانت العائلات

تتكلف فوق طاقتها لإقامة حفل زفاف أو خطوبة ابتداءً من الجاهة وانتهاء بحفل الزفاف، وحيث كان العرس وإحياء ليلة من ليالي العمر - التي كانت أحياناً تمتد حتى الصباح - يحتاج في الغالب إلى فرق موسيقية بالإضافة إلى تكاليف الديكور والورد والتصوير والإضاءة وتزيين قاعة العرس والضيافة بأشكالها، وتكاليف فستان العروس وملابس العريس والتزيين والصالونات وتكاليف شهر العسل والسفر والحجز بالفنادق والصالات والمبالغة في أعداد المدعوين.

أما الآن وفي زمن -الكوفيد 19- فقد أصبح المستحيل ممكناً وتبدل الحال وأصبح العريس يأتي بعشرة من أهله وعشرة من أهلها ثم يستلم عروسه في معزل عن مظاهر البذخ والإسراف والمبالغات التي كانت تنهك الأسر وتثقل كاهل الزوجين لسنوات قادمة. وأصبح من الممكن أن يتم العرس في احتفال عائلي بسيط وأن يقتصر على الأفراد المقربين، وفقد شهر العسل رونقه حيث لا سفر ولا بحر ولا خروج من البيوت.

ونقف متسائلين أمام بعض الحالات التي تقبل فيها بعض الشباب والصبايا الزواج بدون وجود أحبتهن وأصحابهم من حولهم. فكيف تقبل شاب وعروسه أن يتزوجا في حفل بسيط، يخلو من وجود الوالدين والأشقاء من حولهما بسبب تواجد العروسين في بلد وهم في بلد آخر ولم يستطيعوا السفر وحضور الزفاف؟!

وكيف تقبل الأهل لابنهم الذي يعمل في دولة من دول الخليج ولم يستطع العودة لبلده أن يعقد قرانه على فتاة تعمل معه ويتزوج بعدم وجود أهله وأهلها وذلك لشعوره بالوحدة؟! وكيف أصبح من المتقبل أن يتزوج شباب في اليوم العشرين لوفاة والدته، حيث لا حداد ولا عادات ولا أعراف سابقة؟!

وكيف أصبح من المقبول اجتماعياً أن تُسهل الظروف الوبائية لكثير من الشباب والشابات أمور الخطبة والزواج بعيداً عن تعقيدات العادات والتقاليد وتكاليف الزواج والأعباء المادية المبالغ فيها؛ بل ويتم الأمر بكل سهولة ويسر؟! وربما هذه من نعم وإيجابيات الوباء علينا، وربّ ضارة نافعة، وإن مع العسر يسراً، والله رحيم بعباده، ولعل ذلك رحمة من رب العالمين أن يسر لكثير من الشبان والشابات أمور زواجهم، والتي كانت في عُرف زمان ما قبل -الكوفيد 19- توصف بالمستحيلة أو الصعبة.. لعل في الصعب سهلاً وفي الشرّ خيراً.

المفارقة الثالثة: بيوت العزاء من حيث العُرف والعادات والتقاليد: خلال هذه الفترة العvisية فارقنا أحباء وأعزاء كثيراً وأصبحت مصيبة الموت تأخذ شكلاً مغايراً، فاختلفت طريقة الدفن وأصبحت لها شروط خاصة، وأصبح ذوو المتوفي يتلقون التعازي بواسطة وسائل التكنولوجيا الحديثة، التي تصدرت

المواقع هذه الأيام وأصبحنا نكتفي بمكالمة هاتفية أو رسالة عن طريق الفيسبوك أو الواتس آب، وأصبح العزاء مقتصرًا على أهل الميت القريين جدًّا، وأغلقت بيوت العزاء التي كانت تستمر ثلاثة أيام بكل تكاليفها حيث كان يخرج منها أهل المتوفى مرهقين مادياً ومعنوياً. وكانت بعض بيوت العزاء تستقبل المعزين لأكثر من ذلك حسب أهمية المتوفى ومنزله.

أما ما بعد كورونا فقد ألغيت هذه المجالس وانتهت هذه العادات والتقاليد، وإن شاء الله إلى غير رجعة؛ لأنها كانت عادات اجتماعية مرهقة مادياً ومعنوياً.

ومن مفارقات العزاء في زمن -الكوفيد 19- أن لا يستطيع الأب حضور عزاء ابنه بسبب منع السفر في هذه الفترة! أو عدم قدرة الأبناء على حضور عزاء الآباء! كم فارقت أمهات الحياة ولم تستطع البنات رؤية أمهاتهن في مرضهن ولا بعد وفاتهن ولم يحضرن عزاءهن بسبب قوانين الحجر ومنع التواجد مع المرضى في المستشفيات!؟

وكيف يقبل الناس ألا يرافق المتوفى إلى الدفن إلا ابنه وأخوه وعدد لا يتجاوز أصابع اليد من الأقارب المقربين بعدما كانت تعج المدافن بالمئات عند الدفن!؟ قصص كثيرة سمعناها أرعبتنا عن الموت والدفن في زمن -الكوفيد 19- حتى إن بعض الأبناء أحجموا عن استلام جثث آبائهم لدفعهم خوفاً من الوباء! وأصبح لقاء الأهل والأحبة ووداعهم من خلال شبكات التواصل الاجتماعي بدون عناق ولا تواجد جسدي فعلي وإنما تواجد افتراضي عبر الأثير.

المفارقة الرابعة والكبرى وهي معضلة التعلم عن بُعد: لقد أصبحت هذه القضية قضية كل عائلة في هذا العالم؛ لأنها أرهقت الآباء والأمهات، والمعلمين والمعلمات، وأرهقت النظام التعليمي والتقليدي حيث تبدلت الأدوار وتغيرت الظروف؛ فقد أصبح التعليم عن طريق الأجهزة الصماء وأصبح الجزء الأكبر من المسؤولية ملقى على كاهل الأهل، وأصبح من الصعب ضبط الأمور من قبلهم بسبب عدم المعرفة بطرق التدريس وأساليبه التي فرضتها التغيرات الجديدة، وضعف القدرات التعليمية للأهل لمساعدة الأبناء في جميع المواد التعليمية وعدم وجود الاستعدادات المكانية والتكنولوجية وكفاية الأجهزة في كثير من البيوت لمساعدة الطلبة على التعلم الصحيح، مما يضيع فرصاً لتعلم كثير من الطلبة بسبب عدم التواجد الفعلي في الفصل الدراسي وضياع فرص الحوار والنقاش والتفاعل الصفي والطلابي التي يحتاجها الطلبة لبناء شخصياتهم وقدراتهم ومهاراتهم.

لا شك أنها مرحلة تحديات جديدة وصعبة ومختلفة، ومع هذا يجب العمل على تعزيز محاولات التأقلم والتكيف مع الظروف والوضع القائم وعدم التذمر والشكوى، حتى نستطيع إكمال مسيرة الأبناء التعليمية من خلال الأهل والمدرسة على حد سواء. ومن المؤكد أن وزارة التربية والتعليم تقوم قدر

المستطاع بما عليها لإيصال المعلومات للطلبة والنهوض برسالتها التعليمية على الرغم من سلبيات وإيجابيات التعليم عن بعد.

المفارقة الخامسة وهي التسوق والخروج من المنزل: وما طرأ عليها من تغيرات أثقلت كاهلنا وكبلت أيدينا. بالنسبة لي كان التسوق من أحب المُتَمَعِّ إلى نفسي؛ فقد كنت أستمتع بالتسوق والشراء، سواء كان شراء حاجيات البيت أم الملابس أم الأجهزة، كنت أمارس هواية التسوق بحب وشوق. أما في زمن - الكوفيد 19-، فقد أصبح التسوق معضلة، وأصبح للخروج طقوس وتجهيزات خاصة، وأصبح عليّ أن أعقّم يديّ باستمرار وألبس قفازات خاصة و(أكمم) أنفي وفمي وأضع حجاي فأصبحت كالملثمة التي لا يبدو منها سوى عينيها، وفي الطريق إلى السوق قد لا يعرف أحدنا الآخر بسبب اللثام، وكلنا ينظر إلى الآخر بتعجب، وأحياناً أنظر لنفسي وكأنني آتية من كوكب آخر غير الذي كنت أسكنه من قبل وأرى من حولي وكأنهم كائنات فضائية غريبة، لقد أصبح الشعور بالغربة والبعد عن الآخرين كبيراً.

إضافة إلى أن اللثام يتسبب لي بضيق في التنفس، وأحاول أن أغادر المكان بسرعة حتى أستطيع إزالة الكمامة والعودة إلى التنفس الطبيعي، لذلك تحول التسوق من نعمة إلى نقمة، وبعد أن كان التسوق متعتي المفضلة، أصبحت لا أطيق السوق ولا التسوق، وأعتقد أن هذه حال الكثيرين من النساء غيري، كما أصبح التسوق عبئاً على جميع أفراد المجتمع بسبب الخوف والحذر الزائد من العدوى والمرض عند التسوق.

أما من الناحية الاقتصادية فقد تركزت -الكوفيد 19- أثراً سلبياً على جميع نواحي الاقتصاد وعلى المستويات العامة والخاصة والفردية والجماعية كافة؛ فكثيرة هي الوظائف التي فقدت صلاحياتها وفائدتها بسبب الوباء كالعامل في الفنادق والمطاعم والمقاهي وبعض الأعمال الحرة التي تعتمد على الرفاهية وغيرها الكثير.

ولقد عانى الكثير من الناس من تدهور أوضاعهم المالية، وانعكس ذلك سلباً على الأسر؛ فظهرت مشاكل عائلية بسبب التواجد الطويل في المنزل حيث حدثت الصدامات والخلافات بين أفراد الأسرة بسبب الأوضاع الاقتصادية وسوء الأوضاع النفسية، وبسبب عدم القدرة على تحمل زيادة المسؤوليات مع تردي الوضع الاقتصادي.

ونشكر الله تعالى أننا في الأردن شعب متكافل يسند بعضه بعضاً إلى حدّ كبير، على الرغم من حدوث بعض من هذه المشكلات. ولكن إلى متى ستبقى الحال على ما هي عليه؟! لقد اضطر كثيرون

إلى تغيير نمط أعمالهم، فاشتغل هؤلاء بالزراعة والبناء وأعمال الدهان والطراشة وغسيل السيارات لتوفير قوتهم وقوت عيالهم اليومي وتراكمت الديون عليهم وازداد العنف الأسرى والخلافات الزوجية بسبب قلة ما باليد.

في حين أنشأ البعض مشاريع صغيرة تخدم المجتمع ويستطيع الفرد من خلالها تأمين لقمة عيش كريمة له ولأسرته. وأصبح المهندس يعمل سائق سيارة أجرة، والمعلم أصبح عامل بناء، ومُنظمة الحفلات أصبحت تعمل حاضنة أطفال في منزلها، وأصبح الشباب يعملون في مجالات ما كانوا يفكرون العمل بها لولا الحاجة المادية والوضع الوبائي في البلد.

نحن الآن في زمن - الكوفيد 19-؛ زمن سرق منا كل شيء واختلقت فيه الأيام والأحداث، وأصبحنا نعيش في أرق وقلق وخوف ورعب وشك، نخاف التعامل والاقتراب من الآخرين خشية أن ينقلوا لنا المرض والعدوى أو أن ننقله لهم. نشك فيمن نتعامل معهم، نشك في أنفسنا وأقاربنا وأصدقائنا وأحببتنا بسبب انتشار حالات المرض. أصبحنا منغلقيين على أنفسنا وصرنا نبتعد عن بعضنا البعض وعن أهلنا وأحببتنا مكرهين، فلا نزور ولا نُزار؛ فالخوف من المرض والموت أصبح كبيراً؛ فالحياة غالية والمرض صعب، وإن كنتُ من المؤمنين بأن الآجال يمكن أن تنتهي بسبب - الكوفيد 19- أو غيرها متى حان الأجل. ولكن الروح عزيزة والاحتياط واجب والعلاج غير موجود.

وخلاصة أخيرة، ومع انتشار الوباء العالمي الذي زاد على العام والمتوقع أن يستمر لفترة أخرى لا يعلمها إلا الله؛ فقد خرجت بعدة نتائج أخال نفسي لا أخالف الصواب فيها، فقد استنتجت أن كل ما حصل وتغير في أمور حياتنا هو هدف من أهداف من صنعوا هذا الفيروس، وربما خططوا للوصول إلى هذه النتائج أو أنها خرجت عن سيطرتهم، والله أعلم بهم وبأهدافهم.

فها نحن نبتعد عن بعضنا البعض حتى في البيت الواحد، تغيرت نظرتنا للحياة وتغيرت طريقة تفكيرنا، وتغير نهج حياتنا اليومي، فأصبحنا نعيش في ضياع وشتات مكاني وزماني وروحي. لست متشائمة ولكن ذهبت متعة الحياة وبساطتها، وفتّر اللقاء وعزّ الطلب وقلّت البركة، وانتشرت الجريمة بأبشع أشكالها كما لم نعرفها من قبل.

وها نحن نهجر عاداتنا وتقاليدنا وأعرافنا وقيمنا.

وها نحن نهجر مدارسنا ووظائفنا ومساجدنا ودور عبادتنا، وكعبتنا وأقصانا.

وها نحن أصبحنا جيبسين منازلنا وليس لنا إلا هذا الجهاز الصغير الذي ينقلنا إلى عوالم خارجية نطل بها على العالم ويشتر ويبيث لنا ما يريدون أن نعرفه ونطلع عليه من معلومات لا يعلم إلا الله بصدقها أو كذبها.

نتواصل مع أحببتنا من خلال شاشات باردة صماء تحجب عنا رؤيتهم وعناقهم وتلمس وجوههم والشعور بروائح عطرهم، موجودين معنا وغير موجودين. قرييين منا ولكن بعيدين عنا، نريد أن نلقاهم ونخاف من لقاءهم. أصبحنا سجناء بيوتنا وأفكارنا ومخاوفنا، سجناء الخوف والقلق من كل شيء حولنا. والسؤال الذي لا جواب عليه، كل ذلك لمصلحة من؟

أقول لنفسي، ربما أثرت على تفكيرنا تلك الأخبار وأفلام الخيال العلمي المرعبة التي تشربنا أفكارها على جرعات ومراحل فلم نعد نتق بشيء مما نرى ونسمع من حولنا. فمن ذا الذي يريد إيذاء البشرية والسيطرة على خلق الله؟ ومن ذا الذي يعتقد بأنه قادر على القضاء على البشرية باستهتاره أو باعتقاده بأمور ونظريات لا يعلمها إلا الله؟ إيماننا يفرض علينا أن نؤمن بأن ما أصابنا ما كان ليخطئنا، وما يحدث في العلم هو بعلم الله وقدره، ربما ضاقت علينا الأرض بما رحبت وضاقت أزرقنا وأحوالنا، ولكن ما ضاقت إلا لتفرج. وما في يدنا من حيلة إلا التشبث بكتاب الله وسنة نبيه الكريم واحتساب أمورنا لله في كل خطوة وكل عمل نعمله، وندعو الله تعالى أن يزيل الغمة عن الأمة ويصلح الحال ويبلغنا المراد والآمال.. ولا حول ولا قوة إلا بالله... إنه على كل شيء قدير.

ورغم كل السلبيات والتغيرات التي ارتبطت بـ -الكوفيد 19- إلا أنها أعادت كثيراً من أمور حياتنا إلى نصابها الصحيح، وأجبرتنا على العودة للسير ضمن تناغم الكون الصحيح وإرادة الله ولو رغماً عنا.

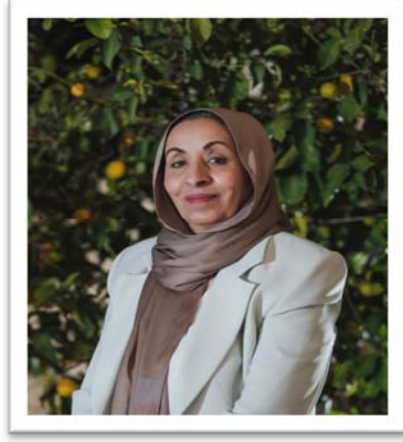
الكاتبة في سطور

- خولة زهير الكايد، مواليد عمان، الأردن. حاصلة على الثانوية الفرع الأردني سنة 1976.
- متزوجة ولي ثلاث بنات وولدان وعشرة من الأحفاد.
- عملت لفترة كمدرسة لمحو الأمية في وزارة التربية والتعليم. وعملت في مؤسسة التلفزيون في قسم إعداد البرامج، وأمينية مكتبة الفيديو. حصلت على دورات في اللغة الألمانية واللغة الإنجليزية. ودروة في تجويد القرآن الكريم من وزارة الأوقاف لدي اهتمامات في الفنون والأدب، حصلت على دورات في الرسم، والخياطة. وصناعة الزهور، فنانة تشكيلية، أقمت سبعة معارض فنية برعاية شخصيات معروفة.
- ولي بعض الكتابات بالثر والشعر. وعضوة في نادي الفنار للخطابة. وفي ملتقى سيدات أردنيات.
- محبة وممارسة للعمل التطوعي في مجال العمل الخيري والإنساني ومساعدة المحتاجين.
- أحب السفر والتعرف على ثقافات البلدان الذي أسافر لها.

الفصل السابع

شجرة الليمون

بقلم: رجاء زهير العواملة



رَبِيَّة بَيْت

لم يخطر ببالي يوماً أن أشارك في كتابة خواطري أو تجارب حياتي وتوثيقها في كتاب جماعي يضم العديد من المشاركات، جمعتهم تجربة الكتابة ربما ولأول مرة بدون قيود أو شروط، وكلّ يكتب بأسلوبه وحسب رغبته. جاءت الفكرة بمبادرة من الصديقة الكاتبة إكرام العش حيث جمّعتنا مشكورة في كتاب نسطر فيه خواطر من حياتنا، وذلك تزامناً مع العام الأصعب على العالم أجمع، العام الذي عشناه بخوف وقلق دون أن يحسب عاماً طبيعياً كباقي الأعوام السابقة. نتمنى أن يكون عام 2020 قد مضى بخير حاملاً معه كل ما فرضه علينا فايروس أو وباء -كوفيد 19 من حياة بلا حياة ونبض، وأن نتمنى أن يزهر ربيع جديد في حياتنا يتزامن مع انتصار العلم بعلاج يقضي على هذا الوباء ويعيد إلى الحياة نبضها وإيقاعها، فما تعلمناه من عام 2020 قد يكون شكراً واستشعاراً لأبسط نعم الله علينا التي طالما تعاملنا معها كتحصيل حاصل وحق طبيعي في حياتنا بدون أن نقدره حق قدره؛ فالحمد لله على كل حال.

حفيدتي زينة

رغم كثرة الحكايات فكرت ماذا سأكتب وبماذا سأشارك؟ استوقفتني سؤال بل مجموعة أسئلة من حفيدتي، قررت أن تكون مدخل مشاركتي. سألتني: "تيتيه" كيف إنتموا كتبوا زمان بالمدرسة؟ كان إلك صاحبات؟ كتتي تحببهم كلهم؟ ما في حدا كان يضايقك؟ مين أكثر وحدة بتحببها؟ وكم صاحبة عندك؟" أسئلة كثيرة وعشوائية تريد أن تستفسر وتفهم الحياة في زماننا وأيام المدرسة وكيف كانت الدنيا في تلك المرحلة.

تريد حفيدتي أن تعرف كيف كانت الحياة في زماننا... عندما فكرت في الأجوبة، وجدت أشياء كثيرة قد تغيرت، بين الماضي والحاضر، سرحت لبرهة أعادتني للطفولة وأيام المدرسة ولذكريات جميلة عشناها مع صديقات الطفولة والدراسة والجيران، كانت الحياة جميلة كنا نستمتع بكل تفاصيلها، كان لها طعم مميز ورائحة جميلة كرائحة الياسمين التي كانت تملأ الطرقات في طريقنا إلى المدرسة، وكنا نقطف زهرات الياسمين لنصنع منها طوقاً جميلاً لهنديه لأمي بعد عودتنا من رحلتنا الجميلة إلى البيت، ذكريات أسردها لحفيدتي التي تسأل وتستمتع وتعيد السؤال من جديد.

في حديثي معها نلمس الفرق بين جيلين وبين الماضي والحاضر، أشعر بالحزن لأطفال اليوم الذين حُرّموا من ممارسة الحياة الطبيعية وأصبحوا ضحايا الأجهزة اللوحية والشاشات والهواتف الذكية والألعاب الإلكترونية التي اجتاحت العالم وسرقت من الأطفال مرح الطفولة واستبدلت بها طفولة افتراضية بكل ما تحمله من معان فاقدة لنكهة الحياة والطفولة ومعناها.

لا شك أن هناك جوانب إيجابية في سهولة وصول هذا الجيل إلى المعلومات؛ فقد أصبح يتلقى المعلومات من خلال شاشة صغيرة بسهولة ويسر وبدون معاناة، مختصراً الكثير من التجارب والمحاولات والتعثر والسقوط والنهوض مجدداً لتحقيق النجاح.. اختصرت الحياة من مراحلها الطبيعية بالبحث والاستمتاع بالتجارب ومساعدة الآخرين في إيجاد الحلول، أصبحت الحلول بكبسة زر، وأصبح الجيل يعتمد على أخذ المعلومات جاهزة، وفقدوا الصبر وطول البال والتمحيص والبحث، وأمور كثيرة تغيرت بين الجيلين.

أقول: نحن جيل عاش حياته واستمتع بتفاصيل الحياة العفوية كلها، رغم صعوبتها وفقر مواردها لكنها كانت جميلة جداً، وذكرياتها تعطينا الأمل بالاستمرار، ولكن أشفق على جيل أبائنا وأحفادنا، وما الذي سيتذكرونه من هذه المرحلة. تُرى، ما هي ذكرياتهم وأين كانت ملاعب طفولتهم؟ هل سيتذكرون

الألعاب الإلكترونية التي جعلتهم جزءاً من الدمى التي يلعبون بها؟ أم سيتذكرون فيروس ووباء - الكوفيد 19- الذي حرمهم التمتع بالحياة واللقاءات العائلية؟ أم الحروب والتهجير والتشرد الذي عانت منه دول عديدة وشقيقة؟ أم المجاعات التي تعاني منها الدول الفقيرة؟ أم معاناة أهلنا في الدول المجاورة؟ أم معاناة أهل غزة والفلسطينيين من جرائم الاحتلال؟ أم الفتن التي تزرع في كل بلد لإثارة النعرات الطائفية بين الناس؟ هذه حياة هذا الجيل، ويتساءلون عن حياتنا التي كانت - رغم محدودية الموارد والترفيه - أجمل، وكل شيء فيها له قيمته، وأجمل ما فيها كانت بساطة الناس وطيبتهم وتلك الوسطية الجميلة بعيداً عن التعصب.

لا أدري ماذا سيتذكرون؟ أحاول بين الفترة والأخرى أن أروي لحفيدتي قصصاً من ماضي عشتة وأستمع بذكرياته الجميلة، حتى أجعلها تستمتع وأنا أتحدث معها، وتسهب وتسالني وكأنها توقظ في نفسي ذكريات جميلة، أحاول أن أرويها لها كي لا ينطوي الماضي بالحاضر الذي نعيشه، والذي فقدنا به كثيراً من طبيعة الحياة العفوية والتواصل الاجتماعي الحقيقي والمباشر؛ بعيداً عن شاشات تحكمتنا وتربطنا على كرسي ونكون كالسجناء والأسرى للأجهزة التي تقلنا من تطبيق لآخر؛ بعيداً عن الهواء النقي والشمس الجميلة ورائحة الشجر وزقزقة العصافير.

إلى أين نحن ذاهبون بهذا العصر؟! فقدنا لياقتنا وحيويتنا، وأصبحنا أسرى ومقيدين ومكتوفي الأيدي، نتنظر المعلومات، لا نبحث ولا نتحرك، وفي النهاية سوف نفقد حيويتنا وصحتنا ونصبح ضحايا الأجهزة التي حولتنا إلى متلقين فقط.

نحن جيل كنا نعيش اللحظة وأنتم جيل يصور اللحظة وينسى أن يعيشها كنا نعيش اللحظة ونستمع بها وأنتم يا صغیرتي تصورون اللحظة وتنسون أن تعيشوها، فلا بد لنا من تحقيق التوازن لتسخير التكنولوجيا لمنفعتنا بدلاً من أن نصبح أسرى وعبداً لها؛ فهناك حياة خارج جميلة وحقيقية خارج هذه العوالم الافتراضية؛ حياة يجب أن نعيشها بتفاصيلها ونستمع بجمالها.

تعلمت من زوجي - رحمه الله -

أعود وأسأل نفسي: هل العمر الذي وصلنا إليه يجعلنا نأخذ ولا نعطي، وتلقى المعلومة ولا نتفاعل معها؟ كثيراً ما أحدثت نفسي وأقول: ألا يجب علينا في هذا العمر أن نتحدى أنفسنا حتى لا نفقدنا؟ ونعود إلى الممارسات الصحية والرياضية اليومية وتقليم الأشجار ومداعبة الأزهار والاعتناء بالطيور والحيوانات البيئية؛ فذلك يعطينا النشاط ويمدنا بالتفاؤل والأمل ونقضي أوقاتاً سعيدة بعيدة عن الأسر الإلكترونية.

ألا يجب علينا أن نعمل على التخطيط لحياتنا بصورة أفضل لنعيش حياتنا مع أحببتنا وأصدقائنا ونستمتع بالطبيعة وبما أنعم الله علينا؟ ألا يجب علينا أن نعيد ترتيب ملفات حياتنا وأخذ الدروس والعبر من تجاربنا التي مررنا بها وتذكر كيف تجاوزنا كل مرحلة منها؟

لقد مررت مع زوجي - خلال علاجه من مرض السرطان الذي استمر عشرين عاماً - بتحديات وتجارب طويلة وقاسية عشتها معه بكل تفاصيلها، ومع هذا كان إنساناً قوياً ومثابراً حارب المرض بقوة ولم يتوان في تجربة أي علاج مهما كان قاسياً وصعباً ومرأياً. كنت أساعده في كل تجربة أو علاج يمكن أن يخفف عنه أو يوقف هذا المرض اللعين، والحمد لله أنه استطاع مقاومة المرض مدة عشرين عاماً بكل الوسائل والطرق؛ فقد كان يؤمن بأن لا شيء يسمى مستحيلاً. كانت معنوياته عالية باستمرار، وكان يبث الأمل فيمن حوله، وكان إيجابياً بعيداً عن السلبية؛ فهذا كان علاجه لنفسه في مقاومة المرض - رحمه الله -؛ فقد كان من الصابرين.

هذه التجربة الحياتية الصعبة، أعطتني الكثير من الصبر، وعلمتني أن لا شيء صعب ولا مستحيل مع العمل والمحاولة، وها أنا أحاول أن أكمل مسيرة حياتي بعد فقدان شريك العمر فأجد نفسي أحياناً غير قادرة على أن أعود كما كنت في السابق، وأشعر بأن مصدر قوتي ودعمي قد ذهب. ولكن الشيء الوحيد الذي يجعلني أستمر هو تذكّر إيجابياته ومثابته وقدرته على تجاوز الصعاب، وتذكر كلماته وإكمال مسيرة الحياة مع عائلتي، ابني وبناتي، وحفيدتي التي تبث في الأمل براءة الطفولة.

تحت شجرة الليمون

كم أتذكر شجرة الليمون التي كانت تحيط بحديقة المنزل الجانية وجلساتنا تحتها، ورائحة الزهر في الصباح الباكر تفوح في الأرجاء وعند الغروب، كنا أنا وإخوتي ننتظر فطور الصباح وطبق الفتة بالحليب والسمن البلدي الذي كانت تعدّه لنا والدتي قبل الذهاب إلى المدرسة، فنتناول فطورنا على عجل حتى لا نتأخر على المدرسة. لا أنسى المذاق الشهوي لهذا الطبق، الذي واصلت والدتي صنعه بعد سنوات للأحفاد بوصفة سرية موقعة بكل الحب

جبل الحسين

لجبل الحسين الذي عشنا وكبرنا فيه ذكريات لا تنسى؛ فمدينه عمان بجبالها السبعة المتعاقبة المطلة على بعضها البعض كانت مدينة صغيرة، وكانت العائلات تعرف بعضها بعضاً، ولم تكن أطراف المدينة قد شهدت عمراناً بعد، حتى إن ضاحية الحسين كان هي المنطقة الأبعد في عمان.

ومن بين جبال عمان السبعة كان جبل الحسين هو الجبل الأقرب إلى قلبي؛ ففيه جمعت ذاكرتي أحلى اللحظات، وأنا الطفلة الثالثة بالترتيب في العائلة بين ثلاث أخوات وثلاثة إخوة، وفيه اجتمعت بصديقات الطفولة والصبا، بعضهن بحكم الدراسة، والأخريات بحكم السكن وعلاقات الجيرة.

طريق المدرسة

كان مشوارنا الصباحي اليومي يبدأ سعيداً ونحن في طريقنا إلى المدرسة، كنا نذهب سيراً على الأقدام، رغم أن المدرسة كانت في نفس المنطقة لكنها تحتاج منا السير قليلاً للوصول إليها، وخلال رحلة الصباح كنا نلتقي زميلات الدراسة في الطريق ونشارك الأحاديث الممتعة والشيقة فكنا لا نشعر بالمسافات ولا بالتعب.

وتمر ساعات الدراسة ونعود أدراجنا إلى المنزل. وكان أجمل ما في طريق العودة عندما نللمم ما في جيوبنا من القروش وتوقف لشراء "الفوشار" الملون والمحلى بالسكر، كما كنا نركض نحو بائع الدحدح (النواعم)، تلك الحلوى الشعبية اللذيذة، وكذلك بائع المهلبية بالعسل. كانت أشياء جميلة في مشوار عودتنا من المدرسة إلى المنزل حيث ينتهي ونحن في شوق إلى رائحة الطعام التي تفوح من مطابخ البيوت القديمة ونوافذها وترافقنا إلى أن نصل المنزل ونحن نتساءل فيما بيننا: تُرى، ماذا أعدت أمهاتنا لنا من طعام الغداء، وما إن نصل المنزل وقبل أن نرتاح من مشوار الطريق نترأض إلى المطبخ لنعرف ما هي الوجبة الشهية التي تنتظرنا؛ فالروائح المنبعثة من كل مكان لا تجعلنا قادرين على الانتظار.

حياتنا كانت روتيناً جميلاً بعد الغداء حيث نتابع دراستنا ونعمل واجباتنا المدرسية ومن ثم نشاهد بعض برامج التلفاز الذي كان يقتصر على قناتين فقط: القناة الأردنية والقناة السورية؛ فتتابع بعض المسلسلات المحدودة التي كانت تعرض مثل مقالب عوار وأفلام الكرتون وبرامج محددة كشرات الأخبار وبرنامج المسابقات (فكر واربح) والمسلسل اليومي الذي كان ينتظره كل أفراد الاسرة.

مُعلماتنا

لا تزال الذاكرة تحمل أسماء الكثير من معلماتنا اللواتي نكن لهن كل الحب والتقدير وكذلك مشاعر لا تخلو من الرهبة، وعندما أقول الرهبة فأنا لا أبالغ ولكنني أقصد الرهبة النابعة من الاحترام والتقدير لمكانة المعلمة ونبل رسالتها. كما نشعر بالحب والامتنان لمعلماتنا اللواتي تعبن من أجلنا. ورغم كل الذكريات الإيجابية والسلبية يبقى لهم في الذاكرة كل الاحترام والتقدير.

نعم، نحن من ذلك الجيل الذي كان يتعد عن طريق المعلمة حين تمر؛ لأننا نخجل أن ترانا نتحدث ونمزح أو نضحك، وكانت السعادة تغمرنا عندما نساعد المعلمة على حمل الدفاتر وهي في طريقها لمنزلها في نهاية الدوام، كنا نشعر بالفخر إذا طلبت منا مساعدتها حتى تصل منزلها. كانت من أجمل لحظات حياتي عندما قابلت إحدى معلماتي قبل سنوات في مناسبة اجتماعية فسلمت عليها وأخبرتها أنني كنت إحدى طالباتها في المدرسة، شعرت بالسعادة وقتها لأنني لم أنسها رغم طول السنين، وأخبرتها بأنها كانت من أفضل المعلمات وأحبهم إلى قلبي. ومرة أخرى كنت أنتظر دوري في إحدى العيادات بالمستشفى؛ فإذا بمعلمتي تدخل إلى العيادة وكانت مليئة بالمرضى ولا يوجد كرسي فقممت من مكاني وتوجهت إلى معلمتي وقلت لها: تفضلي اجلسي هنا فاعتذرت بشدة ورفضت، فقلت لها: أنت كنت معلمتي وأنا طالبة من طالباتك قبل أكثر من ثلاثين عاماً فسلمت عليّ وعانقتني وقالت لي: "فيكي الخير". وكم كنا سعداء بهذا اللقاء حيث تجاذبنا أطراف الحديث القصير الذي أعادنا إلى الماضي ولو للحظات.

ما فرقته الأيام جمعته التكنولوجيا

بعد أن تخرجنا في الثانوية العامة، وعلى مدار سنوات عديدة، ذهبت كل منا في طريق، منا من تزوجت ومنا من أكملت تعليمها، ومنا من عملت وتغربت. المهم أننا نفرقنا جميعاً ولم نعد نلتقي إلا بالصدفة مع إحداهن بين وقت وآخر، وما أقلها من صُدف! فرقتنا الأيام لتلتقي كل منا بقدرها ونصيها الذي كتبه الله تعالى لها. وقبل عدة سنوات قامت إحدى الزميلات بإنشاء مجموعة عبر الواتساب حملت اسم "قروب بنات سكيته"، نسبة إلى مدرسة سكيته بنت الحسين التي تخرجنا منها، وبدأ عددنا يزداد كلما تم إضافة زميلة يتم الالتقاء بها أو تتذكرها إحدانا وتعرف مكانها لتضاف للمجموعة. اجتمعنا تحت مظلة الواتساب بعد غياب طويل وبعد أن تغيرت أشكالنا وخطّ الزمن بعض خطوطه على وجوهنا، تبادلنا الصور التي جمعت ما بين الماضي والحاضر لنستطيع ربط الأسماء بالأشكال الجديدة التي أصبحنا عليها، منا من تغيرت ومنا من استطعنا ربطها بطفولتها بسهولة. والتقينا بعد طول غياب وبقيت مشاعر الصداقة القديمة دافئة بين أعضاء المجموعة التي ضمت أكثر من ثلاثين سيدة جمعتهم الصداقة ومحطات الدراسة والهجيرة في جبل الحسين. ولا نستطيع أن ننكر أنها أحد نعم التكنولوجيا ووسائل التواصل الاجتماعي التي اختصرت المسافات وقربت الناس من بعضهم البعض رغم تواجدهم في بلاد الشرق والغرب.

بالرغم من أن كلاً منا لها حياتها وانشغالاتها ومسؤولياتها، إلا أن لقاءاتنا المتكررة بين الوقت والآخر وكلما سمحت الظروف كانت متنفساً ومصدر سعادة لنا لنعيد خلالها ذكريات الماضي وأحداثه ونستذكر لحظات بعضها لم يُنس وما زال راسخاً في الذاكرة، وبعضها نسيناها فنسترجعها ونستذكرها بحنين وفرح.

وبعد أن التقينا حرصنا على مشاركة بعضنا البعض لحظات الفرح والحزن وتبادل الأخبار والذكريات. فما أجمل الصداقات الصادقة التي لا يغيرها الزمن ولا تلوّثها المصالح وتبقى نقية صافية كقلوب أصحابها؛ هذه الصداقات التي عشناها وكنا محظوظات بها فقد باتت نادرة في زمن تغيرت فيه كثير من المعاني ومنها معنى الصداقة الحقيقية.

الموضة والنمط الاستهلاكي

كنت أقلب في ألبوم الصور القديمة، فلفت نظري صورة عندما كنا نرتدي "بنطلونات شارلستون" العريضة، وكانت أحدث صيحات الموضة في حينها. في الواقع ضحكت قليلاً وأنا أستحضر الماضي وأقارنه بالحاضر، وما بينهما من مفارقات، لاحظت أن الموضة تعود مجدداً ولو بعد عقود. لكن كل شيء يتغير في حياتنا فأصبحنا نعتمد على الأسلوب الاستهلاكي في كل شيء.

ففي الماضي كانت والداتنا تفصل لنا ملابسنا وتخيطنها لنا، أو قد تخيطنها لنا (الخياطة) التي كانت مهنة مهمة في ذلك الوقت، أو كنا نشتريناها من متاجر محدودة. كنا نواكب الموضة بعيداً عن التطلب والمبالغة، لكن لم نكن يوماً ضحايا للنمط الاستهلاكي في الشراء أو - حُمي الشراء - كما هو متعارف عليه الآن بين النساء والفتيات؛ فقد كنا نكتفي بما نملك ولا نشترى الملابس لتزيد عن حاجتنا ثم نرميها أو نتصدق بها؛ فكثرة الامتلاك لم تكن من العادات المتعارف عليها بين العائلات؛ بل لقد كان يتم (تدوير الملابس) بين الأشقاء في البيت الواحد؛ حيث لم يكن هناك بحبوحة مالية لغالبية الأسر؛ إذ كان تعليم الأبناء هو الهدف الأكبر السائد في المجتمع.

شرحت لحفيدتي ابنة العشرة أعوام التي كانت تجلس بجاني ما كانت تستفسر عنه في الصور التي تراها، وكيف كانت قمة سعادتنا أن تخيط لنا أمهاتنا ملابس العيد بأيديهن والفرحة التي تسبب بها هذه الملابس الجديدة لنا. وفي نفس الوقت كنت أستعيد ذلك الماضي بشخصه الذي رحل بعضها وما تزال الذاكرة عطرة بهم.

علمتني الحياة

"كن أنت ولا تكن غيرك": عندما تعيش هذا المبدأ، تسير حياتك بخطوات واثقة على الطريق الصحيح وبيال مرتاح. اصنع معاييرك الخاصة بنفسك ضمن ما يتوافق مع حياتك وظروفك وقناعاتك واحتياجاتك وأهدافك وطموحاتك؛ فحياتك لا يجب أن تكون نسخة عن حياة شخص آخر.

لا تضغط على أعصابك واعتزل ما يؤذيك: فعندما تنجح أو تفشل فالنجاح والفشل لك أنت، ولا تحاول أن تعتمد على قرارات أحد في حياتك. ابتعد عن كل ما يسبب لك الأذى النفسي ويؤثر عليك سلباً. اختر أهدافك جيداً واصنع نجاحك بنفسك، والصدق والوضوح مع النفس هو الخطوة الأولى في سلم الحياة.

كثير من الناس يتعذرون بالوقت والانشغالات غير الحقيقية: وهنا أستذكر مقولة جاكسون براون: لا تقل أبداً ليس لدي وقت؛ فإن لديك نفس الوقت الذي كان لدى أديسون وغراهام بل وجيمس وات وبيكاسو وليوناردو دافينشي وغيرهم، فقط اعمل ولا تتحجج بعدم وجود الوقت فهو موجود إن أردت استغلاله.

فن التعامل مع الآخرين

بداية، الحديث والمحادثة فن اجتماعي ليس محصوراً بفرد واحد، وعلينا أن نتعلم إتقانه حتى تستمر علاقاتنا بحب واحترام.

مارس المجاملة بدون مبالغة كي لا تقع في فخ التملق؛ فالمديح الصادق هو إطرء ومجاملة محمود، والمبالغة في الإطرء والمجاملة فهو تملق غير محمود.

أن حُسن اختيار المواضيع مدخل مهم لبناء العلاقات مع الآخرين، ويجب الحرص على أن اختيار مواضيع تلمسك بصدق لتصل إلى الناس وتلمس قلوبهم.

اللباقة في الحديث تكمل أناقتك الخارجية.

لا تتحدث عن نفسك كثيراً، وتذكر أن "من تواضع لله رفعه".

مراعاة آداب الحديث وعدم مقاطعة الآخرين وإعطاء المجال لهم بالحديث واحترام الأكبر سناً.

لا تهمس بأذن أحدهم عندما تكون في جلسة مع مجموعة.

لا تقل لمن أخطأ أنت مخطئ، اختر كلماتك بعناية حتى لا تزيد الخلاف بينكما وحتى يتقبل نصيحتك.

الاختلاف في الرأي قد يكون بداية حوار وليس نهاية علاقة، والاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية.

ناقش بهدوء ووعي، ابتعد عن نبرة الصوت العالية، وإياك والتجريح.
لا تهزأ بكلام أحد، وعليك أن تشعر كل شخص أنه مهم أثناء الجلسة.
لا تقدم النصائح بطريق مباشر، ولا تتدخل بأمور شخصية بدون أن يطلب منك ذلك.
امتنع عن المزاح الذي يتطور ويتحول إلى غضب وخلافات.
كن مستمعاً جيداً حتى لو كان الموضوع لا يهمك.
لا تسيطر على الجلسة واسمح لغيرك بالنقاش والمشاركة.
الاعتذار ليس عيباً عند إساءتك للآخرين.

طوفان أخبار وتضارب معلومات

كم كانت الحياة جميلة عندما كنا نأخذ الأخبار من الصحف اليومية الورقية التي كانت هي المرجع الوحيد للأخبار المقروءة، وكان الراديو هو المصدر الوحيد للأخبار المسموعة الذي يعتمد عليه معظم الناس وتجتمع حوله العائلات، كما كانت الكتب هي المراجع الأخرى للذين يحبون البحث والاطلاع والتعمق أكثر؛ فلم تكن الصحافة الصفراء قد انتشرت بهذه الدرجة.

وفي هذه الأيام، نحن نعيش وسط طوفان من الأخبار والمعلومات الكاذبة والزائفة، التي تثير الرعب والشك والقلق في النفوس لشدة غرابتها وبشاعتها، سواء كانت عبر الجرائد الورقية أم الإلكترونية أم عبر وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي المختلفة.

ورغم سرعة وصول الخبر من خلال القنوات والمصادر المتعددة، إلا أننا لم نعد نصدق ما نقرأ ولا ما نرى ونسمع؛ لأننا تعودنا على أن نبحت عن الصدق في الخبر لا عن الكذب والتضليل.

فعلى سبيل المثال، جائحة فايروس - كورونا أو كوفيد 19- التي هزت كيان العالم، لم يحصل العالم - وربما العلم - على إجابات كافية لها لغاية الآن. وسرعة وكثافة تناقل هذه المعلومات مع عدم الصدق والشك في كل ما يتعلق بها، جعلتنا نعيش في خوف وقلق. ومع تضارب المعلومات تزداد التساؤلات عن مدى الخطورة الحقيقية للفايروس. فهل المرض خطير لهذه الدرجة أم إن سوء التعامل

معه هو الأخطر؟ هل هو إنفلونزا شديدة أم مرض قاتل؟ ولماذا يفتك بأجسام دون أخرى؟ هل،،، وهل،،، وهل وألف هل تُركت بلا إجابات.

لقد تغيرت حياتنا رأساً على عقب بشكل كلي، فأين كنا في سنوات سابقة وأين أصبحنا الآن؟! وقد فرض علينا الوباء أن نلتزم منازلنا، وتوقفت أفراحنا وأعمالنا، وابتعدنا عن أحبائنا خوفاً عليهم من التجمعات، وأصبحنا نخشى اللقاءات خوفاً على الأجنة من المرض. ويبقى السؤال: إلى متى ستبقى هذه الجائحة؟ وقبلها ربطتنا التكنولوجيا إلى الأجهزة التي أصبحت تعيش معنا كل ساعات يومنا ونومنا، لقد فقدنا لياقتنا وحيويتنا وصحتنا إلى حد كبير. أصبحنا أسرى مقيدين مكتوفي الأيدي، وفقدنا متعة اللقاء والحوار والنقاش، وتحولنا إلى مُتلقين لا مفكرين مع هذه الأجهزة الصامتة. وعلينا أن نستيقظ من غفلتنا ونعود لممارسة الحياة والتمتع بجمالها والاستمتاع بطبيعتها وهوائها وشمسها. لا بد من الوعي والتعاون لتعود حياتنا كما كانت مليئة بالحيوية والسعادة. لا بد وأن نحافظ على درجة من التفاؤل والأمل بأن يكون القادم أفضل، وأن نحافظ على طاقنا الإيجابية ونحضر ما يطلقها، ونتمسك بقيم الرحمة والتسامح والمحبة ونبعد عن النفاق ونكون أنفسنا ونحب للخير للجميع.

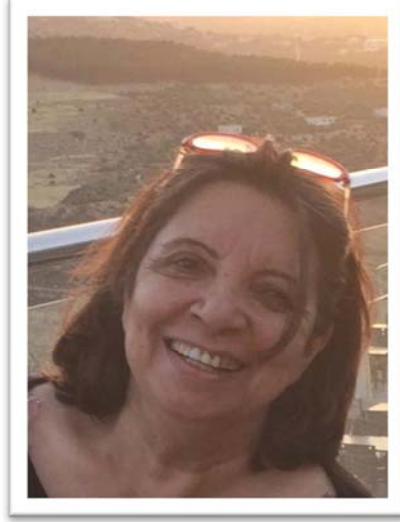
الكاتبة في سطور

- رجاء زهير العواملة، مواليد مدينته عمان - الأردن. لذي أربعة من الأبناء وحفيدة واحدة.
- حاصلة على بكالوريوس في اللغة العربية عام 1983 من جامعة بيروت العربية. عملت في دائرة الإحصاءات العامة ب خلال فترة دراستي الجامعية. حاصلة على عدة دورات منها "مهارات البيع والتسويق الابتكاري" و"الحملات الترويجية والإعلانية" و"بناء قدرات المرأة في مجال الأعمال".
- مالكة مؤسسة فردية "مؤسسة النهر المقدس للوساطة التجارية".
- عضوة بالجمعية العلمية الفلكية الأردنية وبنادي أبو نصير الثقافي. أمارس هواية التصوير والزراعة المنزلية.

الفصل الثامن

هلح الزهايمر

بقلم: شفق مصطفى ارشيد



مدرسة متقاعد، وفنانة في الخزف

لكل امرأة قصه ترويها. كثيراً ما كنت أفكر أن أكتب قصه حياتي في كتاب أو في أحداث رواية. كنت أكتب على دفتر مذكراتي أو قصاصات ورق على أمل أن أستطيع استكمالها في رواية ذات يوم، وعندما بدأت أكتب وأجمع قصاصات ما كتبت عبر سنوات طوال لم يكن يدور بخلدني ولو للحظة واحدة أن أنشر ما كتبت، ربما لأنني كنت أكتب لنفسني وعن نفسي ولم أرغب أن يشاركني بذكرياتي أحد. وعندما قررت أن أشارك في هذا الكتاب كان الاتجاه العام لما كتبت يدور حول ما تواجهه النساء عندما تصل إلى سن الستين سواء من مواقف مضحكة أو محزنة، وعن التشبث بالحياة وعن اللهاث نتيجة الركض السريع الذي لا يتفق مع اللياقة الجسدية المستهلكة للحاق بقطار العولمة وبكل ما يلحق ذلك من زهو أحياناً ببعض الانتصارات التكنولوجية والإحباطات في أكثر الأحيان أو التوقع بإحدى الزوايا وانتظار انتهاء الأجل.

لا أستطيع أن أنكر أن جزءاً مما كتبت من أحداث هو انعكاس لحياتي أو يمكن أن تكون سيرة ذاتية عني، وما تبقى استعرت من حكايات سمعتها أو عايشتها لأناس آخرين ضخمته في أماكن وقزمتها في

أماكن أخرى، أو اختزلت جزءاً من تفاصيلها أو حذف بعضها من تفاصيلها أو أضفت لها تفاصيل من حكايات أخرى، فصلتها على مقاسي وأصقتها بذاتي أو هي أحداث ابتدعتها خيالي ليس إلا. فأنا عندما أكتب عادة عن الشخصيات المختلفة تكون أحياناً أكثر قرباً للواقع لأنها لملمت من حكايا وثرثرات النساء ألعب وأعدل بها كما أشاء وألبسها لشخصيات من الواقع شكلتها على مزاجي لتتفق وسياق الرواية لسيدات كدن أن يتجاوزن عمر الستين أو تجاوزنه، أو كما يحلو لنا أن نطلق على أعمارنا جيل السبعينات؛ وهذا لا يعني أننا من مواليد السبعين ولكننا عشنا سنوات شبابنا الذهبية من حياتنا فيها؛ بل وشكلتنا فترة السبعينات من القرن الماضي بكل ما فيها من أحداث جسام غيرت كثيراً من الذهنية العربية، إيجابياً في بداياتها وتخلفها ورجعيه في نهايتها. هذه قصتي، ما زلت في البداية، ولا أدري إلى أين ستقودني أو سأفودها. لا أعرف لمن ستكون الغلبة. ولكن، كل ما أود أن أقول إنني أهدي باكورة إنتاجي الروائي لبناتي الثلاث، حفظهن الله.

عاقبت نفسي

أنا معاقبة، أنا ممنوعة من الخروج من البيت، من الزيارات الصباحية والسهرات المسائية، ممنوعة من استخدام التلفون أو الموبايل إلا للضرورة القصوى وليس للثرثرة النسائية، ممنوعة من إرسال أو استقبال رسائله الإلكترونية، ومن لعب الشدة، ولعبة المهاجونغ الصينية على الكمبيوتر ومن التسوق والتسكع في المولات، ومن الذهاب إلى النادي ومن قراءة المجلات، يُستثنى من ذلك الكتب والصحف اليومية.

لحسن الحظ كان العقاب جيداً؛ إذ أعطاني فسحة كبيرة من الوقت أمضيتها في أعمال مفيدة في المنزل، كنت أؤجل عملها دوماً متذرة بضيق الوقت. رتبت كثيراً من أوراق المبعثرة في مكتبة غرفتي ومكتبة غرفة الجلوس، ووجدت بعضاً منها في حقائبي المنسية مع بعض الدنانير التي فرحت بها كثيراً، ووجدت الكثير من القصصات وبعض الأوراق المهمة بين كتب الطبخ وعلى رفوف المطبخ، ثم مزقت الكثير منها وأعدت تصنيف بعضها.

نظفت ورتبت الثلاجة والفریزر، ووجدت الكثير من الأطعمة المفترزة قد مضى عليها زمن طويل ولم تعد تصلح للطهو، تخلصت من بعضها ووضعت البعض الآخر في متناول اليد لطهوها في أقرب فرصة حتى لا يكون مصيرها القمامة كما حصل مع غيرها، وخلال ترتيبها توصلت إلى قناعة مفادها أن وضع بعض الأطعمة في الفريزر ما هو إلا مشروع تأجيل للرمي في القمامة.

إذاً، هذا عقاب مفيد، سيمتد لمدة أسبوع كامل يتجدد تلقائياً؛ بل ويتصاعد إن تكرر الذنب مرة أخرى. والسؤال: من الذي عاقبني أنا ولماذا؟

أنا من عاقبتي، وأنا من أصدر الحكم على نفسي، وأنا من سأتابع تنفيذ العقاب وبصرامة.. ما الذنب الذي اقترفته، وهل من مجال للعفو من قبلي؟! أشك في ذلك. لا شك أنني أستحق ذلك وأكثر وإلا لما كان العقاب شديداً. طلبت السماح من نفسي ولكنني لم أقبل؛ فأنا شديدة وحاسمة في هذه الأمور مع الجميع، والأجدر أن أكون هكذا مع نفسي؛ فالأقربون أولى بالمعروف!

إذا ما الذنب؟ ما السبب؟ ما الخطأ؟ ما الذي جرى؟ وكم مرة سيتكرر الخطأ مع تنوعه إن كنت فعلاً قد أخطأت؟ وكم مرة سيتجدد العقاب مع تصاعده إن كنت فعلاً أستحق العقاب؟ حياتي مليئة بالحكايات، وهذه هي أولى الحكايات.

منذ أيام عدة لم أتناول أنا وابنتي (فرح) أية وجبة طعام حقيقية ساخنة في البيت سواء وجبة الغداء أم العشاء، أقصد لم نتناول طبخة من طبخات أيام زمان ذات القيمة الغذائية الكبيرة والمعنوية وليست من مشتقات الستيك والمكرونه والوجبات السريعة. اشتقت وابنتي فرح لتناول المقلوبة والكبسة والدجاج المحشي والخضار المطبوخة والفتات والمحاشي، ولكن، كل هذه الأكلات تحتاج إلى عزوة وعدد من الأشخاص لا يقل عن أربعة لتناولها معاً ونشعر بلمة العائلة التي تجتمع على هذه الطبخات التقليدية، ونحن فقط اثنتان نتناول الطعام في البيت، وهذا لا يشجع إطلاقاً على طهو تلك الطبخات التي تحتاج جهداً.

فبعد ثمان سنوات من الزواج توفي زوجي، واکملت حياتي مع بناتي الثلاث لأنتم رسالتي وطريقي معهن؛ فقد تزوجت كل من البنت الكبرى والبنت الوسطى وكل منهما تعيش حياة مستقلة مع زوجها وأبنائها وتراعي مسؤولياتهم الأسرية؛ الوسطى تعيش في الغربية وتعمل وزوجها هناك، إجازاتهم محدودة حيث تمضي بعضاً منها في السفر والسياحة في أرجاء المعمورة بعد أيام العمل الطويلة؛ فهم بحاجة إلى المتعة والاستجمام، وتأتي في زيارات محدودة بالأيام والمناسبات والأعياد فتنتعش حياتنا بقدمها مع ما يرافق قدومها من الضيوف والزوار وزيارات صديقاتها الذين يأتون للسلام عليها، ومن الأقارب وعدد أكبر من الزوار من الخارج الذين تتوافق أيام وصولهم مع وصولها، فلا يتبقى لنا الكثير من الوقت لنقضيه معاً كعائلة صغيرة وبمعزل عن الجميع.

وابنتي الكبيرة لا يبعد منزلها عني سوى بضع دقائق بالسيارة ولا تقبل دعواتي على الغداء إلا كل بضعة أسابيع وفي أيام العطل المفاجئة؛ فلها برامجها الخاصة مع زوجها وأولادها - حماهم الله

ورعاهم -؛ فهي دائماً مشغولة بدروسهم ونشاطاتهم اللامنهجية التي لا تنتهي من سباحة وركوب خيل وموسيقى.

أما في الإجازات الطويلة التي أمّني النفس بأن تقضي معي ولو جزءاً صغيراً منها، فتجدها قد شددت رحالها وجهزت حقائبها مسبقاً لكي تقضيها وأطفالها وزوجها في الخارج منذ اليوم الأول للإجازة وحتى قبل انتهائها بيومين، وعلى الرغم من ذلك فهي حاضرة دوماً عند حاجتي إليها وخصوصاً في حالة تأزمي الصحي.

رجل من صلصال

يقال إن وجود الرجال في البيت يستلزم ويستدعي وجود الطبخ التقليدي اليومي من أرز ولحوم وخضار وغير ذلك، وبالنسبة لي: أين هو رحمه الله؟ أستطيع أن أستجمع صور العائلة القديمة وأتخيل وجودنا معاً على طاولة الطعام، ولكنني لا أستطيع تجسيدها على أرض الواقع؛ إذ سرعان ما يتلاشى الخيال لأعود إلى سراب الواقع.

أستطيع أن أشكل بالطين مزهرية جميلة وبأحجام متنوعة، أو تمثالاً بلا روح ولا مشاعر، لكنني غير قادرة على استحضار رجل سواء كان زوجاً أم ابناً أم أختاً أم نسيباً من لحم ودم وليس من الصلصال. المهم أنني قررت الذهاب إلى السوبرماركت لأشتري لوازم البيت؛ فاشتريت اللحم من الملحمة القريبة، والمعلبات كالعادة لزوم الأكلات السريعة، كما اشتريت أنواعاً من المعكرونة تناسب جميع الأكلات وحاجيات السلّطة، وأسيتون لإزالة طلاء الأظافر وشامبو للشعر وبعض الأواني البلاستيكية مُحكمّة الغطاء (تَبْرَوير). وتذكرت بأنني قد نسيت الورقة التي أعلقها على الثلاجة بالمغنطيس والتي أكتب عليها احتياجاتي من البقالة خلال أسبوع كامل فاجتهدت أن أحاول تذكر كل ما كان ينقصني لأشتريه.

فمن شدة تنظيمي، وكلما أحتاج إلى شيء وأجده ناقصاً في البيت، أسجله على هذه الورقة كي لا أنسى،، ثم أنسى وضعها في الحقيبة عندما أريد الخروج للتسوق، ويبدو بأن النسيان من مستلزمات التقدم في العمر، آآآه أكيد، نسيت كثيراً من الأشياء الأساسية التي دونتها خلال الأسبوع.. لا يهم الآن؛ فهذه عادتي ولم أشتريها.

وأنا أتسوق خطرت بيالي فكرة وقلت في نفسي: لماذا لا أفاجئ ابنتي فرح بأكلة طازجة وساخنة اليوم؟ فهي تحب الرز المطبوخ وتحب صلصة البندورة؛ خاصة أنني وجدت في قسم الخضار كوسا

طازجة وبحجم مناسب وكأنه قد أحضر للتو من المزرعة. وهناك أيضاً الباذنجان البتيري الذي أحبه أنا،
وها قد اشترت الكثير من اللحم المفروم وكل شيء جاهز لطبخة (محاشي) رائعة.. وضعت اثنتي عشرة
حبة من الكوسا في كيس وخمس حبات من الباذنجان في كيس آخر ممتاز. سيكون عندي طبخة ليومين،
رائع، ثم قلت في نفسي: سأضع خمس حبات إضافية من الكوسا وثلاثاً من الباذنجان، لربما جاء أحدهم
لزيارتنا اليوم بشكل مفاجئ وأكدت عليه أن يتناول الطعام معنا فلتكن الكمية كافية وغير مخزية. رجعت
إلى البيت فرحة بهذه الفكرة. حسناً، سأطهو الطعام بأسرع ما يمكن، وسأفاجئ فرحاً بطبخة ساخنة
وشهية، وبسرعة، غسلت كأساً من الأرز وتركته منقوعاً بالماء الدافئ وبدأت بحفر الكوسا والباذنجان،
تبّلت الأرز باللحم والملح والبهارات ووضعت عليه قليلاً من الزيت ثم حشوته ووضعت على النار مع
بعض الماء وكثير من عصير البندورة الطازجة ووضعت الوعاء (الطنجرة) على النار.

كم أشعر بالفخر والسعادة، شكراً لنفسي على هذا الإنجاز، فمن مدة لم أطبخ طبخة المحاشي،
حسناً، الحمد لله، سأكافئ نفسي بفتح الكمبيوتر المحمول وقراءة رسائلتي الإلكترونية، لا، لا، لا، لا لدي
فكرة أفضل، قبل عمل ذلك سأعرج على غرفتي لترتيب سريري ومسح الغبار؛ فالأكل يحتاج إلى
ساعة على الأقل كي ينضج.

دخلت غرفتي، آه، تذكرت أن اليوم هو الأحد، دور منطقتنا في التوزيع المقنن للمياه، لماذا إذاً لا
أستغل اليوم بالغسيل؟ بدأت بنزع أغطية الأسرة وأغطية الوسائد، حسناً لقد نزعناها ووضعت غيرها
نظيفة، ها قد رتبت السرير، دخلت الحمام لأجمع باقي الغسيل من بشاكير وملابس وغيرها لوضعها في
الغسالة،،،، أووف، لقد تذكرت الآن، هذا ما كنت أحتاج شراءه،، مسحوق الغسيل، وبسرعة ذهبت
مرة أخرى إلى الدكان القريب لشراء المسحوق، تجولت قليلاً بين الرفوف القليلة؛ فالدكان صغير
وأحفظ مكان معظم الأشياء التي أحتاجها. فقلت لنفسي: لعلني أتذكر للمرة الثانية ما كنت قد كتبت على
الورقة اللعينة المنسية في أغلب الأحيان والمعلقة على الثلاجة، آه، تذكرت - والله الحمد - أنني أريد
إسفنجات الجلي وورق الحمام، رجعت إلى البيت بسرعة، وضعت الغسيل في الغسالة وشغلته ثم
رجعت إلى غرفتي، وقلت في نفسي: بما أن المياه متوفرة اليوم إذاً لأنظف الحمام، فشرعت في تنظيفه
بهمة ونشاط، المرحاض، المغسلة، البانيو، وأخذتني الحماسة والهمة ونظفت الشباك والباب ثم المرأة
والجدران، لم يبق شيء في الحمام إلا وأصبح يلمع فرحاً.

والآن جاء دوري لأخذ حماماً سريعاً؛ فالجو مشمس في الخارج، وحتماً يوجد ماء ساخن
بفضل السخان الشمسي، شعرت بالرضا عن نفسي وبدأت بتجفيف شعري بالسيشوار، وشممت

رائحة غريبة قلت: لا شك أن السيشوار قد سخن أكثر من اللازم فلا أتوقف قليلاً عن تجفيف شعري. تذكرت آهه، سأمسح الغبار ريشما أعطي فترة نقاهة للسيشوار ثم أعود بعدها لإكمال تسريح شعري وتجفيفه، آهه، الرائحة قد ازدادت، هناك رائحة طعام يحترق، لا شك أن الجارة الشابة في الشقة العليا قد نسيت طعامها يحترق وهي تثرثر مع صديقاتها أو مع أمها على التلفون، لا شك أنها ستتذكره الآن هي أو "شغالتها". وأكملت مسح الغبار. سمعت طرقاتاً على الباب ويزداد الطرقات عنفاً، آهه، من الذي حضر الآن وبدون موعد؟ ألم يسمع الناس بوسيلة اتصال اسمها التلفون؟ أحياناً لا أحب تلك الزيارات المفاجئة خاصة وأني لم أرتب غرفة الصالون بالشكل اللائق اليوم ولم أمسح (الغبرة) المتراكمة وتجاهلت الطرقات على الباب، ثم رنّ هاتفي النقال فإذا بها الجارة الشابة تلقي عليّ تحية المساء وتسالني إن كنت نائمة؟ أجبتها بالنفي، وقبل أن أسترسل في الحديث بادرتني بالقول إنها خافت عليّ إن أكون نائمة فهناك رائحة قوية لطعام يحترق تصل لشقتها مصدرها بيتي، ذهبت مسرعة إلى المطبخ فإذا به ملبد بالغيوم السوداء، آهه، لقد احترق الطعام بالكامل؛ بل لقد تفحم!!!! يا للنكد، ما أغباني، لقد نسيتي وضاعت الأكلة الساخنة التي منّيت النفس بها، يا لخسارة تعبي!!

يقولون: أول الغيث قطرة. هذه ليست قطرة، إنها زخات من القطرات والغلطات، وأول الغلطات سلسلة منها (!؟). ما العمل؟ فتحت النوافذ ورميت الطعام بعد أن انخفضت حرارته في كيس القمامة البلاستيكي الأسود. جلست ساكنة لفترة أفكر فيما حصل، يا لنكد الدنيا يغزل خيوطه حول رأسي. استعدت بالله ثم قمت إلى الغسالة وحملت الغسيل وبدأت بوضعه على المشر في الحديدية، نظرت في الغسيل وتساءلت: ما باله لا تشع منه رائحة النظافة؟! هذا غريب، غسيلي - في العادة - يُضرب المثل في نقائه وترتيبه؟! آهه، لقد نسيت إضافة مسحوق الغسيل الذي ذهبت خصيصاً لشراؤه، ما أغباني! ما هذا اليوم الذي تسير الأمور فيه على غير ما أتمنى؟! جمعت الغسيل عن الحبل، وعدت به مرة أخرى إلى الغسالة من جديد، وهذه المرة لم أنس وضع المسحوق.

شكراً لي.. ازداد غزل خيوط النكد. يبدو أن النهار من أوله يلفّه السواد. بمن اصطبحت يا ترى هذا اليوم؟! لا يهم ليس مثلي من يتطير. رجعت إلى الطنجرة ووضعتها على الغاز وملأها أكثر من النصف بالماء وأضفت بعض القطرات من (الكلوروكس) لإزالة السواد وبقياء الطعام المحترق الملتصق بها، ودخلت غرفة الجلوس وأنا غاضبة من نفسي. شاهدت جزءاً من برنامج مملّ على التلفزيون، وإذا بصوت الجرس يقرع من جديد، فتحت الباب هذه المرة؛ فقد كانت هذه المرة ابنة

خالي، وفور دخولها صاحت: ما هذه الرائحة؟ أخبرتها عن نسياني الذي تسبب في احتراق الطعام، وفي أثناء استرسالها في الحديث معها تذكرت أنني وضعت الطنجرة على النار وكادت تحترق للمرة الثانية،،،، يا لطيف ماذا يحصل معي؟ أين عقلي؟ علي أن أكون أكثر يقظة في كل شيء.

قصصت لها ما جرى معي للمرة الثانية والدموع تملأ عيني. هَوَّنت علي الأمر وقالت لي: إنها تشعر بالملل هي الأخرى وأصرت على اصطحابي إلى مقهى قريب، قائلة لي: أنا أعرفك أكثر مما تظنين الآن، وسيزول عنك اكتئابك فور تناولك قطعة من جاتو الشكولاتة محبوبتك المفضلة، ذهبنا، ومع هذا بقيت حالة التوتر مسيطرة علي، تحدثنا عن التقدم بالعمر ومشاكله وكيف علينا إنعاش الذاكرة، وتحدثنا عن شتى أنواع الطرق لإنعاش هذه الذاكرة دون أن يفارقني الحزن والتوجس، رجعت إلى البيت في حال أفضل، لكنني قررت ألا أخبر أحداً عن احتراق الحلة،،،، للمرة الثالثة!

كنت قلقة. يبدو أنني شربت الكثير من القهوة. في المساء أحاول النوم مراراً ولم أفلح. إذن لأعمل شيئاً مفيداً ما دام النوم قد فارق جفني. أخرجت صندوق الصور المعدني الضخم من الدولاب وأفرغت كمية هائلة من الصور التي التقطناها في مناسبات كثيرة على مدى عشرات السنين وبدأت بتصنيفها تبعاً للزمن أو المناسبة، فربما يأتي اليوم الذي أكتب فيه مسلسل حياتي عبر تلك الصور، يا الله، كم تغيرت الأشكال، وكيف تتكاثر الخطوط الرفيعة حول العينين وعلى جانبي الشفاه، وكيف تزداد عمقاً ووضوحاً مع تقدم المرحلة؟! لقد رصدت حتى الآن تسعة من الشخصوخ في هذه الصور قد فارقوا الحياة، يا لغرابة الحياة، كيف أنهم ذهبوا وما تزال صورهم باقية؟! لماذا يكون الورق أطول عمراً من الأشخاص رغم أن عود كبريت تافهًا كفيل بإحراق أطنان من الورق والصور ويلمح البصر؟! انتابني الحزن على كل من فارقت، لكنني سأستمر في النظر إلى الصور وتذكر الماضي؛ فالنعاس يجافيني، كما أن هذه الأعمال تنعش ذاكرتي وتذكرني كم كانت حياتي مليئة بالحياة في فترة ما. تذكرت الكثير من الذكريات المفرحة أحياناً والموجعة أحياناً أخرى، بالإضافة إلى أن مشاهدة صور الأبناء والأحفاد تبعث في بعض الفخر والفرح، لا شك أنني أنجزت إنجازاً أستحق الجائزة عليه متمثلاً في تربية ورعاية بناتي وأحفادي، الحمد لله على توفيقه لي خلال تلك السنين.

تذكرت الطنجرة المحترقة للمرة الثالثة، ذهبت إلى المطبخ وأضفت لها الماء والبيكربونات ووضعتها من جديد على الغاز وذهبت لأكمل تصنيف الصور، عندها داهمني النوم ولم أصح إلا وأشعة الشمس تلسع وجهي بشدة.. يا إلهي، إنها العاشرة صباحاً، كيف نمتُ كل هذا الوقت؟! هل أنا من أهل الكهف؟! آآه وألف آآه، ولكن ليكن الأمر بيني وبينكم؛ فقد اتصلت بي ابنتي من مكان

عملها لتخبرني أنها وجدت الطنجرة متفحمة على الغاز عندما استيقظت صباحاً وقالت لي: ماما ربنا سترنا فلو كان بقرب الطنجرة بشكير أو قماش لكان البيت قد احترق واحترقنا معه. ووجهت اللوم لي بحيث شعرت بنفسى أتقزم خجلاً. أرايتم أنني أستحق العقاب فعلاً؟! يجب أن أتنبه أكثر، فعلاً قد أصحو مرة أخرى وأرى البيت يحترق، هذا إن صحوت أصلاً!

أنا متأكدة الآن أن العلة لا تكمن في وإنما في هذه الطنجرة اللعينة، فلماذا تحديداً هي دون غيرها تفعل بي ما تفعل؟! ولماذا تجعلني أنساها المرة تلو الأخرى، وأنا ما زلت بكامل قواي العقلية وبكامل صحتي وشبابي؟! إنها الطنجرة المجرمة؛ فهي قد أحكمت مؤامرة ضدي مع سبق الإصرار والترصد، تريد إخراجي، تريد إداتي؛ بل ربما تريد توصيلي إلى حافة الجنون! حتما سأتصدى لها بالمقابل، وقررت أن أعيد لها الصاع صاعين انتقاماً منها على ما فعلته بي، فقررت طردها من بيتي، ولإذلالها، رميتها في كيس القمامة وأخرجتها فوراً من البيت إلى غير رجعة وغير أسفة على ذهابها.. وأخيراً استرحت وانتقمت!

فيتامينات

قاتل الله فيتامين B12 وكل الباءات الأخرى، ورغم أنني تألمت بشدة من أخذ ست حقن من الفيتامين في العضل، إلا أنني كنت أذهب بمحض إرادتي إلى المستوصف القريب من بيتي؛ ومع هذا تبقى لي ست حقن أخرى، واحدة كل أسبوعين، وأشك أنني سأواظب على أخذها بعد الآن.

ولأ أدري ماذا أقول على الحديد والزنك وكل المعادن والفيتامينات الموصوفة... ولا على البروكلي والملفوف والتفاح والبصل والثوم والحمضيات، ولا على الكلمات المتقاطعة والسودوكو، والألعاب الأخرى ومهارات التفكير بأنواعها وكل المغذيات! والحمد لله أنه رزقنا من فضله لنقدر على شرائها والتداوي بها، ولكنها كلها بلا استثناء لم تعمل على إنعاش ذاكرتي!!! هل من صفات أخرى لديكم؟ بت كثيرة النسيان أضع "فاتورة الماء أو الكهرباء" في أحد أدراج المكتبة في غرفة الجلوس كي أتذكرها في اليوم التالي لأقوم بدفعها في البريد أو في البنك، ويأتي الغد وأتذكر أن عليّ القيام بشيء ما كنت قد خططت له في اليوم السابق، فما هو؟! لم أعد أتذكر ما هو، وإن تذكرت أنسى أين وضعت الفاتورة، وإن وجدتها أعود لأنسى الذهاب إلى البنك لدفعها، وإن ذهبت إلى البنك أكون قد نسيت رقم حسابي السري فلا أستطيع سحب النقود!!!

هذه حلقة من سلسلة حلقات النسيان التي تتابني. أخبئ نقودي في مكان ما، وأنا حريصة كل الحرص ألا تكون بمرأى من الشغالة التي تأتي لمساعدتي أسبوعياً، وعندما أحتاج النقود أضئ يوماً أو

أكثر وأنا أبحث عنها مع تلاوة كل الآيات القرآنية كالضحى وباسين لعلي أهتدي إلى الحصن المنيع الذي خبأت فيه ثروتي فيضيع الكثير من وقتي الذي يفترض أن أستثمره في إنجاز عمل ما. من الممكن أن أدخل في نقاش حول دور المرأة في العمل السياسي وفي ذهني أن أستشهد بإحداهن وهي التي أعرفها معرفة شخصية وعن كثب ويهرب مني اسمها، ها هو عالق في ذاكرتي؛ فلماذا لا يظهر؟! أين اختفى؟! فأقول: هذه..... تعرفونها..... تلك التي فازت.. نعم فازت في.....في..... نعم في الانتخابات البرلمانية، إنها.... إنها... وهي جريئة جداً، فتسرع إحداهن لتقول اسمها..... وأفرح كطفلة وجدت دميتها، وأقول طبعاً هي، وأكمل نقاشي ومرافعتي.

إن ما ذكرته ما هو إلا مثال بسيط على أشياء كثيرة أنساها، عداك عن أسماء أقرب الناس والأماكن والأحداث. فعلاً أنتابني الهواجس، ماذا بي؟! ومن أستشير؟ أخذت موعداً وذهبت جزة لطبيب قديم صديق للعائلة فقلت له وأنا أغالب دموعي: إني أعاني من مرض الزهايمر. ضحك قائلاً: يا لطيف، أراك آتية لوحك، كيف ذلك، وكيف لم تنهني في الطريق؟! ثم من الذي شخص لك هذا المرض؟! رويت له كل المواقف التي نسيت فيها، احتراق الطعام، تناول الدواء مرتين وأحياناً عدم تناوله، الفواتير ونسيانها، أسماء الأصدقاء والأماكن، كل ذلك رغم أنني لست حقن من فيتامين B 12 المؤلمة جداً بناء على نصيحة صديقة قالت إنها مرت بمثل تجربتي وتعافت عند ارتفاع نسبة هذا الفيتامين في جسمها.

لاحظت شبه ابتسامة صفراء على وجه الطبيب فتجاهلتها وأكملت قصصي مع النسيان، وبين تشنجاتي ودموعي التي أحاول ألا تسقط، وتأكدي أنني أريد أن أعيش ما تبقى من عمري بكرامة؛ فلا أريد لأحد أن يشفق أو يضحك عليّ بسبب المرض، ولا أريد أن أضيع طريقي أو أنسى أين وضعت طقم أسناني، ولا أريد أن أنسى أحبائي أو ذكرياتي.

طلب مني الدخول إلى غرفة الفحص، فقام بالفحص الروتيني العام حسب إمكانيات العيادة لطبيب عائلة، من ذلك فحوصات ضغط الدم ونبض القلب ودرجة الحرارة والحلق والمعدة والأمعاء، وأجرى تخطيطاً مبدئياً للقلب. ثم جلس على كرسي مكتبه الممتلئ بصور أولاده وأحفاده وسألني عن آخر مرة قمت بها بإجراء تحاليل شاملة. وعندما أخبرته أن ذلك كان منذ أكثر من ثلاث سنوات، تناول ورقة مرسومة باسمه وتخصصاته من دفتره وبدأ يكتب.

أوصى بجملة من التحاليل الطبية لقوة الدم والكوليسترول والدهون الثلاثية والسكر وهرمونات الغدة الدرقية ووظائف الكلى والكبد والأملاح وفيتامين B12 وأكد على ضرورة عمل التحاليل ثم

كتب ورقة تحويل للمستشفى لعمل فحص لهشاشة العظام. كان يكتب وهو يرى أنه يجب القيام بهذه التحاليل بشكل دوري من باب الاطمئنان، وكبرهان لي بعد ظهور النتائج بأن أموري الصحية ممتازة وأني بخير وأني أتوهم المرض.

لم يكن عنده مرضى في العيادة، لذا كان الوقت مناسباً للحديث؛ فقد تحدثنا مطولاً وفي مختلف الأمور عن العائلة، أين وصل كل منهم في دراسته أو عمله، ومن تزوج منهم، وكم لدى كل واحد من المتزوجين من الأبناء. وتحدثنا عن الأحفاد عددهم وأعمارهم وشقاوتهم ونهفاتهم، وعن شح العمل وصعوبته وارتفاع نسبة البطالة بشكل غير مسبوق، وعن العمالة العربية التي تزيد من نسبة البطالة نتيجة ترفع وعزوف شبابنا وشباتنا عن العمل في بعض المهن والوظائف رغم حاجتهم الماسة للعمل نتيجة تساؤل دخل أسرهم؛ تاركين تلك الفرص للعمالة الوافدة من الدول العربية والآسيوية، كما تحدثنا عن الغطرسة المقنعة والغيبية.

أما في البيوت فالحال أسوأ؛ حيث تترك الأمهات أطفالهن برعاية الشغالات الآسيويات متناسيات واجباتهن الأساسية في العناية بهم والتعرف على أطفالهن واحتياجاتهم والاهتمام بهم وأثر ذلك على سلوك الأطفال وحتى على لغتهم وضياعهم أحياناً بين عاطفتين إحداهما للشغالة التي ترعى أو للأم الحقيقية الحاضرة الغائبة، وتم الحديث عن خلق جيل مشتت الانتماء، وعن موضة الهجرة المتزايدة إلى كل من أستراليا وكندا لمزيد من ضياع الهوية.

وتحدثنا عن الحالة الاقتصادية التي تزداد سوءاً يوماً بعد يوم، وعن الأسهم ونزولها إلى الحضيض، وعن أصدقائنا ومعارفنا الذين خسروا مئات الآلاف من النقود في تجارة الأسهم المحلية منها أو العالمية وما زالوا يكابرون. وعن الطب وتكلفة المستشفيات والتأمين الصحي غير الكاف للمريض والمجحف بحق الطبيب. ثم دعوت الله ألا يضطرنى للأطباء! فابتسم وقال: أمين، ولكنني أرى أنه في المدى المنظور أستطيع أن أؤكد لك عدم حاجتك للأطباء.

ثم دخلت السكرتيرة تخبر الطبيب بأمر ما فطلب منها إحضار قهوة لنا. اعتذرت بشدة عن استرسالي في الحديث ثم قلت: لقد أخذنا الحديث واسترجاع الذكريات، وها أنا ما زلت أثقل عليك بزياراتي، عذراً لأنني عطلتك عن عملي يا دكتور وأثقلت عليك.

عابني بلطف على قولتي بأنني أثقل عليه ثم قال: أنسيت عزيزتي؛ فأنا قبل أن أكون طبيب العائلة صديقاً قديماً لك وللرحوم، ولن أنسى أيام الزمن الجميل حين اعتنيتم بي في أثناء تخصصي العالي وها أنا أطمح أن أسدد ولو جزءاً مما قدّمتموه لي، كما وأطمح أن تعتبريني صديقاً تلجئين إليه دوماً

ودون تردده؛ فكم أود أن أبقى في حياتكم وأن يكون لعائلتنا مكان شاغر في حياتكم ودون تطفل منا أو إلحاح. وأضاف: أنا أسف، فلم أكن أعرف عنواناً لك بعد عودتي من الخارج، ربما لم أحاول كثيراً؛ فكلّ منا قد انشغل بمسؤوليات جديدة باعدتنا للأسف.

ضحكت في سري، وكدت أقول له أنت تعلم أني أعلم أنك كاذب! صحيح أنك غبت فترة قصيرة في الخارج، وعندما عدت كنتُ أنا فعلاً قد غيرت مكان سكني لكنني التقيت بزوجتك عدة مرات وفي أكثر من مناسبة، وكان يظهر عليها الضيق من لقائي؛ بل وأكثر من ذلك: الخشية من وجودي في حياتكم، لربما عقلها الصغير المريض قد صور لها أني قد أخطفك منها لقوة ما كان بيننا من مودة. كم أتمنى لو تعرف زوجتك أن لا زوجها ولا من يفوقه عظمة وإجلالاً يمكن أن يجذبني إليه. ليتها تعرف أنه رغم السنين والموت الذي فرق بيننا ما زلت أعشق زوجي وما زال حياً في وجداني وإلى أن يجمعنا الموت من جديد في الحياة الآخرة إن شاء الله. أليست القصيدة المعلقة بلوحة في صالون بيتي تخبر الجميع بما كان وسيبقى بيننا؟! تقول القصيدة: معي أنت، معي في القلب، في العينين، في الصوت، معي من رعشة الميلاد، حتى رعشة الموت!!

انتبه لسرحاني الطويل فقاطعه قائلاً: ماذا قلت عزيزتي؟ أجبته فعلاً منذ زمن طويل؛ بل أكثر من اثني عشرة سنة لم نجلس لتسامر معاً، لم لا نعود نلتقي؟ لمعت الفكرة في رأسي، دعوته وبإصرار مع زوجته إلى العشاء وقلت له: إني سأدعو أيضاً بعض أصدقائنا القدامى، وسأتصل بالجميع لتحديد موعد. رحّب بالفكرة كثيراً وقال: لنجعل لقاءنا تتكرر بشكل دوري، شكراً لمبادرتك، لكن (مش تنسي) عليك بزيارتنا في المنزل؛ فزوجتي تحبك جداً وتتوق للقياء. ضحكت مرة أخرى في سري. ثم قال: يا عزيزتي، أما بالنسبة لصحتك فلا يسعني إلا أن أقول إنها ممتازة؛ فأنا لم أجد أية علة تستدعي القلق أو الشكوى منها. يا ستي شباب... شباب ورددها مراراً: والله العظيم شباب. ما شاء الله... صحتك أحسن من صحة طبيبك، قلت: إذن بماذا تفسر النسيان يا دكتور؟ قال: أمر عادي، كلنا ننسى وهذه حالة عامة بسبب ضغوط الحياة وانشغال الفكر والمشاكل العامة، ثم نطق بالجوهره، ويا ليته لم ينطق بها إذ قال: ولا تنسي التقدم في العمر؛ فنحن قد تجاوزنا الستين.... أنسيت؟! ثم أردف، انسي، انسي الأمراض سيديتي.

فتساءلت بصوت مرتفع: أنسي؟! كيف أنسي، وأنا أنسى كل شيء إلا الوصول إلى الستين، وهو اجسي وخوفي من الأمراض، ولا أدري كيف مضى العمر بنا؟! وكيف أصبحنا بغفلة عنا وبرغم إرادتنا في الستين يا دكتور؟!

الكاتبة في سطور

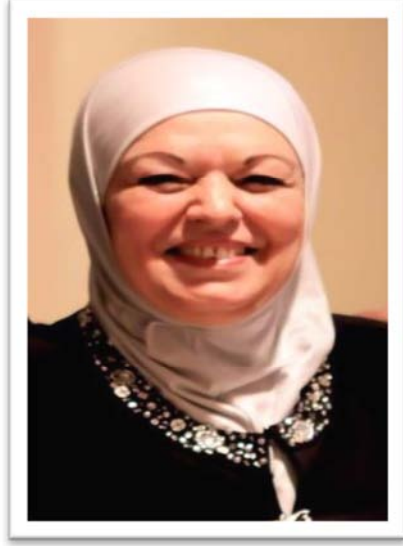
- شفق مصطفى ارشيد. مواليد مدينة نابلس، فلسطين. حاصلة على بكالوريوس في الكيمياء من جامعة الأزهر، القاهرة.
- عملت في التدريس خمسة وعشرين عاماً في كل من نابلس وعمان والكويت.
- وبعد التقاعد عملت في شركة لتحديث المناهج عبر تحويلها إلى مادة e-learning.
- متقاعدة الآن، أرملة منذ 37 سنة، لدي ثلاث بنات، الكبرى طبيبة أسنان والوسطى مهندسة معمارية والصغرى مهندسة مدنية، وستة من الأحفاد.
- أحب القراءة، وأقرأ بمعدل ثلاثة كتب شهرياً، محبة للفنون والرسم، وأحترف تشكيل الخزف، ولدي موقع خاص على الانستغرام:

<https://www.instagram.com/p/BwzAxAsBLHM/?igshid=1i1yx6zejamu>

الفصل التاسع

تحديات في حياتي

بقلم: لطيفة أحمد القوقا



متقاعدة

تتغير نظرة الإنسان لمعايير الحياة بناء على الظروف التي يمر بها وعلى مراحل العمرية المختلفة؛ فلكل مرحلة طابعها الخاص ونكهتها المتلوّنة المميزة، حتى إن تطلعاته للأمر تتغير بفعل النضج والتجارب والظروف المحيطة به.

ترددت كثيراً قبل البدء في الكتابة؛ فمنذ فترة طويلة لم أكتب شيئاً يذكر بسبب انشغالي بالحياة والأسرة والأبناء. ولكن هناك بعض التحديات التي عايشتها قد تكون دافعاً لغيري من النساء تحثهن على المضي قدماً لتحقيق أحلامهن بالعمل الحثيث الدؤوب؛ فالتقدم بالعمر ومشاكل الحياة لا يجب أن يسببا لهن اليأس أو التخلي عن تحقيق أحلامهن وطموحاتهن؛ فالمسؤوليات قد تجعلنا نؤجل أحلامنا قليلاً لأن نتخلى عنها.

عندما أنهيت الثانوية العامة كان التسجيل في الجامعة الأردنية هو التحدي الأول؛ لأن هذا كان يعني الاختلاط بين الجنسين، وكان هذا الأمر مستهجنًا في ذلك الوقت، ولكن والدي رحمه الله كان

مشجعاً كبيراً للعلم والتعليم، وقد ساعدني على اختيار تخصصي حيث كنت مترددة بين دراسة الأدب الإنجليزي وبين دراسة علم النفس، فأوضح لي فائدة اللغة الإنجليزية في حياتي العلمية والعملية وبإمكانية العمل من المنزل في حال كانت ظروف لا تسمح بالعمل خارج المنزل.

بدأت الدراسة الجامعية في بداية السبعينات، وكانت قد تمت خطبتي لابن عمتي واستمرت لسنة كاملة، كان والدي رحمه الله يوصلني من وإلى الجامعة عندما تسمح ظروف عمله بذلك، وعندما لا يتمكن من ذلك كنت اضطر إلى ركوب باص صويلح أو السلط مروراً بالجامعة الأردنية الذي كان صعباً في البداية ولكنني تأقلمت مع الوقت وتعودت على التنقل والدراسة في الجامعة.

كانت الحياة وقتها بسيطة جداً، وكان مصروفي الأسبوعي خمسة وعشرين قرشاً لا غير، وأحياناً كنت لا أصرفها إلا عندما أدفع أجرة الباص ولم يكن يلزمني أي شيء آخر؛ لأنني كنت أتناول وجبة الإفطار في البيت، وعندما أعود من الجامعة تجتمع العائلة كلها لتناول وجبة الغداء.

كان كل منا يتحدث وقت الغداء عن يومه وكيف قضاه وعن عمله ودراسته. كانت الحياة بسيطة وآمنة تجتمع فيها كل مقومات السعادة والسلام، ولم تكن المائدة عامرة بأصناف الطعام مما لذ وطاب كأيامنا هذه ولكنها كانت وجبة مشبعة شهية ومغذية؛ بهاراتها الحب والفرح والبهجة والسرور.

كانت القناعة عنوان حياتنا، حيث تعلمنا قيمة أبسط الأشياء، وكان يُعرس فينا منذ الصغر احترام الوالدين والأكبر سنًا وتقديرهم؛ فالحمد لله كثيراً، والشكر الموصول لوالدي رحمه الله ولوالدي أطال الله في عمرها على حسن تربيتهما لنا؛ حيث تمكنا أنا وإخوتي من تربية أجيال من أبنائنا تعرف معنى القيم الأخلاقية والاجتماعية وقيمة العائلة والترابط الأسري؛ فهم سندنا في كبرنا كما كنا نحن سندهم حتى أوصلناهم إلى بر الأمان في رعاية الله أينما ذهبوا وحلوا.

إن تربية الأبناء هو أكبر تحدٍّ يواجه الأسرة قبل المجتمع؛ فإذا صلحت الأم صلحت العائلة وبالتالي صلح المجتمع أو كما قال الشاعر حافظ إبراهيم:

الأم مدرسة إذا أعددتها

أعددت شعباً طيب الأعراق

أتفق مع الشاعر في قوله؛ فبصلاح الأم وحسن تربيتها وحكمتها تستطيع إدارة بيتها ورعاية أبنائها والاهتمام بصلاحهم نفسياً واجتماعياً.

وفي ذلك الوقت، كانت الأفضلية للفتيات للزواج وليس للتعليم؛ فبعد إتمام سنتي الأولى الجامعية حان موعد الزفاف وتوقفت عن الدراسة الجامعية من أجل السفر إلى السعودية مع زوجي وبناء أسرتنا الجديدة.

تزوجت ولم أتجاوز الثامنة عشرة من عمري، وتغربت فلا أم أو أخت أو أصدقاء صديقة ترشدني أو أستشير برأيها. وكان زوجي والحمد لله مثلاً للزوج المحب المتفهم.

أنا والغربة

كنت فرحة بزواجي وحياتي الجديدة، ولكنني عشت الغربة بلوعتها، حيث لم تكن وسائل التواصل والاتصالات سهلة ومتوفرة كما هي التكنولوجيا الحديثة الآن؛ فلم يكن الاتصال مع الأهل متوفراً كما هو الآن؛ فقد تمضي الأسابيع والأشهر بدون أن نعرف أخبار الأهل أو نتواصل معهم. وبسبب عدم قدرتي على الحركة لوحدي بدأت أشعر بالملل والضجر، فطلبت من زوجي أن أجد عملاً لأملاً فراغياً وأخفف معاناتي بالوحدة. فعملت مدرسة للصف الثاني الابتدائي وكنت في بداية حملي بطفلي الأول، وكانت المدرسات يعاملنني كأني ابنتهن حيث كنت أصغرهن سنًا، وبدأنا بتجهيز ما يلزم للضيف المنتظر.

أنجبت طفلي الأول والحمد لله، وفي نهاية العام الدراسي قدمت استقالتني لأتفرغ لحياتي الجديدة، فرحت بأمومتي، وبدأت مسؤوليات الأولاد تأخذني من نفسي شيئاً فشيئاً، وغدت الحياة تطحننا بدولابها السريع أحياناً ويبطئها أحياناً أخرى حتى أصبح لدينا ثلاثة أبناء من الذكور وابنة واحدة. وما بين دراسة وتدریس، وفي خضم مشاكل الأبناء ومشاكلهم اليومية، كبر الأبناء وبدأت مرحلة تعليمهم الجامعي ومراحل أخرى من حياتهم، نكبر وتعلم معاً يوماً بعد يوم، وهكذا استمرت الحياة.

حلم يتحقق

في أحد الأيام زارنا أقارب زوجي، وكان برفقتهم ابنتهم التي تدرس بجامعة في السعودية، وانسجمنا بالحديث عن الدراسة فعبرتُ لها عن رغبتني بإتمام دراستي الجامعية، فقالت لي: ولم لا؟! رافقيني غداً لزيارة الجامعة لنرى كيف ستكون الأمور.

وفعلاً ذهبنا في اليوم التالي وكنت أشعر بقلبي يقفز من شدة الفرح والانفعال، وبسبب تلك المشاعر الجميلة لتواجدي في حرم الجامعة، ذهبنا إلى قسم التسجيل وقدمت معلوماتي الشخصية. ثم تم تحويلي إلى قسم اللغة الإنجليزية لأكمل التخصص الذي كنت قد بدأت به قبل زواجي، وكان معظم الكادر التدريسي متواجداً وبدأنا نتجاذب معاً أطراف الحديث باللغة الإنجليزية.

كنا نتحدث ونضحك وشعرت كأنني كنت في زيارة لصديقاتي؛ فلم يكن هناك حاجز من الرهبة أو الخوف كما كنت أعتقد؛ فقد شعرت براحة كبيرة. عدنا إلى قسم التسجيل، حيث تم إعطائي أوراقاً وطلبوا مني توقيعها، وبعدها أجريت الفحص الطبي والتوقيع على تعهدٍ بالالتزام بتعليمات الجامعة وقوانينها. كانت الأمور تجري بسرعة غريبة، وقد زاد استغرابي وأنا أوقع كل هذه الأوراق، وقلت في نفسي: كيف أتمم هذه الإجراءات ولم يتم قبولي بعد؟!

وجاء الجواب صادمًا ومفرحًا: قد تم قبولك، ونجحت في المقابلة عندما ذهبت إلى القسم وتحدثت مع أعضاء هيئة التدريس!! لم أكن أعلم أنها كانت مقابلة؛ فقد كنت على طبيعتي بطريقة عفوية وسعيدة جداً خلال اللقاء معه.

عدت إلى البيت وأنا أرقص فرحاً ومئات الأفكار تتشابك في رأسي؛ إذ كان عليّ أولاً: الالتزام بالدراسة اليومية في الجامعة وهناك مسؤولياتي تجاه بيتي وزوجي وأطفالي. وثانياً: برغم حيرتي وعدم معرفتي بما ستؤول إليه الأمور وكيف سأوفق بين دراستي وبيتي، إلا أنني كنت فرحة جداً وشعرت بأنني مثل طفلة صغيرة سعيدة بدخولها للصف الأول الابتدائي؛ فهي حلمي المؤجل بدأ يتحقق من جديد.

الحيرة والقلق

رغم سعادتي وفرحي بدراستي الجامعية، إلا أن شعوراً بالحيرة والخوف بدأ يسيطر عليّ، فأخبرت زوجي عن حيرتي وقلقي وهل سأتمكن من التوفيق بين الدراسة وبين أسرتي؟ وماذا عليّ أن أعمل؟ فقال لي: استفت قلبك. ما كانت إجابته لتريحني أو تخفف من قلقي؛ بل زادني قلقاً على قلبي؛ فهي هو القرار يعود إليّ، وأنا من سيتحمل نتيجة هذا القرار.

لم أستطع النوم تلك الليلة من شدة التفكير، وقد غفوت للحظات حيث جاء القرار الحاسم على شكل راحة وسعادة وعزم، وطلبت من الله عز وجل العون على تمكيني من أداء واجباتي العائلية والدراسية معاً.

وبدأ المشوار

كنت أذهب يومياً إلى الجامعة، كما كنت أعتد في دراستي على فهمي في أثناء المحاضرات، وكنت أستفسر كثيراً حتى أتمكن من فهم ما يصعب عليّ فهمه؛ فلم أكن أعتد على فترات الدراسة الطويلة، ولم

أكن أتمتع بهذه الرفاهية؛ بل كنت أتعتمد على تدوين رؤوس أقلام وملاحظات في أثناء المحاضرات، وعندما أعود إلى البيت وأنتهي من تدريس أبنائي والقيام بواجباتي المنزلية وتحضير وجبة الطعام لليوم التالي، أجلس ليلاً وأقرأ ملاحظاتي، وبناءً عليها أكتب ملخصاتي، ومنها كنت أدرس للامتحانات.

بفضل الله كنت متفوقة في دراستي، وتم تكريمي عدة مرات، وأعتقد بأن السبب في ذلك هو شعفي الكبير للدراسة، واستقراري العاطفي رغم مسؤولياتي الكبيرة؛ فلم يكن هناك مجال لتضييع الوقت لأي سبب من الأسباب. وهكذا كل أمور حياتي كانت محسوبة ومرتبة لا مجال لضياح الوقت فيها.

لم يكن لدي وقت للصدقات ولا النشاطات الجامعية والاجتماعية في تلك الفترة، كان كل همي باستمرار أن تنتهي محاضراتي وأعود إلى بيتي لأداء مهام العائلية ورعاية أطفالي.

وما بين جذب وشد وتعب وإرهاق دارت الأيام، وفي السنة الثالثة، كانت هناك مادة النقد الأدبي التي أتعنتني كثيراً؛ فلم تكن المدرسة في السابق قادرة على إيصال المادة لنا بطريقة واضحة ومفهومة، ورغم أنني كنت أدرسها باستمرار لأفهمها ولكن دون جدوى. ومن شدة التعب والإرهاق مللت الدراسة وألقيت بالكتب جانباً وكانت تبدو عليّ مشاعر الإحباط والتعب.

وعندما رأني زوجي على هذه الحال جاء مشجعاً وداعماً. وبعد حديث طويل قال لي: لا مجال للترجع الآن "وصلت اللقمة للتم (الفم)، أنتِ قدها وقدود". وفعلاً بذلت جهداً إضافياً، وحصلت في الامتحانات على علامة امتياز.

السنة النهائية

صادفت امتحانات السنة الرابعة والنهائية في شهر رمضان المبارك، وكان ذلك في أوج حرّ شهر حزيران في مدينة الرياض، حيث كانت درجات الحرارة تصل إلى خمسين درجة مئوية، ولم يكن أحد يخرج من بيته خلال النهار من شدة الحر، ومع هذا كان عليّ الذهاب صباحاً لتقديم الامتحانات يومياً. ومن شدة الضغط النفسي والجسدي انفقتم مع زوجي على إرسال أولادنا إلى عمان عند والدتي خلال فترة الامتحانات بعد أخذ موافقتها. فرحت والدتي بهم كثيراً وكان الأولاد أكثر فرحاً وسعادة لقضاء بعض الوقت عند جدتهم ولتتمتع بأجواء عمان.

كان هذا القرار متنفساً لي؛ فأنا بحاجة لكل ساعة للدراسة، ووجود الأولاد كان يعينني عن هذا؛ فلم يكن لدي وقت لتحضير وجبة الإفطار، فكانت قريبتني - رحمها الله وجعل مثواها الجنة - ترسل لنا طعام الإفطار يومياً، ولن أنسى فضلها ما حييت؛ فقد ساعدتني خلال دراستي في تحضير الطعام.

وأخيراً، تكلمت تعب وسهر السنوات الأربع بالنجاح مع مرتبة الشرف. وكان هذا أجمل هدية لي وأحلى فرحة لي بعد تعب السنوات الدراسية ورعاية الأبناء.

كلام الناس

يوماً، نقابل في حياتنا من الناس من يشون فينا الطاقة الإيجابية ويكونون مصدر دعم لنا، وفي المقابل نقابل من يبت سموه ويغلطنا بطاقته السلبية.

أحياناً كانت تستوقفني بعض تعليقات المعارف، فأتساءل: لماذا لا ينشغل الناس بأمورهم بدل الانشغال بالآخرين؟! البعض عندما علموا أني أكملت دراستي الجامعية قالوا: "ليش، ماهي تجوزت وخلفت، شو بدها بالشهادة، بدها تعلقها في المطبخ أعيب عليّ إذا أفلحت!!؟" كان من الممكن تجاهل هذه التعليقات السلبية ولكني - والحمد لله - فلحت ونجحت نجاحاً مشرفاً. لا يجب أن يموت طموح المرأة وأهدافها في المطبخ وبين دفاتر الأبناء وكتبهم؛ فإن لنفسها عليها حقاً. وأنا قد أكملت تعليمي من أجل نفسي وليس من أجل الآخرين.

ولا أخفيكم أنني أحسست بالفرق بعد أن أتممت دراستي وحققت حلمي المؤجل، وكيف أني استفدت على المستوى الشخصي والعائلي والوظيفي، وكيف استفاد أبنائي في أثناء تدريسي لهم حيث لم أحتج إلى مدرسين خصوصيين؛ فقد قمت بهذه المهمة بنفسني. وكيف أثر هذا على دعمي وتشجيعي لأبنائي لإكمال تعليمهم، ليس فقط من خلال الكلام والتوجيه، وإنما أيضاً من خلال كوني مثلاً وقوة لهم.

عودتي إلى الأردن

عند عودتي أنا والأبناء إلى عمان، سجلت في الجامعة الأردنية في برنامج الماجستير تخصص أدب إنجليزي، وتم قبولي وبدأت بالدراسة، ولم تكن وسائل التكنولوجيا الحديثة متوفرة في هذا الوقت. فكان عليّ الذهاب إلى المكتبة عدة مرات في الأسبوع للبحث عن المراجع والكتب اللازمة لدراستي، وكانت دراستي مسائية، وكنت أعود إلى البيت متأخرة، فأجد أطفالاً بحالة يرثى لها، حيث كان زوجي لا يزال يعمل في السعودية. إضافة إلى انتقالهم من مدارس السعودية إلى مدارس عمان، واختلاف المناهج التعليمية بين البلدين مما أثر على مستواهم الدراسي فكانوا بأمس الحاجة لدعمي والوقوف معهم لمساندتهم.

وكان عليّ الاختيار بين دراستي وبين مستقبل أبنائي؛ فلم أفكر كثيراً ولم تدع لي أمومي مجالاً للتردد في اتخاذ القرار، ففضلت الاهتمام بأطفالي والاعتذار عن عدم إمكانية دراسة الماجستير؛ فأطفالي أغلى ما نملك، وبالإصرار والمثابرة والتشجيع وتنظيم الوقت تمكنت من إكمال المشوار مع ابنائي.

ويحضرني قول الإمام الشافعي رحمه الله:

بقدر الكدّ تكتسب المعالي

ومن طلب العلا سهر الليالي

ومن رام العلى من غير كدٍ

أضاع العمر في طلب المحال

وكذلك قول الشاعر أحمد شوقي:

وما نيل المطالب بالتمني

ولكن تؤخذ الدنيا غلاباً

وما استعصى على قوم منالٍ

إذا الإقدام كان لهم ركاباً

أخيراً

مرت الأيام، كبرنا وكبر الأبناء، وخلال رحلة الحياة حققنا بعض طموحاتنا، وألغينا بعضاً منها من أجل الأبناء، فكبر الأبناء وأهوا تعليمهم وتزوجوا جميعاً، وأصبح لدينا أربعة عشر حفيداً وحفيدة، والحمد لله الذي وهبنا إياهم بغير حول منا ولا قوة، سبحان الواهب المعطي فما أجمله من عطاء؛ فالشكر والحمد والمنة لله الكريم.

عندما رزقنا أطفالنا كانت الحياة تتقاذفنا بين مدّ وجزر؛ فلم تكن لدينا الفرصة الكافية للتمتع بالحياة مع أطفالنا؛ لأن مسؤولية رعايتهم كانت تقع علينا كلياً. كان همنا أنا وزوجي تلبية متطلبات الحياة المادية والتربوية والنفسية.

كنا نلهث لتأمين مستلزماتهم، ولكن! يا لجمال هذه الفترة التي نعيشها الآن؛ فقد تقاعدنا وكبرنا وكبر أبنائنا وأحفادنا معنا، وأصبح أكبر متعتنا هي اللعب مع الأحفاد والاهتمام بهم ومراعاتهم في غياب

والديهم بسبب العمل؛ فحبنا لهم ينبع من حبنا لأبنائنا وهذا ينعكس إيجاباً عليهم وعلينا. يا لسعادتنا عند سماع ضحكاتهم كالعصافير التي تغرد فوق الأغصان، لفرحهم وفرح، وبنجاحهم ونفخر ونعتز، ولدلالهم نضعف وطلباتهم أوامر، وكما يقول المثل: "ما أعز من الولد إلا ولد الولد"، حماهم الله وحفظهم وفرحنا بنجاحهم وبلوغهم أعلى المراتب إن شاء الله. والحمد لله أننا بفضل الله استطعنا أن نقوم بواجب رعايتهم.

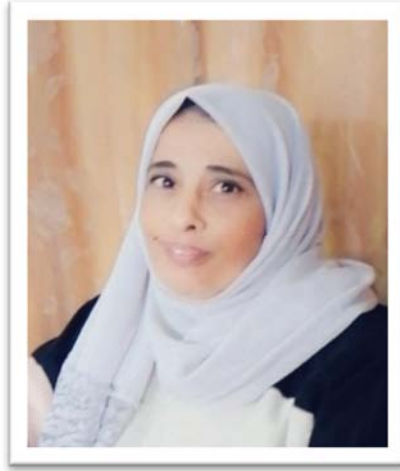
الكاتبة في سطور

- لطيفة أحمد القوقا. مواليد مدينة عمان، متزوجة ولدي ثلاثة أبناء وابتان وأربعة عشر من الاحفاد
- حصلت على بكالوريوس لغة انجليزية عام 1986 من جامعة الملك سعود.
- عملت: مدرسة بمدارس الوكالة بعمان الأردن، ومدارس السعودية.
- وكمديرة مكتب المسجل العام في الجامعة الأردنية.
- ورئيسة ديوان بشركة القوقا التجارية، الأردن.
- ومديرة الأنشطة الرياضية والترفيهية بالهيئة الملكية بالجيبيل وينبع في السعودية.
- مقيمة حالياً في ولاية فلوريدا بمدينة أورلاندو في أمريكا.

الفصل العاشر

رضيت بقدري

بقلم: مريم علي سيفان



ربة بيت

ولتبدأ حكايتي... لم يخطر ببالي يوماً ما أن حياتي ستتغير إلى الأبد، ولم يخطر ببالي ذل أنني سأعيش على الكرسي المتحرك بقية حياتي نتيجة إصابتي بالسرطان في العمود الفقري، ولم يخطر ببالي أنني سأصبح أسيرة العجز، وأنني لن أجد الخدمات المناسبة المقدمة لذوي الاحتياجات الخاصة التي تساعدني على العيش بكرامة وسلام وسهولة بعد أن أصبحت منهم، ولم يخطر ببالي أشياء كثيرة حصلت معي، تعاملت مع بعضها وما زلت أصارع للتعامل مع الأخرى.

قد تشابه حكايتي مع البعض، وسيشعر معي، وفي كل كلمة كتبته كل من تغيرت حياتها كلياً مثلي، أشياء كثيرة حُرمت منها في الحياة تألمت كثيراً، بكيت، تعبت، صرخت، أصابني الاكتئاب والخوف والقلق، ولكن في النهاية هذا قدرتي ورضيت به والحمد لله.

كان منفذي الوحيد للحياة خارج نطاق الكرسي المتحرك وللتواصل مع العالم الخارجي هو الفيسبوك والإنترنت. تعرفت على الأخصائية النفسية إكرام العش عبر الإنترنت، وبعد تعرفي على كتاباتها ومع تكرار التواصل والحديث شجعتني على الكتابة والمشاركة في هذا الكتاب، مع ترك حرية

الاختيار والموافقة أو الرفض لي. في بداية الأمر رفضت لأنني لا أملك تجربة الكتابة لكنها أعطتني فرصة للتفكير ودفعة للأمام لأكتب كنوع من العلاج الذي يساعدي على التعبير عن ألمي. وفي النهاية وافقت وذلك رغبة مني في تفريغ ما شعرت به وما عشته وما زلت أعيشه، وأيضاً للإفادة من تجارب الآخرين الذين لجأوا للكتابة وللتعبير عما مروا به من تجارب.

كُتبت ما عشته وما زلت أعيشه، وكلي أمل أن يتحسن وضعي الجسدي والنفسي، وفي إيجاد الحلول لوضعي الحالي لأعود للحياة بشكل أفضل وبقدرة أكبر للاعتماد على نفسي، وأعيش حياتي بكرامة وسلام دون الاعتماد على الآخرين كما أعيش الآن، رغم أن مَنْ حولي من الأهل يعملون جاهدين لمساعدتي وإسعادي، جزاهم الله عني خيراً، ولكن هناك آلام داخلية تبقى مهما حاولت أن أتخلص منها؛ فنحن بشر ونضعف وقد لا نتحمل المرض والألم والابتلاء بنفس الدرجة. وآمل بأن تكون قصتي أملاً ونجاة لغيري ممن أصيبوا بالإحباط والقلق والكتئاب، فأنا أكتب لأعالج نفسي وأساعدها لأرى الحياة بصورة أخرى أكثر إيجابية وتفاؤلاً وأملاً.

من أنا؟

لا أحد يعلم منا ما يخبئ لنا القدر، وما تخبئ لنا الأيام، ولا كيف تمضي مسيرة حياتنا. أشياء غيبية لا يعلمها إلا الله، ولكن ظروف الإنسان التي يعيشها هي التي تصقل شخصيته، وتتحكم بهوياته ورغباته، وكذلك بتحقيق أحلامه وطموحاته.

اسمي مريم، ومضى من عمري 47 عاماً، في صغري كنت أعتقد أن الحياة بسيطة وسهلة وجميلة وأن كل شخص قادر على تحقيق ما يصبو إليه ويحلم به، حتى ولو كانت أحلاماً غير واقعية؛ لأن أفكارني عن الحياة كانت مليئة بالأمل والتفاؤل والفرح والألوان الجميلة التي كنت أمني النفس بها في طفولتي رغم أنها كانت طفولة مليئة بالخلافات الأسرية، ولكن عندما كبرت صدمتني الحياة بقسوتها وتغيرت نظرتي للحياة كلياً وأصبحت لا أرى فيها إلا السواد لأن حلمي كان بسيطاً وواضحاً وهو زواج مستقر وتكوين أسرة سعيدة. ولم أفكر يوماً بالعمل. أحببت أن أكمل دراستي دون التفكير بأن أعمل لاحقاً، وأحببت أن أكون ربة منزل، وأمّاً تربّي أبناءها وتدرسهم وتسهر على راحتهم.

نجحت في الثانوية العامة/ تخصص تجاري، ودخلت كلية بنات إربد/ تخصص محاسبة، وقبل العطلة التي تسبق امتحان الشامل تقدم ابن عمي لخطبتي، وكان يريدني منذ الصغر، وقد طلبت من والدي تأجيل الخطبة لما بعد انتهاء الامتحانات لكنه رفض، وبالفعل تمت الخطبة، ووقتها لا أعلم ماذا

حدث لي على المستوى الدراسي، وبالرغم من أنني مجتهدة في الدراسة إلا أنني تراجعتم ولم تعد لدي الرغبة في تقديم الامتحانات، ولكن أخي أفنعي بالذهاب إلى قاعة الامتحان لمعرفة نوعية الأسئلة على أساس الإعادة في السنة القادمة. كنت متزوجة عندما ظهرت النتائج وقد رسبت، لكن زوجي وعمي أفنعي بالإعادة ولكني رفضت أيضاً، وذلك لأنني قررت مع نفسي أن أكرس وقتي لأبنائي القادمين وعائلي وتحقيق حلمي ببناء أسرة سعيدة وناجحة معهم.

بعد مرور ثلاث سنوات على زواجي، صار حنا الطيب بأنه لا يمكن حدوث الحمل بشكل طبيعي إلا عن طريق التلقيح الصناعي ومن خلال الزراعة (أطفال الأنابيب). وبالفعل قمت بإجراء ثلاث عمليات - كما سيأتي لاحقاً - وكانت باهظة التكاليف وكانت متعبة نفسياً وجسدياً لي ولزوجي، ومن هنا بدأت رحلة العذاب بالنسبة لي. كانت المحاولة الأولى لإجراء أول عملية طفل أنابيب بعد ست سنوات من الزواج ولكنها فشلت. كان حزني خلالها بسيطاً ولفترة قصيرة؛ لأنها كانت المحاولة الأولى وعادة ما تكون نسبة نجاحها قليلة كما قيل لي.

وهنا، قد يقول كثيرون ممن سيقروا كلماتي، إن الأمر عادي؛ فهناك الكثير من الأزواج تجد أن أمورهم عادية ومستقرة بدون وجود أطفال، وأن عدم وجود أطفال عند هؤلاء الأزواج لا يعني نهاية الحياة؛ فكثير منهم يعيشون حياتهم بحب وسلام.

ولكن الأمر بالنسبة لي لم يكن كذلك، فواحدة مثلي عاشت طفولة مشتتة غير مستقرة ولم تشعر يوماً بمعنى الاستقرار العائلي بسبب كثرة الخلافات، أحببت ورغبت بشدة أن يرزقها الله الأبناء لتعوض الشيء الذي افتقدته في طفولتها معهم، وتكوين عائلة مستقرة هادئة. وكثيراً ما كنت أحسد البنات الأخريات على وجودهم بين والديهم وعائلاتهم؛ لأنني لم أكن أعلم إن كانوا يعانون نفس معاناتي أو لا؟ ربما كانوا يعانون من المشاكل الأسرية ككل الأسر ولكنني كنت طفلة ولم أكن أعلم.

وبعد مدة، قمت بعملية زراعة ثانية، ومررت بنفس المعاناة السابقة خلال العلاج، ولكن بعد فشل عملية الزراعة الثانية كانت الأضرار النفسية علي أكثر من الأولى، فالتزمت البيت ولم أخرج منه، ولم أر أحداً أو أتعامل مع أي إنسان. ومع تزايد مشاعر الحزن والألم أصبت ببداية اكتئاب نفسي.

وعلى الرغم من أن زوجي كان يحبني جداً، إلا أنني كنت وحيدة بكل معنى الكلمة للوحدة؛ لأنه كان من النوع الكتوم ولا يستطيع التعبير عن مشاعره بصراحة، كنت أعلم أن هذه طبيعته، ولكن حسب اعتقادي بأن جمود إحساسه تجاهي خلال هذه الفترة التي كنت أحتاج لدعمه فيها ربما كان بسبب شعوره بعدم قدرته على إسعادي؛ لأن عدم الإنجاب لم يكن بسببي. لقد كنا نعيش تحت سقف واحد

ولكن كل منا كان يعيش في عزلة عن الآخر ويعاني لوحده؛ فلم يكن هناك أي تواصل عاطفي بيننا. وبفضل الله أنقذت نفسي من الاكتئاب وذهبت إلى طبيب نفسي مع أمي، وخلال جلسات تجاوزت الحالة باستخدام الحبوب المنومة لفترة أطول.

وبعد مرور عام ونصف أجريت عملية زراعة ثالثة، وبالرغم من الضائقة المالية التي كنا نعاني منها، إلا أن أختي "أمل" التي كانت (سلفتي / أي: أنا وأختي متزوجان لأخوين) في نفس الوقت، والتي عانت معي خلال علاجي، حاولت أن تمدني بالأمل وتحقق لي حلمي بالإنجاب فقامت بإعطائي كل ما تملك من الذهب وتوفير المبلغ اللازم لي لإجراء العملية الثالثة.

ومنذ بدء إجراءات العملية وأنا أعاني من توتر وقلق وشد كبير وتوتر في الأعصاب لازمتني شهرين متتابعين. الله وحده كان يعلم بحالة الخوف من الفشل والتفكير بتكلفة العملية وتضحية أختي لأجلي. ورغم وجود الأمل إلا أن شيئاً بداخلي أخبرني بأن النتيجة لن تكون كما أريد، وبعد انتظار، فشلت العملية الثالثة للأسف!!!

عند صدور هذه النتيجة، كنت أرتاح عند أمي؛ حيث كان بيتي يذكّرني بالوحدة والاكتئاب في ظل مرحلة صعبة ومعاناة لا توصف؛ لذلك رفضت العودة إليه. كانت رغبتني بالإنجاب تفوق كل رغبة، ورغبتني بأن يكون لي طفل وأكون أمّاً جعلتني لمدة سنتين لا أشعر بأي استقرار، كنت أتقل خلالها بين بيت أهلي وبيت زوجي وأفكر بالطلاق.

بعد ثلاث محاولات غير ناجحة للإنجاب، سيطرت عليّ فكرة الطلاق، ولم أعد أذكر الفترة التي قضيتها عند أهلي قبل الذهاب إلى المحكمة وتثبيت الطلاق، ولكنها كانت فترة من القلق والتعب والإرهاق النفسي والجسدي، ذهبت مع أبي وزوجي إلى المحكمة وكان يوم أحد، وعند الوصول شعرت بعدم توازن ودوخة، دخلنا المحكمة وتمت الإجراءات وتم طلاقي في منتصف عام 2004 وكان عمري إذ ذاك 29 عاماً. وعند عودتي إلى المنزل شعرت بأن الهم زال والثقل انتهى وأني حسمت أمري تماماً، ولكن لم أكن أعلم ما ينتظرنني من ألم بعدها.

للأسف، أصبحت حديث أهل الحارة؛ فلم يكن الطلاق وقتها شيئاً معتاداً وسهلاً، خاصة وأن زوجي ابن عمي وأختي سلفتي ونسكن بجانب بعضنا بعضاً والكل أجمع على كلمة واحدة بأنه "بطل" ابن عمك وشو ذنبه وهو عمل اللبي عليه وإذا أنت لم تتحلميه؟ مين سيتحمل!!!". بالمنطق والعقل كلامهم يبدو صحيحاً، ولكن مشكلتي أنني عاطفية ولم أتحمّل فكرة العيش بدون أطفال، وكان لدي أمل أن يرزقني الله الأبناء، فأنا لم أحالف شرع الله بقراري طلب الطلاق؛ فمن حقي أن أتزوج ثانية،

وربما لو قدر الله لي الأبناء لأنجبت. أليس الرجل يستطيع الزواج من أخرى من أجل الأبناء إذا لم تكن زوجته قادرة على الإنجاب؟! فلماذا لم يفهم أحد رغبتني بأن أكون أمًّا؟! لماذا لم يقدر أحد مشاعري بالأمومة وحاجتي لها؟! لماذا لم يفهم مشاعري أحد؟! الآن وبعد مرور كل هذه السنين، وعندما أفكر بالأمر، أتساءل: هل كان قدري ألا يكون لي أبناء؟! ربما كان ابتلائي بأحب أحلامي إليّ وهو الإنجاب.

مفاجأة جديدة

بعد طلاقى بعامين، أي في 2006 بدأت أشعر بثقل في (قدمي، مشط رجلي) اليسرى، وبدأت "فردة" الحذاء تسقط من رجلي بدون أن أشعر بذلك، وقمت بمراجعة الأطباء في أحد المستشفيات، وكذلك راجعت أطباء عامّين، لكن للأسف لم يعرف أحد منهم سبب هذا الضعف الفجائي لقدمي اليسرى.

وبالصدفة، وذات يوم، وعندما كنت أسير في الشارع في طريقي لزيارة لأختي، رأني طبيب تربطه صلة قرابة بوالدي، وسأل زوج أختي عني وطلب أن أراجعته في عيادته، وبمجرد أن مشيت أمامه قيّم حالتي مباشرة وتوقع أن يكون هناك شيء ما يضغط على النخاع الشوكي، وعلى الرغم من أنه كان أخصائياً نفسياً للأطفال، إلا أنه قام بحجز موعد لي عند أخصائي أعصاب في المستشفى لمتابعة الأمر والتأكد من التشخيص، وبعد صدور نتيجة تصوير الرنين المغناطيسي صارحني الطبيب بوجود ورم في النخاع الشوكي!! عندها صدمت وسألته فيما إذا كان بالإمكان معرفة نوعية الورم. فكان جوابه أن لا أحد يستطيع أن يحدد نوعيته إلا بعد أخذ عينته منه أو استئصاله.

تم تحديد موعد العملية، ولكن كانت المفاجأة الكبيرة عندما حدثني الطبيب عن نتائج العملية والمضاعفات والتوقعات التي يمكن حدوثها بعد العملية بسبب وجود الورم في منطقة حساسة جداً في العمود الفقري وهي احتمالية الإصابة بشلل رباعي كامل أو شلل نصفي مع عدم القدرة على التحكم بالبول والإخراج.

ولكم أن تتخيلوا الموقف.. ما أصعبه من موقف وما أصعبه من قرار أن توافق عليه وأنت تعرف أنك بعد أن كنت تمشي وتعيش كإنسان عادي وطبيعي أن يحصل هذا!! لم أتصوّر أنا التي أعيش حياتي براحة وحرية (بالطول والعرض كما يُقال) وبدون مقدمات، أصاب بالشلل!! والمطلوب مني الآن هو الموافقة والتوقيع على إجراء العملية التي ستغير حياتي إلى الأبد. لكن، لا بد من مواجهة الحقائق المؤلمة مهما حصل من أمر؛ فقد أخبرني الطبيب أنه حتى لو لم أوافق على إجراء العملية سأصاب

بالشلل أيضاً؛ لأن ما أصاب رجلي اليسرى هو بداية للشلل الذي يتحدث عنه، فإذا لم أوافق على العملية قد أفقد رجليّ ويديّ أيضاً. ولم يكن أمامي خيارات أخرى سوى التوقيع أنا وأهلي على إجراء العلمية، مع معرفة تامة بالنتائج المتوقعة التي قد أصاب بها.

صدّات متلاحقة

دخلت غرفة العمليات، وخرجت منها نائمة على ظهري لا أستطيع الحراك، كان جميع أفراد عائلتي بانتظاري، وأهم شيء بالنسبة لي كان وجود أمي معي والحمد لله.

كانت نتيجة العملية كما قيل لي، عدم القدرة على التحكم بالبول والإخراج، وضعف في رجلي اليمنى وشلل بسيط في رجلي اليسرى. بقيت في المستشفى مدة شهر تقريباً وخلالها كان تقدّم لي جلسة علاج طبيعي في كل يوم، وكان هذا على أساس أن الطبيب قد قام باستئصال الورم كاملاً.

وقبل خروجي من المستشفى بثلاثة أيام كانت الصدمة الثانية لي، ولم أكن رأيت الطبيب الذي قام بإجراء الجراحة منذ أسبوع كونه كان في إجازة، وإذا بالطبيب المقيم يفاجئني مع أخصائي الأنسجة ويخبرني بأن الجراح لم يقم باستئصال الورم وإنما أخذ خزعة منه لأنه كان في مكان خطير جداً وسيتم تحويلي إلى مركز متخصص بالسرطان في عمان بسبب وجود فرص أفضل لي للعلاج هناك ووجود أشعة تعمل على تقليص الورم وعدم نموه. ورغم ذلك كنت فرحة جداً لأنني سأخرج من المستشفى وأكمل العلاج الطبيعي وأنتهي من الأمر، ولكن، لم يتته الأمر، وكان أصعب يوم في حياتي عندما عرفت أنه ورم سرطاني حميد، صحيح أنه حميد، لكن اسمه يبقى: السرطان، وبمجرد سماع الاسم واسم المركز الذي سأعالج به كان يخيفني بدون قصد مني على الرغم من وجود علاج لي فيه.

أسرع إخواني إلى القيام بالإجراءات للتحويل مباشرة إلى الأشعة، وتقرر إعطائي 29 جلسة أشعة خلال شهر ونصف. كنت خلالها أقيم في فندق في عمان، وأحياناً كانت ترافقني أختي وأحياناً بنت أختي، كانت أصعب مرحلة مررت بها خلال علاجي. وكنت خلالها لا أزال قادرة على المشي باستخدام "Walker" المشاية.

كنت أذهب صباح السبت إلى المركز لأخذ جلسة أشعة وجلسة علاج طبيعي وأعود إلى الفندق، وكان أخي يشتري لنا كل أغراض الأسبوع التي نحتاجها، ويعود إلى مدينة إربد، ثم يأتي الأربعاء حيث أكون قد أنهيت العلاج الأسبوعي، وبعد ذلك يعود بنا إلى البيت في إربد.

كانت معاناة مادية ونفسية وجسدية لا يعلم بها إلا الله، لم أكن أستطيع ابتلاع الطعام بسبب وجود ألم شديد ومستمر في حلقي، وحروق في رقبتى، وقضيت فترة علاجي أتناول أغذية بسيطة وخفيفة ولينة كغذاء الأطفال مثل الجلي والكاسترد، والحمد لله على كل حال.

وجاءت الصدمة الثالثة عند انتهاء جلسات الأشعة في المركز وعودتي إلى المستشفى الذي أجرى لي العملية لأخذ صورة رنين مغناطيسي أخرى لمعرفة نتيجة العلاج خلال الشهرين الماضيين وفيما إذا تقلص الورم أم لا. وبعد انتظار ثلاثة أشهر، كانت النتيجة صدمة لي حيث إن الورم ما زال كما هو؛ بل وزاد عليه التصاقات وتقرحات بسبب سوء في اختيار العلاج بداية. تم تحويلي إلى طبيب جديد ولم يرحمني من انتقاداته وصراخه وأنه كان يجب عليّ اختيار العلاج عنده منذ البداية وقبل أخذ جلسات الأشعة!!! وكأنني كنت أعلم ما تخبئه لي الأيام أو كأنني أعرف حالتي المرضية. ورجعت إلى العلاج في المركز من جديد، وطبعاً يطلب مرة أخرى التوقيع على العملية ومضاعفاتها مع احتمال كبير لفتح الجرح بعد العملية لاحقاً حيث ستكون هذه هي المرة الثانية التي سأخضع فيها لعملية في نفس المكان؛ نظراً لأن نسبة الخطورة قد زادت.

العملية الثانية لإزالة الورم

وقعت على إجراء العملية الثانية بخوف وقلق واستسلام لله تعالى. كان الطبيب يتحدث عن العملية والمخاطر والنتائج المحتملة وأنا في عالم آخر لا أدري ما يحدث حولي وكأن الأمر لا يعنيني، مع أن الطبيب قال إنه أجرى نفس العملية لشاب قبل أسبوع وكانت مدتها اثنتي عشرة ساعة وكانت ناجحة؛ ومع هذا كنت في حالة صدمة غير مصدقة لما يحصل معي.

عدت إلى البيت على أن أعود بعد أسبوع لاستكمال الفحوصات والاستعداد لإجراء العملية، كان أسبوعاً من القلق والأرق والتفكير المتواصل بأسوأ الاحتمالات، وقبل موعد العملية بيوم كان عليّ الذهاب والقيام بإجراءات الدخول لكنني كنت بحالة نفسية سيئة وكنت أرفض الذهاب حتى أقنعني أخي وذهبت، ودّعت أمي وأهلي وأنا أبكي وأحترق.

يوم العملية كان عندي هبوط في الضغط، وكنت منذ الليلة السابقة وأنا موصول بالمغذي، وكنت أتمنى أن تُلغى العملية أو أن تُوجّل بسبب هبوط الضغط، ولكن أتت الممرضة وجّهتني للعملية وتم نقلي لغرفة العمليات، وقبل التخدير طلبتُ من الجراح ألا يتسبب بضرر لرجلي اليمنى قدر المستطاع وأنه يكفي ما حصل من ضرر في رجلي اليسرى. فقال لي الطبيب: لا يوجد أي مانع لديّ في الغاء

العملية! ذلك أن الطبيب لا يضمن النتائج وليست بيده. وافقت على إجراء العملية وأنا أعرف أن لا خيار أمامي، وأنه لا بدّ من حصول مضاعفات لا تحمد عقباه، وخلال التخدير تركّز كل تفكيري على ما يمكن أن يحصل لرجلي!

استمرت العملية خمس ساعات، أيقظني من البنج صوت الطبيب الجراح وهو يتسم ويشر بنجاح العملية وقد قام باستئصال الورم كاملاً، فسألته مباشرة: ورجلاي؟! فقال لي: احنا حكينا من أول إيش المتوقع من العملية! إذن هو الشلل الكامل؟! فأصابني انهيار عصبي وبدأت أصرخ برعب وجنون: رجلاي، رجلاي...!! سارعوا إلى إعطائي مخدراً لأنام. استيقظت ليلاً في غرفة الإنعاش على صوت الأجهزة وكان عندي ممرضان، سمعت أحدهما يقول للآخر: صحيت.. وفي غرفة الإنعاش ما زلت أذكر إعطائي إبرة أخرى في المغذي وحنة دواء بنية اللون بيضوية الشكل، وبعدها نمت مرة أخرى.

بقيت أسبوعين في المركز أرفض الطعام. فقط أتناول الحليب والفواكه بالرغم من مجهود الطبيب وأخصائي التغذية والعلاج الطبيعي. بعد ذلك أصرت على الخروج إلى المنزل، مع تحملي كامل المسؤولية في حال حدوث أي انتكاس لي؛ ذلك أن الجرح لم يلتئم بعد.

وبالفعل خرجت. وبعد يومين خرج سائل من مكان العملية؛ فاستدعينا طبيباً عامماً إلى المنزل واستخرج السائل المتجمع بالإبرة. ومن ثم تواصل هذا الطبيب مع طبيبي الجراح الذي بدوره طلب منه إقناعي بضرورة أن أعود إلى المركز فوراً؛ فقد كان هذا السائل من النخاع الشوكي. عدت، وتمت إعادة خياطة الجرح على أن أبقى جالسة في زاوية تسعين درجة ودون حركة، وكان هذا ثاني أيام عيد الأضحى.

بقيت على هذه الحالة ثلاثة أسابيع وأنا جالسة؛ لأنه لو ساء الوضع فقد يؤدي ذلك إلى شلل دماغي أو شلل رباعي. وبعد ذلك عدت إلى المنزل وبدأت أخضع لجلسات علاج طبيعي، وطبعاً كان خروج البول والإخراج لا إراديّان لمدة شهرين ونصف تقريباً.

بعد إجراء العملية الثانية، بدأت أنظر للحياة نظرة جديدة مختلفة؛ نظرة أمل وتفاؤل، وأن الله أعطاني فرصة جديدة للحياة وللنقرب منه، وكذلك لأقدر قيمة الأشخاص الذين كانوا معي خلال هذه الأزمة من أهل وأصدقاء وما بذلوه من أجلي.

وبعد سنة كاملة من العلاج الطبيعي في المنزل رجعت للمشي باستخدام الـ "Walker" المشاية. وبعد مرور سبع سنوات على مرضي عدت أتألم ورجلي اليمنى التي كنت

أعتمد عليها بدأت بالضعف إلى أن أصبحت لا أستطيع المشي، ولدى مراجعة الطبيب وإجراء الصور اللازمة، قال لي: الحمد لله، لا يوجد أي أورام، وأن ما تشعرين به هو من الأعراض الجانبية للعملية والوضع النفسي الذي كنت تمرّين به.

وقال لي الطبيب أيضاً: إن الطب عاجز عن تفسير سبب الانتكاس بعد مرور فترة من العملية بالرغم من عدم عودة الورم، ولكن من الواجب عدم ترك العلاج الطبيعي؛ لأنه يخفف من حدوث شدّ العصب والألم وحدوث التكلس بين المفاصل، وخلال هذه الفترات كنت آخذ جلسات علاج طبيعي لكنها متقطعة بسبب الوضع النفسي والمادي، مما قد يؤدي إلى تراجع الوضع الصحي.

المعيقات والتحديات

وعلى الرغم من رغبتني بالخروج والعودة لحياتي الطبيعية، كان هناك عدد من المعيقات والتحديات التي تمنعني من أن أعيش حياتي بصورة أعتد عليها على نفسي. ومنها ما كان يتعلق بي، ومنها ما كان يتعلق بالبيئة المحيطة بي والتي تمنعني من الحركة والتنقل على الكرسي المتحرك بسهولة.

من المشكلات والتحديات التي كانت تواجهني: ما أصابني من فتور واستسلام وعدم إصرار ووهن إرادة؛ فما إن أقرر القيام بعمل ما يشغلني ويملاً الفراغ لديّ إلا وأصاب بالملل سريعاً، فأحبط ولا أستمر بتحقيق أهدافي التي وضعتها لنفسي ومن ذلك: حفظ القرآن الكريم، وشغل الصوف، والالتحاق بدورة في القرآن الكريم؛ وهذه الإحباطات انعكست على نفسي سلباً.

إن الفراغ الذي أعيش فيه، وعدم إمكانية تحقيق أي هدف في حياتي هو ما يؤلمني حالياً؛ فالفراغ موت بطيء، وحياتي أضحت عبارة عن أكل وشرب ونوم، وروتين وعدّ للأيام لتمرّ دون جدوى أو إنتاج. كذلك الشعور بالوحدة؛ خاصة بعد وفاة أمي منذ سنتين وبقائي وحيدة؛ فهي منذ طلاقي زاد تعلقي بها ولم تكن تفارقني لحظة واحدة. أفقدها الآن؛ خصوصاً عندما أشعر بضيق نفسي بسبب عدم قدرتي على خدمة نفسي وقضاء احتياجاتي بدون الاعتماد على الآخرين. وهذه الأفكار السلبية تأخذ من وقتي الكثير وتجعلني أعيش في دوامة من الحزن وفقدان الأمل في الحياة.

وهناك التحديات والصعوبات التي يعاني منها ذوو الاحتياجات الخاصة مثل عدم توفر الطرق والبيئات المؤهلة والصديقة المناسبة لحركتنا وتنقلنا، سواء في بيوتنا أم في الشوارع والطرق، وكذلك

عدم توافر المصاعد في أغلب المولات والأسواق التجارية والدوائر الحكومية لنتنقل بكراسينا المتحركة خلالها، وأيضاً عدم توفر حافلات تنقلنا مع كراسينا المتحركة إلى الأماكن التي نحتاج الذهاب إليها، مما يجعلنا بحاجة دائمة لوجود مرافق لنا.. للأسف هذا ما يعطل حركتنا ويمنعنا من الخروج من بيوتنا ويؤثر سلبياً على نفسياتنا.

وكذلك الوضع المادي الذي يمنعني من الحصول على العلاج الطبيعي المستمر، أو تغيير النظام في البيئات والبيوت التي نعيش بها.

إنني أنظر بعين الإعجاب والتقدير لكل إنسان لديه إعاقة وقام بتحديدها وحقق نجاحاً باهراً، مثل ذلك الطفل الذي كان معي في نفس الغرفة في المستشفى وكان في الصف السادس عندما تعرض لحادث دهس أدى إلى إصابته بشلل نصفي؛ ومع ذلك أكمل دراسته، وحالياً يكمل رسالة الدكتوراه. وأيضاً هذا شاب مهندس؛ مشلول دماغياً، أكمل دراسته الجامعية وألّف أكثر من كتاب؛ علماً بأنه لا يستطيع تحريك يديه ورجليه؛ بل كان يكتب باستخدام أنفه!! لمثل هؤلاء كل الاحترام والتقدير والفخر، وأتمنى أن يهبني الله القدرة على التحدي مثلهم.

حياتي رُبي

رُبي هي بنت أختي أمل وبكرها، عاشت مع أمها سنة وعند حملها بالطفلة الثانية بقيت معي رُبي. أنا أمها وكل شيء بالنسبة لها، ولأن زوجي هو عمها، لم يعترض والدها على بقائها معي؛ حيث كنا نسكن في شقتين متلاصقتين.

كنت حريصة جداً على تحصيلها الدراسي، وأهم شيء بالنسبة لي أن تكون متفوقة ومن الأوائل بين زميلاتها حتى تكون ذات شخصية قوية ومستقلة، لقد حاولت أن أعوض فيها النقص الذي لدي، وأن تختار التخصص الذي تحبه. وقد بدأت بتدريسها قبل التمهيدي، وفي مرحلة الروضة كنت أكرر عليها الدرس صباحاً قبل الذهاب إلى المدرسة.

كانت طفلة "ناضجة مثل ما منحكي" (عقلها وتفكيرها أكبر من عمرها)؛ لذلك كنت أستشيرها في معظم الأمور وأخذ برأيها لدرجة أنه بعد العملية الثالثة وما وصلت إليه حالتي النفسية وقفت معي في قرار الانفصال، وقالت لي: "اعلمي اللي بريحك ماما لأنك تعبانة كثير ولا تهكلي همي أنا بقدر أرجع عند أهلي، وأنا ساكنة جنب البيت بظل آجي عندك". والحمد لله عملت على رعايتها والاهتمام بدراستها إلى أن أكملت الجامعة وأصبحت مهندسة مدنية برغبتها واختيارها، فكانت لي الابنة التي لم يرزقني الله إياها.

صراعات وندم داخلي

لا أنكر أن وضعي النفسي كان سيئاً خلال مرضي وخلال العلاج، كنت أضعف مما يجب أن أكون؛ فاستسلمت كثيراً للخوفي وضعفي وعجزتي. فكرت كثيراً بحياتي الماضية والحالية، وخلال هذه الفترة كنت أجد من الخروج باستخدام الكرسي المتحرك بسبب نظرات الشفقة من الناس؛ فهم لا يعرفون ما تعرضت له حتى استطعت أن أستجمع قوتي لمواجهة الواقع الجديد والخروج أمامهم باستخدام الكرسي ومحاولة حضور المناسبات الاجتماعية قدر المستطاع.

وأحياناً، يصيبني الشعور بالذنب وتأنيب الضمير الذي يقتلني أحياناً؛ لأنني أشعر أنني السبب فيما حدث لي، وأنه نتيجة لاستسلامي ويأسي بعد الطلاق؛ فقد كنت أقضي وقتي في البيت وغالباً في الفراش دون أكل؛ كنت محبطة ويائسة جداً ولم أكن أفكر بطريقة صحيحة، كانت أمي وأخواتي يحاولن رفع معنوياتي معي ولكن دون جدوى.

ربما كنت أنانية لا أفكر إلا بنفسي، لا أفكر بأمي ومدى العذاب الذي سببته لها ولأخوتي، وللأسف لا نعرف قيمة الشيء إلا بعد فقدانه وبعد فوات الأوان.

بل صرت أفكر بأن الألم الجسدي والعذاب النفسي اللذين عشتهما تحولاً إلى ورم في النخاع الشوكي وفي أصعب منطقة في العصب الرئيسي. أعرف أنني قد أكون مخطئة في تفكيري وبعض مشاعري التي توحى إليّ بأن الله عاقبني بالمرض، ولكنني موقنة تمام اليقين بأن الله رحيم لطيف بنا ولا يعاقبنا بالمرض والابتلاء أو يعذبنا، إنما يريد أن يرحمنا ويجعلنا نلجأ إليه ونتقرب منه بالدعاء والاستغفار.

وفي النهاية

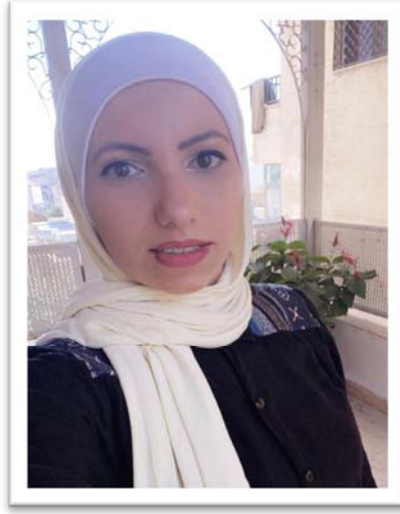
من تجربتي التي عانيت منها لسنوات ونتيجة لما مررت به، أسأل نفسي كثيراً: هل أخطأت في اتخاذ بعض القرارات في حياتي؟ ربما، لا أدري! ولكن قراراتي أوصلتني لما كتبه الله لي.. أعرف أن الله لا يريد عذابنا فيما نُبتلى به، ولكننا نحن بشر ونضعف ونخطئ ونصيب في قراراتنا. الله سبحانه لم يكتب لي الإنجاب، ولكن لم أكن أعرف أن هذا هو قدرتي، ولو كنت أعرفه لتغيرت بعض قراراتي... ولكن، نصيحتي لكل إنسان: إذا أراد أن يتخذ قراراً مصيرياً ما، أن يجتهد لأن يكون قراره مبنياً على قناعة تامة لأنه هو من سيتحمل المسؤولية والنتائج المترتبة عنه، وألا يتأثر بأقوال الآخرين لأنها ستضعفه وتمزقه من الداخل، وعليه ألا يستسلم وينهزم وأن يتحدى الظروف مهما كانت صعبة.

لقد توصلت بعد معاناتي،، بأن كل يوم جديد يكتب للإنسان من عمره هو بداية جديدة للحياة، ومع كل إشراقة شمسٍ حلمٌ أو أملٌ جديد يولد، لذلك قررت بعد كتابة قصتي هذه أن أبحث عن الأمل والقوة وأن أجد نفسي من جديد، وأجد الدافع والأمل للاستمرار في الحياة.

الكاتبة في سطور

- مريم علي سعيفان، مواليد مدينته إربد، الأردن.
- حصلت على الثانوية التجارية عام 1991 من مدرسة بنات إربد التجارية.
- حصلت على دبلوم محاسبة من كلية بنات إربد عام 1993، الأردن.
- عملت بمركز تحفيظ للقرآن الكريم. ومارس هواياتي بالقراءة والتطريز.

الفصل الحادي عشر من بين الحطام نهضت بقلم: منية عبد الرزاق عوض



امرأة عاملة

أعرف أن قصتي تشبه الكثير من قصص مَنْ فقدوا والديهم وانقلبت حياتهم كلياً، وأعرف أنني عندما فقدت والدي لم أكن طفلة صغيرة تحتاج إلى من يرعاها، وأعرف أن شعوري باليتم يختلف تماماً عن شعور الأطفال عند فقد والديهم، وأن التحديات والعقبات التي مررت وما زلت أمر بها تشابه مع كثيرين مثلي من الفتيات والنساء. ولكن المختلف في قصتي أنني أريد أن أتحدث عنها لعلها تفيد آخرين مروا بظروفي، كما أنني لا أريد أن أفف موقفاً سلبياً ضعيفاً أمام ظروفي التي غيرت حياتي، وأن عليّ أن أكمل حياتي وحيدة رغم نظرات الأهل والمجتمع لكل من تضطرها الظروف أن تعيش وحيدة مثلي، ولتبدأ حكايتي...

قد نستيقظ أحياناً على خبر سيء أو فاجعة ما، ربما نتقبل الخبر وتستمر الحياة أو نقف في حالة ذهول مما حصل ومن هول الموقف وعظم "المصيبة"، نعم أسميتها مصيبة ولكنها قضاء الله وقدره. أذكر أن أول خبر صدمني وجعلني أتوقف لدقائق وأنا في حالة صدمة وذهول في الحرم الجامعي عندما وردني خبر وفاة والدي - رحمه الله -، الذي توفاه الله بعد صراع مع مرض السرطان، عن طريق

رسالة أرسلها أفراد العائلة معتقدين أنني على علم بذلك، وأنني مع باقي أفراد أسرتي في المستشفى مع والدي، ولم يكونوا يعرفون بأنني في الجامعة أجهز أوراقى لأعود وأفرح والدي بخبر نجاحي. لم أكن أتخيل أن أفقده يوماً ما، ولم أكن أتصور كيف بإمكانى أن أكمل حياتي بدون أب؟! كنت أشعر بأنني مميزة عند والدي ربما لأنى أصغر الأبناء الثلاثة سنًا؛ فقد كنت مدللة ولا أذكر عدد المرات التي رفض بها والدي لي طلبًا؛ فقد كان دائماً ينعني بي بـ "كرموشي". كان حنانة ليس كأبي حنان، وكتفه ليس كأبي كتف نتكى عليه.

ففي عام 2014 بدأت حياة جديدة، حياة بلا أب، كنت أشعر أنني انتهيت؛ حيث لم أكن أعرف كيف ستبدو الحياة دون أب ودون سند ودون كتف نتكى عليه وقت الشدة، ولكن أمي لم تقصّر بحقي بأي شكل من الأشكال؛ فقد كانت هي الأم والأب معاً، كانت أمي هي الحياة بالنسبة لي فقد عوضتني عن الفراغ الذي تركه أبي في حياتي.

ما هي إلا أشهر قليلة وإذ نكتشف بأن أمي أيضاً مصابة بالسرطان، كان هذا الخبر أشبه بصعقة كبيرة أصابتنى، لكنها لم تستسلم أبداً وواجهت المرض بكل ما أوتيت من قوة. لقد عشنا أنا وأمي لوحدها بعد زواج أختي وزواج أخي الذي كان يعيش في مدينة بعيدة عنا؛ فقد تركت عملي لأنفرغ لرعايتها، كنت أرافقها دائماً إلى زيارات الطبيب وجلسات العلاج الكيماوي، وفي أثناء إجراء الصور الطبقية والتحليل والفحوصات والإقامة لها لأيام أو لأسابيع بالمشفى كنتُ رفيقة دربها في جميع الأوقات.

مضى على وفاة والدي ما يقارب الثلاثة أعوام، لكنني لم أشعر بهذه المدة؛ فمرض أمي أوقف الوقت بالنسبة لي؛ فلم أكن أجد الوقت للحزن على فراق والدي ولم يكن لدي وقت لمقابلة صديقاتي أو أقرابي، كنت أقوم بعزل نفسي مع أمي خلال فترة العلاج خوفاً عليها بسبب نقص المناعة.

وفاة أمي

فاجأتني "المصيبة" الكبرى بوفاة أمي، نعم توفيت أمي بعد وفاة والدي بما يقارب الثلاثة أعوام، عندها فقط شعرت بأن حياتي حقاً انتهت. لم أتقبل الصدمة أبداً، هل حقاً أمي لم تعد موجودة معي؟! لقد اعتدت على وجودها، اعتدت على البقاء والعيش معها والقرب منها في كل وقت وفي كل زمان ومكان. بعد وفاة أمي كان هناك أسئلة تدور في ذهني طوال الوقت: ما العمل، ومن أين أبداً؟! كيف سأعيش بدونها؟ من سيكون معي؟ من سيهتم بي؟ فأنا لم أعتد على اتخاذ أي قرار في حياتي دون الرجوع إلى أمي، ولم أعتد القيام بأي شيء دونها أصلاً! حيث لم تتوقف أمي يوماً عن دلالي والاعتناء بي حتى في أشد حالات مرضها. كيف سأكون دون أم وأب، وأمي التي كانت بمثابة الاثنتين معاً بالنسبة لي؟!!

كانت أمي تعوضني عن غياب أبي، لكن لم تكن تعلم من سيعوضني عن غيابها؟. لم تكن أمي تعاملني كأبي فتاة ناضجة تجاوزت الخامسة والعشرين من عمرها، كانت دائماً تعاملني كطفلة مدللة تُبكيها أصغر الأشياء وتفرحها علبه الحلوى، لم تكن تعلم أنها ستتركني أواجه حياة بأكملها بدون أن تعدني لها! لم تخبرني يوماً كيف عليّ أن أكون! كيف أقوى بدونها وأقف أمام عشرات الحياة دون الاختباء خلف أمي؟! هذه اللحظة الأولى في حياتي التي لا تمسك أمي فيها بيدي؛ اللحظة التي تتركني فيها وحيدة وتذهب إلى بارئها. عندها فقط علمت معنى اليُتم. لم يكن اليُتم يعني فقدان والدي بل كان أكبر بكثير من أي شيء يوصف!

مضى الشهر الأول على وفاة أمي وأنا ما زلت أقف مكاني، ألتزم غرفتي وأعتزل العالم من حولي؛ العالم الذي لم أواجه يوماً لوحدي.. لقد كنت في حالة صدمة وذهول لدرجة أنني أنتظر رجوع أمي من المشفى ولكنها لم تعد! عندها، أيقنت أنني يجب أن أتحرك وأن أقوم بعمل أي شيء لأخرج من حزني؛ فالوقت يمضي وأنا ما زلت في مكاني، فقررت أنني لن أبقى مكتوفة الأيدي لمدة أطول.

نقطة تحول

نظرت حولي فلم أعرف من أين أبدأ ولا كيف أبدأ حياتي من جديد؟! فكرت ملياً وقررت أن أعمل ما أراه مناسباً لي وما يريحني ويجعلني أترك الطاقة السلبية التي سيطرت عليّ طوال الفترة الماضية. فبدأت رحلة البحث عن عمل؛ فأنا لم أكن أملك شيئاً من المال، صفر اليدين؛ فقد تركت وظيفتي لأتفرغ للاهتمام بأمي. لم أكن أضع أي شروط للالتحاق بالوظيفة. كان همي الوحيد هو كسب المال لأعيل نفسي ولأكمل الطريق، وأخرج من الانعزال والوحدة التي عانيت منهما بأسرع وقت ممكن.

وجدت عملاً بدوام جزئي ثلاث ساعات يومياً، وقمت بتوقيع العقد وبدأت العمل بعد أسبوع من المقابلة. وبعد إتمام الشهر الأول لي في العمل واستلام أول راتب شعرت بفرحة غريبة وكأنها المرة الأولى التي أعمل بها؛ علماً أنني في ميدان العمل منذ أن أتممت الثامنة عشرة من عمري، ولكن هذه هي المرة الأولى التي أشعر بها بقيمة الإنجاز في حياتي بعد أن اعتدت سابقاً أن يقوم والدي بعمل كل شيء لي. في هذا الوقت كنت أقيم في منزل أحد أقربائي، وبعد تبييتي بالعمل قررت أن أبحث عن شقة صغيرة لاستئجارها كوني لم أستطع المكوث في منزل العائلة بعد وفاة أمي ولا يمكنني التكفل بمصاريف منزل كبير كمزمل العائلة.

كنت أبحث وبشكل مكثف إلى أن وجدت شقة صغيرة قريبة من مكان عملي. أخبرت العائلة بقراري بأني سأعيش لوحدي حتى لا أكون عبئاً على أحد. وبدأت النقاشات والمناوشات بسبب

قراري، وأنه لا يمكن السماح لي بذلك تحت مسمى "الناس شو بدوها تحكي علينا؟!"; فقد كان كلام الناس هو ما يهيم في هذا الأمر. لم أكرث لأقوال العائلة؛ فأنا لم أعد صغيرة بعد الآن وقد أتممت السادسة والعشرين من عمري، وزادت العائلة في إلقاء اللوم عليّ بسبب قرار الوحدة وكان الذنب ذنبي. بدأت الانتقال إلى شقتي الصغيرة وشرعت في ترتيبها بالشكل الذي أحب واختيار ألوان المفضلة، بمساعدة أختي الكبيرة، واستغرق الأمر بضعة أسابيع لأستقر. لا أخفيكم أنني كنت خائفة من هذه الخطوة والنقلة النوعية التي اخترتها؛ فوجودي بمفردي في شقة كان يخيفني بعض الشيء بعدما اعتدت طوال حياتي أن أكون مع والدي وإخوتي. على كل حال، بدأت أعتاد على البقاء وحدي شيئاً فشيئاً، ولم تخل بعض الليالي من الأحلام المزعجة والتخيلات المخيفة، ولكن، بحمد الله وفضله، تغلبت على كل هذه المخاوف، ومما كان يخفف عني وحدتي بقاء أختي الكبيرة بجانبني في بعض الأوقات، ثم تغادر في الليل إلى منزلها الذي كان يبعد بضع دقائق عني. كنت أعذر أختي في الأوقات التي تشغل بها عني؛ فهي أيضاً كانت تعاني مثلي تماماً وكانت مشغولة بإكمال دراساتها العليا وزوجها وعائلتها، لكنها دائماً كانت تجدد وقتاً للمرور عندي والاطمئنان عليّ بشكل شبه يومي.

في البداية؛ لم تكن فكرة العيش لوحدي فكرة موفقة، ولم أكن أتخيل أن المسؤولية الكاملة شيء صعب؛ فأنا لم أستعد لذلك. كنت أعتقد أن الحياة أبسط بكثير مما عشت؛ حيث كنت - وكأي فتاة في العشرينات من عمرها - تحب الخروج والتسوق ولقاء صديقاتها، وكنت أنفق الكثير من المال في مثل هذه التزهات ولم أكن أعرف أنه يجب عليّ أن أحسب مصروفاتي بدقة وأذخر بعض المال للطوارئ في الحياة.

أولويات الإنفاق

عندما شارف الشهر الأول على الانتهاء، كنت قد أنفقت كل ما أملك من مال ولم يتبق معي سوى بضع دنائير قد لا تكفيني للذهاب إلى العمل، وحتى هذه اللحظة لم أكن أشعر بقيمة المسؤولية التي كان يحملها أبي وأمي عني؛ فلم أكن أهتم لمصاريفي السابقة، وعندما أدركت أنني لم أجد التصرف بالإنفاق هذا الشهر، فجلست في غرفتي وأحضرت ورقة وقلماً وبدأت أكتب الأولويات والضروريات التي يجب عليّ ألا أتجاوزها في الإنفاق، بمعنى أن أختصر مشترياتي التي لم تعد تشكل أولوية ملحة. حسبت مجموع المبلغ الذي من المتوقع أن أنفقه في الشهر القادم بدقة متناهية، وقارنته بالدخل الذي أكسبه من العمل، وبدأت أفسّمه على إيجار الشقة وفواتير الكهرباء والمياه والإنترنت ووقود السيارة وشراء مستلزمات المنزل الضرورية وذلك تفادياً لما حصل في الشهر الماضي.

لم تكن هذه فقط المصاريف التي وجب عليّ إنفاقها؛ بل وجب عليّ أيضاً ادّخار مبلغ كبير يعادل ثلاثة أضعاف راتبي الشهري لغايات التأمين الصحي وترخيص السيارة، وجميعها أمورٌ لم أكن أعرف عنها شيئاً من قبل؛ فقد كنت أعتقد في الماضي بأن المسؤولية والمصاريف المادية أبسط من هذا بكثير، وكانت أُمي تعطيني المال ثم أذهب للتسوق وأشتري ما لذّ وطاب بدون حساب للأسعار. ولا أذكر أنني كنت أكتب قائمة بالحاجيات التي يجب أن أشتريها؛ لأنني كنت أشتري كل ما يقع عليه بصري حتى لو لم أكن بحاجة إليه حقيقة. ولكن تغيّر كل شيء الآن وأصبحت أكتب قائمة بالحاجيات الأساسية فقط ولا شيء آخر، كما بدأت أتفقد أسعار السلع وأقارن بينها في أماكن مختلفة لأختار الأنسب حسب المبلغ الذي خصصته للتسوق. لم يكن الأمر سهلاً في البداية ولكنني بدأت أعتاد عليه شيئاً فشيئاً.

ومما كنت أعتاد عليه في الماضي حب التسوق وشراء الملابس ومساحيق التجميل وغيرها كبقية الفتيات في مثل عمري؛ فكنت أتسوق بمعدل مرة واحدة شهرياً وأحياناً أتسوق مرتين، دون الاهتمام بالمصاريف، ثم أعود إلى البيت محملة بالأكياس والملابس الجديدة. والآن وبعدما تغير الوضع وأصبحت أتحمّل المسؤولية كاملة، أصبح التسوق بالنسبة لي من الكماليات التي يمكن الاستغناء عنها ولكن ليس بشكل كامل؛ فقد أشتري بعض الملابس الجديدة قطعة أو قطعتين لا أكثر؛ لأن الإسراف سيكون على حساب مصاريف ضرورية أخرى. وأحياناً، إذا وجدت بأنني ادخرت شيئاً من المال في نهاية الشهر قد أقرر الذهاب للتسوق، ولكن هناك ما يدفني للتوقف عن التسوق والاكتفاء بالإنفاق على المنزل. لم تكن أختي تقصّر في حقي أبداً؛ فكثيراً ما كانت تدعمني؛ علماً أنني لم أعتد أن أحصل على النقود من أي أحد من قبل.

زوّجوها...

مع تزايد مشاعر القلق التي كانت قد انتابتني بقرب مغادرة أُمي هذه الحياة بسبب اشتداد مرضها، وحتى تطمئن أُمي عليّ قبل رحيلها، تذكّرت نقاشات العائلة في آخر أشهر قبل وفاتها، وهم يتسارعون لإحضار الحُطّاب لي لتزويجي بأشخاص غرباء، وفي كل مرة كنت أرفض ذلك بحجة أنني لن أترك أُمي ولن أتزوج شخصاً يجعلني أتقاسم معه الوقت بعيداً عن أُمي التي كنت بحاجة قبل أن تكون هي بحاجة لي.

لم أكن أنخيل أن تموت أُمي بهذه السرعة. كنت على أمل أن أقضي معها عدة أشهر وربما سنوات أخرى، لكن لا اعتراض على قضاء الله وقدره. أذكر أنه بعد وفاة أُمي بعشرين يوماً تقريباً، هاتفتني إحدى النساء لتعرض عليّ ما أسميتها "صفقة"، وهي أن أتزوج شخصاً يكبرني بأكثر من

خمسة عشر عاماً، مطّقٌ ولديه ولدان، ويملك سيارة وعملاً خاصاً، بدل أن أبقى وحيدة بلا عائلة، ولكنني رفضت. ولم أخطئ بأن أسميتها صفقة؛ فالبعض يعتقد أنني لن أتمكن من العيش إلا بوجود شخص ينفق عليّ أو يؤمن لي مستلزمات الحياة. فاجأني اتصالها وتوقيته؛ فأنا ما زلت (ألبس الأسود) على فراق أمي ولم تُشفَ جروحي بعد، ولا أظن أنني سأكون حقاً في حالة نفسية جيدة وسعيدة بهذا الأمر!! لا أعرف بماذا كانت تفكر عند الاتصال بي. هل هو استخفاف بمشاعري وحزني؟! أم إنها تريد أن تريح الصفقة عن طريقي؟! أم تعتقد أنها تعمل معروفًا لأجلي؟ لست أدري!

وبعد عدة أشهر، هاتفني امرأة لم أعرف حتى اسمها، وبدأت تسألني عن عمري وشهادتي الجامعية وعملي وكأنها تود أن تتقدم لي لأتزوج من أحد أبنائها. وحالما علمت أنني يتيمة قامت بإلغاء موعد الزيارة وبعثتني بهذه العبارة: " يعني إنت مقطوعة من شجرة!" ثم قامت بإغلاق سماعة الهاتف حتى بدون إلقاء السلام. لا أنسى أبداً هذا الموقف؛ فهو من أكثر المواقف بشاعة. وما زلت مصدومة من كلمتها؛ فقد كانت كسكين خرجت من فمها لتنغرس في قلبي. أهكذا يعني لك اليتيم عزيزي؟! وهل موت والديّ بيديّ أم هو قدر الله؟

الآن فقط، استطعت فهم مشاعر الكثير من الفتيات اليتيمات اللواتي تضطرن الظروف للخلاص من أوضاعهن الأسرية بالزواج عبر صفقات غير عادلة، وربما ترضى بها للخلاص من نظرة الأهل والمجتمع لها. فمنذ متى يُلقى اللوم على اليتيم؟! أهو من اختار هذه الحياة؟!

لم تكن هي وحدها من اختارت أسوأ الألفاظ وأقسى الكلمات؛ ففي كل مرة أتعرض فيها لموقف مشابه أجدني أسمع الكثير من هذه التعليقات التي لا ترحم. أتذكر أن شاباً - في إحدى المرات - تقدّم لخطبتي عن طريق أحد المعارف، ولكنه كان غريباً في تصرفاته نوعاً ما؛ إذ كان قد جهّز قائمة باليمنوعات التي يجب عليّ تجنبها، كما اشترط عليّ أن أعيش مع والدته المريضة لأرعاها بقية حياتي وكأنه يطلب الزواج من ممرضة أو حتى خادمة تحت مسمى "الظروف"، وفي كل مرة كنت أسمع فيها القيل والقال وأن ظروفه لن تسمح لأي شخص كان بالقبول بالارتباط بفتاة يتيمة مثلي وبدون وجود والدين معها.

وأنا اليوم أتمنى أن أعرف ما هي ظروف بقية الفتيات؟ وبماذا يختلفن عني؟ ولماذا عليّ أن أتنازل وأضحى بحقي بالفرح والسعادة واختيار الإنسان المناسب لي بسبب قدر لم اختره لنفسه؟! وبصراحة، وبعد كل ما تعرضت وأتعرض له، لم يعد الزواج بالنسبة لي شيئاً مهمّاً؛ فقد اعتدت أن أكون وحدي وأتحمل مسؤولية رعاية نفسي جيداً، وقد تعلمت الاستقلال برأيي إلى حدّ ما. ولكن عندما أسمع من حولي وهم يجبرونني على الزواج كصفقة، أفكر للحظة وأسأل نفسي: ماذا سيضيف

لي الزواج؟ البعض يختار الزواج للاستقرار، وأنا لست بحاجة للاستقرار؛ فأنا مستقرة بذاتي واستعدت ثقتي بنفسي بعدما أصبحت أعتد على نفسي في كل شيء. وككل الفتيات أريد الزواج ولكن ليس كصفقة، وليس بالطلب إلي أن أتنازل بسبب ظروف، فإن لم يكن الزواج سيضيف لحياتي شيئاً إيجابياً وجديداً، ربما لن أفكر فيه.

نظرة المجتمع

في بداية حياتي لوحدي واجهت بعض المشاكل والتعليقات التي لا داع لها؛ لأننا نعيش في مجتمع لا يتقبل الغالبية فيه فكرة عيش فتاة لوحدها للأسف ولو فرضت عليها ظروفها ذلك، فالبعض يعتقد أنني انفصلت عن عائلتي لسبب ما وغالبا ما تكون افتراضاتهم سيئة، وعندما يعلمون أنني يتيمة يبدأون بإلقاء اللوم عليّ وإسداء النصيحة لي بضرورة العيش في منزل أحد أعمامي أو أخوالي، وهذه الفكرة لم تكن متقبلة بالنسبة لي؛ فأنا أسمع الكثير من القصص التي تواجهها الفتيات بعد وفاة آبائهم، كتلك التي كانت تعيش في منزل عمها وتعرضت للتعنيف والتنمر من قبل زوجة عمها بحجة أنهم لا يتحملون وجودها بينهم، وتلك التي تتعرض للتحرش في بعض الأحيان من قبل أولاد عمها، أو أن يتم إجبارها على العمل في تنظيف البيوت أو التسوّل في الشوارع، أو إجبارها على خدمة أفراد العائلة التي تعيش بينهم وبدون أدنى حق لها بالاعتراض بحجة أنها مكسورة القلب والخاطر ولا يحق لها المطالبة بالحياة الكريمة كباقي أفراد الأسرة. لم تكن هذه الفكرة موجودة عند أحد ممن حولي، ولكنني أفضل العيش وحيدة على أن أتعرض لشيء من هذا، ولكننا نعيش في مجتمع لا يتقبل ويتفهم الظروف التي قد تجبر الفتاة على العيش وحدها. والمشكلة أنه حينما يعرفون أنني أعيش وحيدة تتسلل الأفكار السيئة إلى مخيلتهم، وتبدأ علامات التعجب بالظهور فوق رؤوسهم، لذلك أحتفظ بكثير من المعلومات عن حياتي لنفسني.

لا أعرف من أتى بهذه الأفكار؟ هل حقاً وصلنا إلى زمن يعيب الفتاة بهذا الشكل؟! أنا أعرف والجميع يعرف بأن والديّ لم يقصّرا في تربيّتنا تربية حسنة، وكانت أمي رحمها الله تسنّ لنا القوانين في المنزل وخارج المنزل وقد اعتدت على هذه القوانين؛ فلم تكن تسمح لي أمي بالبقاء خارج المنزل لوقت متأخر، ولم تكن تسمح لي بالتواجد مع أي أحد من أبناء أقرابنا لوحدها، إضافة إلى الكثير من القوانين والعادات التي اعتدت عليها وألزمت بها نفسي.

نعم، لقد توفيت أمي منذ سنوات لكنني ما زلت أتبع هذه القوانين؛ فمن اعتاد على شيء يصعب عليه تغييره بتغيير الظروف. أمي ليست معي لتوبخني في حال تأخرت أو قمت بأي خطأ ولكنني

أستشعر وجودها معي وكأنها تراني، وأنها لن تكون سعيدة إذا كسرت هذه القوانين، ولن أكون أنا سعيدة إذا أسأت استخدام ثققتها وتربيتها لي، وفوق كل هذا: الله رقيب علينا.

أتمنى أن يتعلم أفراد المجتمع أن لا يحكموا على أي إنسان بناء على ما سمعوه عنه، أو بناء على الأحكام النمطية التقليدية عن أوضاع مماثلة وبدون دليل؛ بل حبذا أن يحكموا بناء على تجاربهم ومن خلال مشاهداتهم

الجيران

اضطرت للتنقل للعيش في عدة أماكن، وفي كل مرة أصادف جيراناً جديداً. لم أكن أخبر أحداً بأنني أعيش لوحدي؛ فليس الجميع يملك حسن النوايا، ولكن بحمد الله وفضله ورضى والدي، كنت دائماً أصادف أحسن الجيران وألطفهم، فكان منهم الكبار في السنّ ومنهم من هم في سنّي، ولم أكن أخالطهم كلهم، وأعتبر أن منزلي هو مملكتي الخاصة التي لا أريد الخروج منها ولا أريد أن يدخله من لا أرتاح للتعامل معه؛ فقد كنت أفضي أكثر من نصف يومي في العمل وعندما أعود إلى المنزل كنت أفضل الجلوس والاسترخاء لعدة ساعات، وفي المساء كنت أحتسي القهوة مع الجيران.

أذكر إحدى الجارات التي كانت تعاملني كأني واحدة من بناتها وتسال عني كثيراً، وتقوم كل يوم تقريباً بإرسال طعام الغداء أو الحلويات لي. كانت كريمة ولطيفة بشكل لا يوصف، وكنت أشعر بالخجل من كرمها الزائد.

ولكن هذا لا يمنع أبداً أنني كنت أتعرض لبعض المضايقات من أحد الجيران في إحدى الشقق التي مكثت فيها لمدة لم تتجاوز الثلاثة أشهر حتى بدأت أشعر بالانزعاج منه. وأذكر مرة أنني كنت أبحث عن شقة لاستئجارها فسألني صاحب الشقة عن والدي فأخبرته أنها توفيا وأنا أعيش لوحدي، وعندها رفض رفضاً قاطعاً أن يؤجرني الشقة. وأعتقد أن هذه ضريبة تضطر لدفعها الكثيرات من مثل حالتي.

المناسبات الاجتماعية

لم تكن أُمي رحمها الله تُقصر بالقيام بواجبات أي أحد من أفراد العائلة؛ فكانت تلبني جميع احتياجاتهم وتساندهم في كل صغيرة وكبيرة، وفي السراء والضراء، وقد بقيت أسير على نهج أُمي وأساند الجميع وأواسيهم وأدعمهم، في الوقت الذي كنت فيه في أشد الحاجة للمواساة. وفي حال

كنت أنتيَّب أو أعتذر عن مناسبة ما أو قصرت بحق أحدٍ ما، كنت أسمع كثيراً عبارة واحدة تهزني وبدون مراعاة لأوضاعي النفسية "هو إنت أول وحدة أمها بتموت!"

أكيد لم أكن أول فتاة تموت أمها ولن أكون الاخيرة، ولكن كنت من الذين انقلبت وتغيرت حياتهم، ولم يكن من السهل عليّ التغلب على أحزاني ومخاوفي واستعادة ثقتي بنفسي بسهولة. كانت تزعجني بعض الكلمات، ولكن كنت أتخطاها وأمضي؛ لأنني إذا توقفت عند كل كلمة أسمعها فسيمضي ما تبقى من حياتي بالعتاب والبكاء والنقاشات التي لا نهاية لها.

مرت الكثير من المناسبات السعيدة والحزينة، وكنت أنتظر أن أرى أحداً من أفراد العائلة التي كانت والدي تساندني في حياتها، ولكن كانوا جميعاً منشغلين بشؤون حياتهم الخاصة وشؤون أبنائهم. كنت أعاتب أحياناً ولكن من كان يريد معاتبتي حباً لي؟ إلى أن قررت يوماً بأني لن أعمل معروفاً لأي أحدٍ حتى لا أتألم؛ فقد واجهت الكثير من الظروف ولم أر أحداً منهم يسأل عني، عندها أيقنت بأنه لا سند لأحد بعد والديه؛ فهما فقط من يسعدان لسعادته ويكبان لحزنه. لم أكن أريد أن أتعلم القسوة أو الجحود، ولكن الظروف فرضت نفسها عليّ، وكان كلام الآخرين أقسى من ضرب السكاكين، وكان كل ما أريده هو أن أسمع كلمة طيبة وأن أعيش بسلام مع نفسي ومع الآخرين.

منية الآن

لم يكن من السهل أبداً مواجهة الحياة لوحدي؛ فقد كنت أبكي على كل صغيرة وكبيرة، ولم أكن أتحمّل التحدث لأي شخص، ولم أكن أسمح لأحد بالتحدث عن والدي. كنت أمر بحالة نفسية صعبة؛ فقد كنت حساسة جداً ومشاعري سهلة الكسر ومشاعر الحزن والفقد كانت كبيرة. استمرت على هذه الحال لأكثر من عام.

ثم نظرت إلى الحياة من حولي واستسلمت للواقع في قرارة نفسي: فأمني لن تعود إلى الحياة مجدداً مهما حصل ولو بقيت أبكي دهوراً.

أحياناً كنت أستمع لمن يقدمون لي الدعم، وأحياناً كنت أرفض أحاديثهم لأنها لم تكن تتناسب مع مشاعري الحزينة. وأعتقد أنني كنت بحاجة لهذه الفترة الزمنية من الحزن والانفراد بنفسي لأعيد مراجعة حساباتي وفهمي للحياة وأستعيد ثقتي بنفسي.

إلى أن هانتني إحدى صديقات أمني والتي بدورها زوّدتني بكمية كبيرة من الطاقة الإيجابية وحدثني عن جمال الحياة وطلبت مني أن أكتب كل ما يدور في بالي وكل شيء يحزنني. أعجبتني هذا الطلب، وفعلاً شرعت في الكتابة، واستمر ذلك لعدة أشهر، وكانت تهاتفني كل فترة وتحفزني للقيام بكل شيء جيد وكل شيء قد يخرجني من الأجواء السوداء التي كنت أعيش فيها. وها أنا قد فعلت

وكتبت قصتي الأولى في كتابها الأول عندما تحدثت عن ألمي وأحزاني في زمن مرافقتي لأمي في مرضها وأيامها الأخيرة. هذا، وبعد ما يقارب العامين أجدني قد عدت إلى الحياة مجدداً؛ فبالإضافة إلى اني ألتقي شقيقتي الكبرى، بدأت أخرج وألتقي صديقتي وأسافر.. لقد تغيرت حياتي تماماً.. وها أنا أعيد كتابة قصتي من جديد في هذا الكتاب، ولكن بصورة جديدة، وبعد أن تحديت ظروف وخوفي. وإذا كنت التفت إلى الوراء أحياناً، فليس من أجل أن أعود إلى الحزن، ولكن لاستمد منه دفعة تحفيزية للأمام. بالطبع لم أنس والديّ ولم أنس رحيلهما أبداً؛ فهما في القلب والعقل، أعيش على خطى ما ربياني عليه. ولكن هذا قضاء الله وقدره، ولن تتوقف حياتي بسبب عدم وجودهما؛ فالحياة يجب أن تستمر وأن أمضي قدماً مهما كانت الظروف قاسية، ومهما كانت الحالة النفسية صعبة. لا بد أن أكمل ما بدأه والداي، وأن أحقق طموحهما ورغبتهما بأن أكون إنسانة ناجحة وسعيدة.

أنا الآن أعيش حياة مليئة بالإيجابية والأمل وحب الحياة والعمل، ولا أكرث لكلام الناس، وأحمد الله على منية الآن، عندما أقرن نفسي بالسنوات الماضية وما كنت أعاني فيها، وما وصلت إليه في الوقت الحالي. لم يكن التغيير مهمتي وحدي بل تم بمساعدات جنود مجهولين كانوا يساندونني في جميع الأوقات وجميع الحالات، في السراء والضراء، في الصحة والمرض، في الشدة والرخاء.

كلمة أخيرة أوجهها لنفسي ولكل فتاة دُلت في كنف والديها. إنني وإن تعبت كثيراً حتى استعدت ثقتي بنفسي وقدرتي على الحياة وتحمل المسؤولية، إلا أنني أعد نفسي إن كتب الله لي الزواج والإنجاب أن يكون أسلوب تربيته لأبنائي قائماً على الاعتماد على أنفسهم وفهم الحياة مبكراً حتى لا يضطروا للمرور بما مررت به في وقت من الأوقات،،،، وتستمر الحياة بأمل بإذن الله.

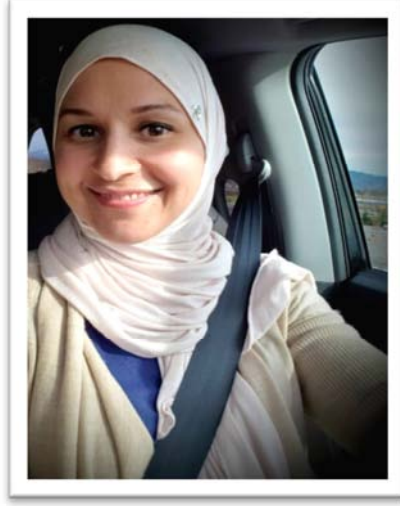
الكاتبة في سطور

- مئية عبد الرزاق عوض.
- أبلغ من العمر 28 عاماً، من مواليد مدينة عمان، الأردن.
- حصلت على بكالوريوس نظم معلومات إدارية عام 2014 من جامعة الشرق الأوسط في الأردن.
- موظفة في القطاع الخاص.
- أمارس هوايتي في الطبخ والقراءة والكتابة والسباحة.

الفصل الثاني عشر

ماما أمينة

بقلم: هبة فرج الدوسري



Self-Proclaimed Home Chef/ Baker

طفولة وسلام

لكل امرأة حكاية ترويها،، وهذه حكايتي.. تربّت أُمّي بين سبعة أشقاء وكان ترتيبها الثالثة، كانت قوية، جميلة، ضحوكة، حنونة، صارمة أحياناً، ذكية ولماحة. مُقبلة على الحياة بكل طاقتها. درست أُمّي حتى الصف السادس الابتدائي في أحد المدارس في فلسطين. وهاجرت مع أهلها للعيش في الأردن. حيث كتب الله لها الزواج من أبي في سنّ مبكرة.

كان والدي وحيد والديه، ولم يرزق جدي بولد غيره. عاش في البادية في المملكة العربية السعودية. صرف جدي كل ما يملك من أجل أن يكمل ابنه تعليمه الجامعي في الخارج ويخرج من البادية. وفعلاً، تخرج والدي في إحدى جامعات أمريكا حيث درس العلوم الإدارية. وشاءت الأقدار أن يذهب في إحدى السنوات في السبعينات إلى الأردن في إجازة، حيث تعرف على خالي. وانتهت القصة بزواجه من أُمّي والعودة إلى المملكة العربية السعودية.

ولدت بين خمسة أشقاء: ثلاثة أولاد وبتتان، وكان ترتيبي الرابعة بينهم. ولدت في أجواء مرفهة، عشت طفولة جميلة وسعيدة مليئة بالحب بين أمي وأبي وإخوتي، كنت مُدُلَّة ومحبوبة من الجميع، بالإضافة إلى تفوقي الدراسي الذي عزز مكانتي عند أسرتي. وكثيراً ما كان إخواني يقولون لي: أنت ولدت في العصر الذهبي للأسرة حيث كان البلد قد نهض وتطور بعد اكتشاف البترول وتغيرت حياة الجميع للأفضل.

كانت طبيعة علاقتي بأمي قوية ومميزة، لا أريد أن أقول إنها كانت تميزني عن إخوتي؛ فقد كانت تحبنا جميعاً، ولكن طبيعة حبي لأمي ربما كانت مميزة ومختلفة، وهذا هو شعوري الخاص. من المؤكد أن يحب الأبناء آباءهم وأمهاتهم بطرق مختلفة تبعاً لشخصياتهم. وبالنسبة لي، كانت أُمِّي كل شيء في حياتي، وهي من دفعتني للتفوق. كنت الأولى على مستوى المدرسة لعدة سنوات، وكان ترتيبي الأولى على فصلي في المرحلة الابتدائية. أحببت الدراسة جداً لحبي لأمي. وبدورها كانت أُمِّي تحب الدراسة وتمنت لو أنها أكملت تعليمها الذي حُرمت منه لأنه في وقتها كان التعليم الابتدائي هو أقصى ما تستطيع الفتيات الوصول إليه.

في كل يوم وقت العصر، كانت أُمِّي تجلس معي ترشف قهوتها مع قطعتين من البسكويت. واحدة لها وواحدة لي. تجلس بجواري لساعات طويلة حتى أنني واجباتي الدراسية بهدوء، كانت تهيئ لي الجو للتركيز، فلا وقت للتلفاز، ولا للأحاديث، ولا لسماع الراديو. حتى أخي الصغير كان لا بد أن يخرج في هذه الأثناء كل يوم مع أبي الحنون حتى أستطيع المذاكرة. وكان إخوتي الكبار وقتها يدرسون في أمريكا.

أُمِّي، ودراستي، كانا محوري حياتي في كل يوم. وقد فهمت واستشعرت معنى الحب الحقيقي في سن صغير؛ فالحب كان وما زال بالنسبة لي هو أُمِّي. كان لها برنامجها اليومي ونظامها الخاص الذي اعتدنا عليه، فكانت تذهب للكوافير صباحاً لساعتين. وكنت أشتاق لها خلالها، فأذهب لغرفتها وأستلقي على سريرها وأشم عطرها حتى تعود.

وعندما كنت أخطئ، تكون صارمة وحازمة معي فأذهب إلى أبي ليُدافع عني، وكان دلال البنت كان يجعلني أتنقل ما بين حب أُمِّي ودلال أبي لنيل المزيد من الاهتمام والرعاية والحب، ولكن سرعان ما أعود لها معتذرة. كانت أُمِّي صديقتي وحيبتي، كنت أحب الجلوس في غرفة نومها حيث أستمع لصوت هديل الحمام المجتمع عند نافذتها هي فقط دون باقي نوافذ المنزل الأخرى، صوت حالم ومسالم ومريح، كل شيء خاص بها كان جميلاً بل مذهلاً بالنسبة لي.

حلم الدراسة

تخرجت في الثانوية العامة بمعدل 92٪، ولم يكن يسمح لي هذا المعدل بالدخول في كلية الطب؛ فحلُم أُمي كان أن أصبح طبيبة. وأنا كنت أرغب بدراسة طب الأسنان، ولكنني قُبلت بكلية الصيدلة. رفضت أن أدرس الصيدلة ولكن أُمي أحببت فكرة الصيدلة، والصيدلة ليست بالمجال السهل للدراسة، خاصة ان حلمي كان معلقاً بطب الأسنان.

في ذلك العام ذهبنا في إجازة الصيف مع والدي إلى لبنان، وذهبنا إلى الجامعة الأمريكية هناك للتعرف على مجالات الدراسة فيها. أعجبتني لبنان كثيراً وهي بلد قريبة من أُمي وكانت أُمي تحبها، والدراسة فيها تتيح لي العودة لزيارة الأهل كلما رغبت. ولكن أُمي أصرّ أن أسافر إلى أمريكا لأكمل تعليمي هناك. أمريكا لم تكن بلداً جديداً علينا؛ فقد تعودنا على أمريكا بحكم زيارتنا المتعددة والمتكررة لها كل سنة لقضاء الإجازة السنوية هناك. ولكن لم أكن أريد العيش بها، فأنا أفكر بمكان أكون به قريبة من أُمي، وبما أن شقيقتي الكبرى كانت تدرس هناك فقد رأى والدي أننا يجب أن نعيش في مكان واحد، بدل أن نعيش كل منا في مكان؛ فوجدنا معاً هو القرار الصحيح الذي رآه والدي.

غيّرت مجال دراستي

سافرت للدراسة إلى أمريكا، وكنت أعيش مع شقيقتي، ولكن شوقي لأُمي لم يتوقف أو يقل؛ فتكاليف المكالمات الدولية لم تكن تعني شيئاً بالنسبة لي ولأُمي. كنا نتكلم يومياً مكالمات قصيرة وجميلة ما بين 3-4 مرات، كنت أخبر أُمي عن تفاصيل حياتي في الجامعة، وعن طعامي وشرابي وبرنامجي اليومي، وأسألها عن كيفية عمل اللقيمات، وغيرها من الوصفات التي أريد تجربتها. كنت أسألها: (ماذا تقصد بعيني ميزاني؟ يعني شوي طحين؟ يعني كوب أو كوبين؟؟!!) (عندما تعطيني الوصفة بدون مقادير محددة).

كنت قد دخلت كلية الطب وصدمت بعد أن علمت أن الدراسة بها تتجاوز العشر سنوات، ولما لم أكن قد وجدت اهتمامي بها. بدأت أفكر بتغيير مجال دراستي، ولكن كيف سأخبر أُمي بأنني سأغير مجال دراستي لأستطيع العودة إلى بلدي للبقاء يقرها.

وبعد تردد قرررت، وقمت بإجراء المكالمة الحازمة بعد عدة أشهر من التفكير ومن دخولي الجامعة في كلية الطب، فقلت لأُمي: إن الطب هنا يحتاج إحدى عشرة سنة للانتهاء منه يا أُمي، أربع سنوات منها في الجانب النظري، ومن ثم خمس سنوات أخرى في الطب ثم التطبيق العملي، والباقي

سنوات تدريب، هذا إن نجحت بكل هذه السنوات، وكانت خطتي أن أعود بشهادتي لأكمل حياتي بجوارك يا أمي.

وبعد حوار طويل بيننا قلت لها بحزم: "ماما، لن أكمل في كلية الطب وسأغير مجال دراستي!!!"
قالت أمي: ولكن هذا سبب غربتك الوحيد! لماذا سافرت وتغربت إذا؟
حاولت أن أقنعها بأنني سأختار تخصصين بدل الطب، وإن شاء الله سأتفوق وسأعود إليها رافعة رأسي بإذن الله. شعرت بكسرة خاطرها وتألمها لأنه كان بإمكانني أن أدرس ما أريد في بلدي بدل الغربة!.
ولأنني لم أستطع الاستمرار في كلية الطب. غيرت مجال دراستي إلى برمجة المعلومات والاقتصاد.
Ecommerce and information system, also Economics

مكالمة مفاجئة أم مفاجئة

في آخر أيام رمضان من عام 2007 عدت من الجامعة منهكة بعد يوم دراسي طويل. وما إن فتحت باب البيت حتى وجدت أختي في حالة ذهول وصمت، وجهها شاحب، ويدها الهاتف الجوال، ونظرها مركّز إلى الأرض. نظرت إليها، وفجأة شعرت بألم مفاجئ يعتصر قلبي وأصابني مغص شديد بدون سبب.

وبدون أن أعرف سبب ذهولها وصمتها، شعرت بشيء غريب وأن أمراً عظيماً ربما يكون قد حصل وهو سبب ذهولها. ورغم خوفي من معرفة السبب فلا بد أن أسألها، فقلت لها وأنا أمسك بطني بيدي، ماذا حصل؟! أجابتنني ولا تزال تمسك الجوال بيدها وتنظر إلى الأرض قائلة: "الابد من العودة إلى السعودية اليوم وقبل الغد! فقلت لها: لم أفهم شيئاً! ولكن شيء بداخلي أجاب: نعم. حسناً. متى؟ قالت: الليلة. فقممت أبحث عن جواز سفري وألملم بعض حاجياتي الضرورية، ولم أسألها عن السبب خوفاً من الإجابة التي كنت أعرف أنها ربما لن ترضيني، وكذلك أختي صمتت وأخفت عني الأمر خوفاً عليّ من الصدمة.

تلاطمت الأسئلة في رأسي،، هل هو أبي؟ أمي؟ إخوتي؟ ماذا يحصل عند الأهل؟! والأفكار تدور بي والمكان بدأ يخفقني. وتذكرت كلمة أمي لي: "أنتِ مرضية"، لذلك تعودت ألا أجادل كثيراً؛ بل أتأقلم مع أي وضع وفي أي مكان.

كنا نتحرك ونجهز أنفسنا بصمت عندما اكتشفنا انتهاء صلاحية جوازات سفرنا. فلا بد من تجديده. فذهبت بسرعة لأستديو التصوير وأفكاري تهاجمني. تارة أمي وتارة أبي، وأنا لا أجرؤ على

سؤال أختي، وألم معدتي كان يشتدّ ويعصرني عصراً، ولم أشعر بسرعتي وأنا أقود سيارتي حتى أوقفني شرطي المرور وسألني: لم أنت مسرعة؟! أجبت بصوت هستيري وبكاء شديد كأنني كنت أنتظر هذه اللحظة قاتلة: لا أدري، لا أدري!! ودموعي تسبقي، وأنا أقول له: لا بد من العودة إلى بلدي فأمي أو أبي في خطر وأريد أن أراهما. تركني بعد أن طلب مني التمهّل وبدون أن يحرر لي مخالفة؛ فلا بد أنه شعر بمعاناتي.

لم أستطع النوم تلك الليلة، خاصة بعد أن علمت أن أمي مصابة بمرض السرطان وهي الآن في المستشفى. لم نستطع سماع صوتها أو التحدث إليها، وكل مكالماتنا كانت مع إخوتي الذين كانوا يوضحون لنا ماذا يحصل بشأن أمي، حتى إن أبي لم يكن بحال جيدة يستطيع معها الكلام. مشاعر ألم غريبة كانت تتابني، وفي تلك الليلة أصبت بتزيف شديد، وسقطت على أرضية الحمام من شدة الألم؛ حيث لم أستطع النهوض أبداً. أخذتني أختي للطوارئ، وبعد عدة ساعات خرجت بأدوية مهدئة وقيل لي: "ليس بك شيء"، إنها مجرد بواسير!

بعدها يوم، ركبت الطائرة ولم يكن التزيف قد توقف. كانت رحلة طيران صعبة وطويلة، أحاول أن أبقى متماسكة وقوية، ولكن لم أستطع الأكل ولا الجلوس ولا حتى النوم أو المشي. جسدي كان مرهقاً جداً وضعيفاً، وبسبب عدم قدرتي على تناول الطعام من بعد تلك المكالمات "الفاجعة".

وصلنا إلى السعودية، ومن المطار إلى المستشفى لنرى أمي ونطمئن عليها. وقبل أن نراها اصطحبنا إخوتنا الذكور لنقابل الطبيب المسؤول عنها أولاً. وها هو يحكي لنا عن حالة أمي المتقدمة بالإصابة بالسرطان في المرحلة الرابعة. ونحن الذين كنا نعتقد أنها تعاني من الربو. يا لغرابة الأقدار وسوء تشخيص الأطباء، ليتضح لنا أن ربوها المزعوم كان سرطان رئة وانتشر بخبث بين ضلوعها.

كنت مذهولة وغير مصدقة لما أسمع وأرى، وبصوت مخنوق سألته: دكتور، هل هناك زراعة رئة. فأنا أود أن أتبرع بإحدى رئتي لأمي. نظر إليّ الدكتور وابتسم بحزن وقال: لا يا ابنتي. عندها نظر إليّ والدي وهو يبكي وقال: أنت مجنونة؟ حتى لو كان بالإمكان فأنت ما زلت صغيرة. حياتك أمامك.

وقتها تذكرت كلام أمي لي وهي توبخني تارة وتمدحني تارة وتقول لي: منذ طفولتك، ما يدور في عقلك يخرج منك قبل أن تسيطر عليه، خصلة جميلة وصراحة مع الذات، لكن انتبهي ممن حولك يا ابنتي فلن يفهمك الكثيرون ويفهموا هذه الخصلة فيك.

وبعد أن انتهينا مع الطبيب، دخلنا على أمي، فسالت دموعي وأنا أرى أميري بشعرها الجميل وبشرتها الشفافة الناعمة ورائحتها النقية. أمي حبيبتني تبكي لرؤيتنا وتضحك تارة مع إخوتي ثم تعود

تقبلنا وتبكي لشوقها لنا. لم أستطع المكوث أكثر؛ فكل شيء بدا ينهار من حولي، جسدي منهارة والنزيف ما زال يدمرني بصمت.

أخذني والدي إلى البيت لأرتاح. وأمام المنزل وقعت على الأرض. اعتقدت أنني منهارة نفسياً وجسدياً فقط، وأنه لا بد من النوم والراحة بعد رحلة طيران طويلة ومرهقة. اغتسلت واستلقيت أحاول النوم، وأفكر بأمي. في تلك الليلة ارتفعت حرارتي واشتد المغص. وأنا أبكي وأناشد أبي بأن يأخذني إلى الطوارئ في نفس المستشفى الذي ترقد فيه أمي.

وبعد أن صحوت من المخدر أخبرني الطبيب أخصائي الأمعاء بأنه بعد محاولته إدخال المنظار للأمعاء تفاجأ بوجود حالة متقدمة جداً من (التهاب القولون التقرحي: Ulcerative Colitis) وأن أمعائي كلها تدمى. وإذا تقدّم المرض بدون علاج فإنه يسبب سرطاناً في الأمعاء، لذلك لم يستطع أن يكمل المنظار. وقال لي: كيف لم تفحصي من قبل؟ وكيف لم أرى أعراض من قبل؟ فقلت له: إن الأعراض بدأت من وقت المكالمة "المفاجعة". قال: إن إحدى أسباب هيجان هذا المرض هو الضغط النفسي. حمدت الله عزّ وجلّ أن أمي هي سبب اكتشافي لهذا المرض بعد الله.

بقيت في المستشفى ثمانية أيام، كانت غرفة واحدة تفصل بين غرفتي وغرفة أمي، كان المستشفى خاصاً وكبيراً. ما هذه الصدفة؟! أم هو كرم من ربي الكريم. حبيتي هي سبب كل شيء جميل في حياتي، وهذا المرض جزء من حياتي الآن، والحمد لله كثيراً. أكرمني الله بأن أعطاني ذكرى جميله من أمي تعيش معي في كل يوم. لم أكره مرضاً ابتلاني به الله الحي القيوم؛ فهو من عند الله فكيف يكون قبيحاً؟! كله جميل وكله من الله عزّ وجلّ.

عندما كنت في الطائرة للعودة إلى السعودية لرؤية أمي دعوت الله بأن يحقق لي أمنيتين، أولهما: أن أطبخ لأمي وأن تأكل شيئاً من يدي. وثانيهما: أن أحممها وأمشط شعرها الجميل كما كانت تفعل معي أيام طفولتي. كنت أفكر بهاتين الأمنيتين ولا أعرف كيف ستتحققان؟! فكلانا يعاني مما به من الألم والضعف. هما أمنيتان وقد لا تتحققان.

خرجنا من المستشفى. وكنت مستلقية على كنبه في غرفة الجلوس وأمي على أخرى مقابلة لي. لا نستطيع الحراك ولا نقدر على الأكل. هي بحكم السرطان لا يبقى الطعام في معدتها. وأنا بحكم نزيف أمعائي لا أقدر على هضم أي شيء. أسمع أنينها وصفير صدرها من ضيق التنفس. وبينما أنظر بصمت إلى سقف الحجرة، فجأة نظرت إليّ أمي وقالت لي: هبة، نفسي آكل من يدك! رفعت رأسي وأنا غير مصدقة ما أسمع. وبسعادة سألتها: نفسك تأكلي يا ماما!!! تقدري تأكلي؟! قالت: سأحاول. بس انت

اطبخي لي . فقلت لها: تكرمي يا أمي . كنت أفكر بيني وبين نفسي بطبخ مرقة خضار مع رز . قالت لي: اطبخي أي نوع مرق! شعرت براحة كبيرة، وقلت يا الله يا كريم يا رحيم . يا الله ما عبدناك حق عبادتك . شكراً يا مالك الملك .

رفض والدي أن أقوم من مكاني بسبب مرضي، وطلب من أختي أن تطبخ هي، فغضبت وقلت: أنا من سيقوم بالطبخ ولكن ساعدوني لننجز الأمر بسرعة . ساعدني كل من أبي وأختي في المطبخ وأسنداني لأبقى متماسكة .

انتهينا من الطبخ، وأكلت أمي لأول مرة من مدة طويلة ولم تستفرغ الطعام . ما شاء الله، أكلت كل ما في صحنها (طبقها) وهي مسرورة مبتسمة وقالت لي: حكيت لك من قبل نفسك حلوة ع الأكل . كنت سعيدة جداً أن الله حقق رغبتني وأن أمي أكلت وارتاحت والحمد لله .

في الليلة الثانية نادى أمي وكانت أختي معها: أين هبة؟ نادوها . نهضت ببطء من سريري وقالت لي: أريدك أن تحمميني يا هبة... نظرت أختي إليّ بذهول فهي كانت تعلم بأمنياتي . وبكينا معاً، وليت لها طلبها . ثم طلبت مني أن أفص لها شعرها الجميل الذي بدأ يتساقط منذ فترة، وظهرت علامات المرض عليها واضحة بعد قصه . وقالت: سينمو من جديد . وبذلك تحققت أمنيتي الثانية .

كنا نجلس في غرفة الجلوس مع العائلة . أنا مشغولة بألمي وحزني على أمي، وهي مشغولة بألمها وحزنها علينا، فمن المؤكد أنها كانت تشعر بتدهور أوضاعها الصحية؛ فقد كنا نأخذها كل يوم إلى الطوارئ أو المستشفى الخاص بالسرطان لتمكث هناك عدة أيام ثم تخرج من جديد . وهكذا، هذه كانت حياتها وذاكراتنا معها في أواخر أشهرها .

لا وجود لغيرك في قلبي

كان لا بد من الرجوع إلى الجامعة في أمريكا؛ فقد رفضت أمي أن نبقى معها بلا فائدة وبلا مبرر، وعلينا أن نستمر في دراساتنا والنجاح فيها . وتحت إصرارها عدت إلى جامعتي القبيحة وحياتي الكريهة، عدت بعد شهرين من التعب والإرهاق والمرض شعرت بالغضب من إصرار كل من أبي وأمي أن نعود لنكمل حياتنا ونخرج... و... و... وقتها كنت سعيدة ومخطوبة . لكن كل هذا لا يهم؛ فحياتي الجميلة انتهت . أخذت إجازة مرضية من الجامعة لمدة ثلاثة أشهر حيث إن حالتي الصحية مازالت ضعيفة؛ فمرضي قوي جداً ويصعب التحكم به إلا بإرادة الله عز وجل، وهو مرض جديد عليّ فلا أعلم كيفية التصرف معه . وهناك ستة أنواع من الأدوية لا بد من تناولها كل يوم . وسؤالي اليومي عن أمي وصحتها

مما يؤرقني... كيف هي، وما هو وضعها الآن؟ أصبحت أكره النوم لوحدي، أو أصبحت أخاف النوم لوحدي؛ فكل ليلة أذهب للنوم في غرفة أختي خوفاً من مفاجأة جديدة مفاجئة وغير سارة.

رؤيا تحققت

لا أتحدث عن الأحلام والطموحات هنا؛ فهذا النوع من الأحلام والرؤى الذي أتحدث عنه هو الذي نراه في المنام، يبشرنا أو يخبرنا ببعض الأخبار غير السارة قبل حدوثها. ويعرف عندنا في العائلة بأن أحلام والدي دائماً تتحقق وأحلام جدتي لأبي كانت كذلك. وأنا من بين الجميع ورثت هذه الصفة الجميلة السيئة في نفس الوقت من أبي، فيتحقق معي الحلم أو الرؤيا، حتى أصبحت أخاف من أحلامي.

في تلك الليلة الحزينة، كنت أنام في غرفة شقيقي، أتت لي أمي في منامي حاملة في يدها جهاز هاتف بسلك مقطوع، وصوتها عال حزين ومضطرب، وقالت لي: هبة، أنا لم أعد أستطيع الاحتمال. تعبت، (خلاص) أريد العودة إلى بيتي، سوف أذهب!! قلت لها: لا يا أمي اصبري، اصبري، انتظري. لا تذهبي الآن. لكنها فاطعتني كأنها لم تسمعني،،، وأكملت حديثها لي عن مكانها؛ فقد كانت في الأردن تزور أهلها بسبب اشتداد مرضها. وحدثتني عن غرفتها وعمّن يسكن معها وقتها.

وانتهى الحلم أو الرؤيا على صوت أمي يخفتي، ورنين الهاتف الجوال يرن بلا انقطاع، فنهضت مفزوعة وكأني بدأت أعني ما حولي بخوف وفزع، وأمسكت يد أختي قبل أن ترد صارخة: (لا تردّي لا تردّي). وأنا أرتعد من الخوف.

كانت الساعة الرابعة فجراً حسب توقيتنا في أمريكا، الساعة السادسة مساء بتوقيت الأردن، وجلست أقص على أختي الرؤيا، فقررت أختي أن تكلم إخوتي وكانوا قد هاتفونا وقت الفجر ولم نرد. كنت أسمع صوت أخي الحبيب يسرد لأختي بالتفصيل ما حدث في حلمي، ويتحدث عما قالته ماما. عندها شعرت بتدفق الدم إلى رأسي وأنا أضغط على معصم أختي غير مصدقة ما أسمع منه. أمي توفاه الله في بيت خالتي وقت العصر وهو وقت الفجر لدينا.

انهرت، وقررت الخروج، لا شعورياً ومن غير تفكير توجهت إلى المسجد، وجلست وحيدة أبكي وأصلي. كان المسجد فارغاً فهو ليس وقت صلاة. وإذا بسيدة كبيرة جميلة الوجه في سن أمي تدخل المسجد وتجلس بجوارني فحضنتني وأنا أبكي. جسدي كان يرتعش، أمعائي تصرخ من الألم، روحي تذبل ببطء، وأنا أتساءل: لماذا يا رب؟ أستغفر الله العظيم، يا رب ماذا أفعل، يا رب أرح قلبي وطمئن روحي؟ فالمصائب كبير.

لأول مرة في حياتي أحس بالضيق وبمعنى الغربة في الغربة؛ فقد كانت أمي تؤنسنني في غربتي. ولفترة طويلة كنت ضائعة. غير سعيدة، غاضبة على الناس، مؤمنة بقدر الله، ولكنني لم أر أمي قبل مماتها، لم أحضنها ولم أودعها، ولم أقبلها، لم ألمسها وأشمت رائحتها لآخر مرة. رحلت أمي ورحل معها كل شيء جميل. ساعدني يا ربي. أخذت معها جزءاً من قلبي ولم يعد بعدها.

كانت الأشهر والسنوات التالية لرحليها قاسية، كنت أنظر لكبار السن بحرقه وأتساءل: لماذا أنت ما زلت هنا وأمي من هي أصغر منك قد رحلت؟! أعرف أنني قد تجاوزت حدودي في التساؤلات ولم يكن اعتراضاً على قضاء الله، فأعود وأستغفر الله ليهدأ قلبي وتطمئن روحي. الأمر ليس بيدي؛ فإن جزءاً من روحي رحل برحيل أمي. حاولت وحاولت. لقد كانت أياماً قاسية.

مررت بكل مراحل الحزن الخمس من الإنكار وعدم التصديق والغضب، والمساومة إلى الاكتئاب وأخيراً إلى تقبل الوضع والاستلام للأمر الواقع والرضا بقضاء الله وقدره.

وها قد مرّت الأيام والسنون، وها أنا ذا متروجة وأحمل طفلًا بين يدي، وأمي ليست معي. عصرت خيالي وذكرياتى الرائعة مع أمي ووضعتها في خطوات وقواعد وسخرت طاقتي وحبتي لأمي في تربية أولادي. سرت على نهجها الجميل في كل شيء، من ذلك طريقة الأكل وتنظيم مواعيد نوم الأولاد الساعة السابعة مساء كل يوم، إلى كيفية التعامل مع مشاعرهم، كما أحاورهم مثلما كانت تحاورني. أتبع الآن نهج (أمينة) أمي في حياتي. وزوجي كذلك أحب النهج وأتبعه معي. حتى إنه اقترح أن نسوي ابنتنا على اسم أمي أمينة. فرفضت، فأمينه هي أمي ولا وجود لغيرها في قلبي. هي أمينة واحده فقط، أمي.

أمي خريجة الصف السادس الابتدائي، كانت مثلاً وقدوة للأُم المحبة الصارمة، العادلة المتفهمة، حاورتني كإنسانة وصديقة لا كطفلة. وأنا الآن أحاور أولادي بنفس المنطق الذي حاورتني به. جميلة أنت يا أمي يا حبيبتي. أحبك وأكنّ لك كل الشكر على كل ما قدمته لي. أنت رائعة؛ فلم ولن أجد إنسانة برقيك العاطفي ومستواك. أنت خريجة مجموعة مدارس جميلة، بنيتها بيدك لنفسك، مدرسة الحب ومدرسة الصدق ومدرسة الثقافة ومدرسة تحقيق الأهداف، كل ما تعلمته في حياتي هو - بعد الله - منك أنت يا جميلة يا أميرة. أنت لم ولن يسكن مكانك في قلبي أحداً يا ماما، أخاطبك وأحدثك كل يوم وفي كل وقت، وإن قالوا عني مجنونة!

قال لي يوماً مدرسي في الجامعة مواسياً: إن مصيبتك من أكبر المصائب! ولكن سيأخذ أمر الحزن منك سنة واحدة، ومن ثم تهدأ روحك شيئاً فشيئاً. نعم أصبت يا أستاذي، خفّ الألم الروحي لفقدتها، ولكن لم ولن أنسها شيئاً فشيئاً؛ لأنها ما زالت تعيش معي في كل يوم.

وما زال مرضي معي كل يوم يذكرني بها إن أجهدت نفسي، وفي كل نرف لي أذكر ألم أمي فأحمد الله وأصبر وأتعامل معه كالطفل. وهكذا.. أمي رحلت جسدياً ولكن تركت لي أجمل ذكرى وهي مرضي!! أستمد منه قوتي بعد الله. أنا ومرضي واحد. أحبه ليهدأ وإن أغضبتة يؤلمني من جديد. الأفضل أن نتعامل مع ضعفنا بقوة إرادة وحكمة. الله عز وجل رآف بحالي فحماني من قهر نفسي وإيذاء روحي بأن أرسلني بعيداً عن أمي لغرض الدراسة، لعل ذلك حتى يهيئ لي أن أعيش أو أتعايش بدونها، وأن أتعود على فراقها. الله حكيم، وحكمته أحياناً لا نعلمها إلا بعد حين.. رحمك الله يا أمي الغالية.

الكاتبة في سطور

- هبة فرح الدوسري. مواليد مدينة الخبر في المملكة العربية السعودية.
- متزوجة ولي من الأبناء أربعة.
- أعيش في الولايات المتحدة الأمريكية منذ عام 2001.
- حاصلة على شهادة في برمجة المعلومات والاقتصاد من جامعة سياتل عام 2009 (Ecommerce and information system, also Economics)
- حاصلة على دورات في مجال مساعد تريض، ومساعد طبيب أسنان Leadership Program
- عملت في:
 - Aramco Oil Company ، Children Hospital ، Washington Mutual Corporate
- أمارس هواياتي: الطبخ، ركوب الخيل، الرماية والتأمل ولي موقع للطبخ على الـ YouTube

الفصل الثالث عشر

أزهار ناعمة

ثلاث قصص بقلم ثلاث نساء

أماني، ياسمين الشام، آسيا



خلال رحلة البحث عن مشاركات للكتابة معنا في هذا الكتاب، كانت الكثير من النساء ترغب في التحدث عن مشكلاتها التي واجهتها والتي مرت بها واضطرتها لاتخاذ قرارات قد لا ترضي المجتمع ولا المحيطين بهم من الاهل والأصدقاء، لان المجتمع ومن به من الاهل والاصدقاء يصدرن الاحكام القاسية بحق المرأة التي تعبر عن رأيها ونفسها ومشاعرها خاصة في موضوعي الزواج والطلاق، ولان المرأة هي تلام دائما بدون أن يعرف من يُصدر الاحكام عليها مقدار التضحيات والمحاولات والاستنزاف النفسي والمعنوي والجسدي التي تعرضت له المرأة قبل الوصول للنهاية. لذلك فضلت مشاركتنا تحت هذا العنوان (عدم ذكر أسمائهم الحقيقية) حماية للآخرين ومشاعرهم وليس لحماية أنفسهم بالضرورة.

فقد قالت لي احداهن، عندما تصل المرأة الى مرحلة اللاعودة في حياتها الزوجية من اجل حماية حياتها وعقلها من الجنون، فإنه لا تعود تؤثر عليها الخسارات المادية او المعنوية التي ستخسرهما لأنها وصلت مرحلة أصبحت فيها تقف فيها في منتصف الطريق لا هي قادرة على العودة للمرحلة السابقة والتحمل وتقديم المزيد من التضحيات والتنازلات ليرضي الجميع، ولا هي قادرة على التسامح والتجاهل والبدء من جديد وكأن شيئاً لم يكن.

قصصنا هذه ترويها مجموعة من النساء، كلّ تعتقد أن قصتها كقصص غيرها من النساء، ربما يكون الأمر كذلك، ولكن تبقى لكل منهن خصوصيتها التي تتعلق بشخصيتها وظروفها وطريقة تعاملها مع تحدياتها في الحياة. فهؤلاء النساء موجودات في الحقيقة وبكثرة، ولكن الكثيرات منهن لا يستطيعون التعبير عن أنفسهن ومعاناتهن إلا بالبكاء، والصراخ، أو الانعزال والحزن والغضب. كلنا نحزن ونبكي ونغضب ولكن أن يكون سبب غضبك وحزنك وألمك هو من تثقين به ويُفترض أنه سندك ومصدر قوتك ودعمك فذلك تحدّ لا تستطيع تحمله وتقبله الكثير من النساء.

(1) أحب وحشاً بقلم: أماني

قصتي قد تكون كقصة غيري من النساء اللواتي غرتهن كلمات الحب، والشعور بالاستقلال والنضج، وقدرتهن على اتخاذ القرارات. وتغيير العالم والواقع؛ فأنا كنت مقتنعة بأن الحب يفعل المستحيل. وهذه قصتي... في صباح اليوم الثاني من الزواج صُدمت بواقع كشف لي أنني أقدمت على حياة لم أحسبها بطريقة ناضجة وصحيحة.

أحبّه، هذه الكلمة الوحيدة التي قلتها لأمي لأقنعها بتغيير رأيها عن العريس الذي تقدم لخطبتي بعد قصة حب استمرت عدة سنوات، لم تعلم بها أمي إلا عندما تقدم لخطبتي. كان رفضها قاسٍ وغير عادل في نظري وأنا التي تعند باستقلال رأيها وتدافع عن حقوق المرأة. وعندما سألتها عن السبب قالت لي: يا بنتي "هم مش من ثوبنا" "بيتهم مش مثل بيتنا". استمر جدالنا ونقاشنا عدة أيام، حاولت فيها إقناعها بأنني لست طفلة وأنني أعرف مصلحتي جيداً في أن أتزوج حبيبي الذي أحببته، وأنها يجب أن تثق بي وبقراري كما كانت تثق بي دائماً، وأنني خلال عملنا معاً تعرفت عليه وعلى حياته وطباعه، وأنه يحبني كما أحبه، ولو لم يكن صادقاً ومخلصاً لما تقدم للزواج بي. وأخيراً أقنعتها بقولي: إن الإنسان أحياناً تحكمه ظروف لا دخل له بها، ولماذا عليه أن يدفع ثمن ظروف فرضت عليه ولا دخل له بها؟ وافقت أمي على مفضض وقالت لي: أنا سأوافق من أجلك وأرجو أن لا تندمي على هذا القرار. خلال التحضير لمنزل الزوجية، كنت سعيدة جداً ولم أنتبه لتفاصيل قد تبدو صغيرة ولكنها مهمة وكان يجب أن أنتبه لها لو كنت أملك الوعي والنضج الذي حاولت إقناع والدتي به. منها أنني كنت أقوم بالتحضير والتجهيز لمنزل الزوجية وحدي ودون وجود حقيقي أو سؤال أو مشاركة من حبيبي، وقد بررت ذلك لنفسني ربما لأنه مشغول ويريدني أن أختار حسب ذوقي وما يريحني، ولذا "أحبّه".

رغم الظروف السيئة التي أحاطت بنا خلال خطوبتنا، تزوجنا معتمدين على الحب الذي يكنّه كلّ منا للآخر. ولكنني فوجئت في ليلة زفافي، أن قلبي امتلأ رعباً وخوفاً بدل الشوق والحب الذي يفترض أن يسيطر علينا، خفت كثيراً ولم تأتني الجرأة لأخبر أمي بخوفي وربما شعرت بلحظات ندم وخوف من أن يكون ما توقعته أمي لي صحيحاً، وعشت خوفاً وحيدة لأنني لم أشأ أن أخيف أمي أو أتسبب لها بالقلق؛ فلديها من يكفئها من التعب، ولم أجد أحداً أثبت له رعيي وخوفي. ورغم ذلك أقنعت نفسي بأنه خوف طبيعي يواجهه كل فتاة ليلة زفافها.

في أول ليلة لنا في منزل الزوجية، شعرت بالبرد الذي أصابني وأصاب كل ما بداخلي من مشاعر وأفكار رغم دفء المنزل، وشعرت بأنني غريبة عن هذا المكان الذي أعددت كل شيء فيه بنفسني وأنا سعيدة. شعرت بالغربة ورغبت أن أهرب من المنزل وأعود لأحتضن أُمي لأشعر بالأمان.

ومع هذا تماسكت، واستعدت بالله من الشيطان، وأنا أقنع نفسي بأن هذه المشاعر طبيعية تعاني منها كل الفتيات في أول أيام الزواج. وقبل أن أنام توضأت واصلت وبعدها انفجرت بالبكاء الهستيري الذي ظن زوجي أنه طبيعي بسبب خروجي من منزل أهلي، ولكن الحقيقة أنني لا أعرف سبب تلك الدموع، أهني شوق، أو خوف، أو رهبة، أو غربة، أو ندم على إقبالي على هذه الخطوة وأنا لست مستعدة لها كما كنت أعتقد؟!

ومن شدة بكائي استيقظت في الصباح وأنا لا أدري إن كنت قد نمت تبعاً أم نعاساً، ولكن ما كنت متأكدة منه أنني استيقظت وأنا أشعر بارتفاع في درجة حرارة جسدي، وأعراض نزلة صدرية بدأت تتعبنني، استيقظت وأنا أجّر غطائي خلفي للصالة لأرتمي على أول كنبه وجدتها أمامي. وعندما استيقظ زوجي - وبدل أن أستيقظ على قبلة منه كأني عروس يدللها عريسها في أول يوم لهما، أو أن يدي استغرابه لمغادرتي غرفة النوم وأنني لم أوقظه ليساعدني بسبب تعبي - كانت أول كلماته "صحتي مريضة شو بدك يحكوا العالم أنا مرضتك؟!".

جاءت كلماته كصفعة لي على الوجه؛ ذلك أنني ظننت أنه سوف يستيقظ ويطلع قبلة على جيبي ويقول لي: "سلامتك حبيبي". أو هكذا تخيلت، أو هكذا نشاهد في الأفلام الرومنسية!! بعدها طلب مني أن أبدل ملابسني لنذهب لتناول الفطور في الخارج، ورغم تعبي قمت بتبديل ملابسني سريعاً؛ فقد كنت أرغب بالخروج والهروب من البيت ولو لساعات. وعندما تجهزت للخروج، قال لي بطريقة فظة غريبة لم أعتد عليها خلال فترة خطوبتنا ولا أيام حبنا: "ليكون هيك مفكره حالك بدك تطلعي معي هيك؟ روجي غيري ملابسك". نزلت كلماته عليّ كصفعة أخرى لم أتوقعها. وبعد جدال استمر ما يزيد على الساعة قلت: "أنا مش جو عانة ما بدني أطلع، وهذه الملابس التي كنت ألبسها من قبل ولم يسبق أن اعترضت عليها أو لفت نظري لها من قبل؟ ما الذي جرى لك؟! وما الذي تغير بين الأمس واليوم؟! "

كنت في حالة صدمة مما يحصل؛ فعلى الأقل كان يمكن أن يشعرني بالسعادة قبل أن يخبرني بوجهة نظره والتغيرات التي يريدني أن أقوم بها من أجله، وكان الأجدى أن نناقشها خلال الخطوبة، أو بعد أيام من زواجنا همدوء، وأمام تعابير وجهي المتجهمة قال: "كان هاد اللبس وأنت صبية، الآن أنت امرأة متروجة".

لم أستوعب ماذا كان يقصد بهذا الكلام، ولم أعره أي اهتمام؛ لأن حرارتي بدأت بالارتفاع وصارت حالتي النفسية سيئة وبقيت طريحة السرير حتى المساء بدون أن يبدي أي اهتمام بصحتي أو يسأل عن حالتي! وهذا زاد من خيبة أمني في حبيبي الذي فشل في أول امتحان له لإظهار حبه واهتمامه بي ووعدته لي بأن يسعدني حتى آخر العمر.

وبقيت طريحة الفراش طوال اليوم ودون طعام حتى طرقت والدتي باب بيتنا لتطمئن علي. وبدل أن ترى ابتها تعيش الفرحة بحبيبها في أول يوم لهما معاً، ارتيمتُ في حضنها وبكيت كما لم أبك من قبل ونفسي تراودني أن أذهب معها ولا أعود لزوجي؛ فقد كانت أمني على حق. لقد عشت بداية أول أيام الذل لي معه، ولسان حالي يقول بصوت حزين، "إذا كان قد تجاهل وجودي في أول يوم لنا معاً كزوجين، فماذا ستكون ردة فعله بعد سنوات؟!". ومع هذا تجاهلت ما حصل وحاولت إيجاد المبررات لتجاهله لي خلال اليوم. وخشيت أن أجعل أمني تعيش بالقلق والخوف علي، وبررت لها سبب بكائي بشوقي لها وتغير نمط حياتي. لا أدري إن كانت قد صدقتني، ولكن روايتي كانت مقنعة وحقيقي مع بعض التعديل لسبب بكائي لأن ما شعرت به كان حقيقياً

محاولة التكيف مع الحياة الجديدة

مضت عدة أيام بعد الزواج وقد خاب أمني في هذه البداية في حياتنا الزوجية معاً، وبما أنني كنت أعمل وأكمل دراساتي العليا التي بدأتها قبل خطوبتي؛ فقد زاد إصراري على تكملة الطريق؛ لأنني بدأت أشعر بأنني أخطأت في تقديراتي وفهمي للحب والزواج. ومع هذا قررت أن أحاول التفاهم مع زوجي وإصلاح حياتي معه وأن أجند العوامل المشتركة بيننا، فقلقت في نفسي: لعل هذه الخلافات والاختلافات متوقعة في بدايات كل زواج.

وبدأت أمورنا تتحسن في نواح وتسوء في نواح أخرى. وبدأت أشعر أن أمني كانت على حق عندما قالت لي: "يا بتي هم مش من ثوبنا" "بيتهم مش مثل بيتنا". وفعلاً وجدت أن التغيرات ومحاولة إيجاد التفاهم هي من طرف واحد فقط؛ فهناك الكثير من الاختلافات في المفاهيم والأفكار والعادات وطريقة التعامل مع المرأة في البيئة التي عاش بها، والتي شكلت جزءاً من شخصيته وقناعاته ويصعب عليه تغييرها أو على الأقل محاولة الالتقاء معي في منتصف الطريق.

لذلك كان كل من عملي ودراستي مُتفهمين في كثير من الأحيان لتجنب (أحاديث النسوان) والأهل التي لا تنتهي وتدخلاتهم في كل صغيرة وكبيرة من أمور حياتنا. وبما أن شخصيتي ودراستي

وبيئتي مختلفة عن بيئة زوجي وأهله، وليست من النوع التي تسمح بالتدخلات الخارجية المستمرة في كل تفاصيل حياتي، تعرضت لشتى أنواع التمر والأذى النفسي ولكن بسبب حبي واحترامي لزوجي، وحبه الشديد لأهله كان يطلب مني الصبر إلى أن "طفح الكيل" ولم أجد قدرة على تحمل المزيد من تعليقاتهم بحقي، وبما أن موقف زوجي كان ضعيفاً أمام أهله لذا بدأت أخذ حقي بيدي رداً لاعتباري. وهنا دخلت في مرحلة صراع ورفض منهم لوجودي، وإشعاري بأنني غريبة عنهم، وأن المرأة تتبع زوجها وتوافق في كل ما يريد؛ فأنا لم أكن مطيعة لزوجي كما كانوا يصفونني.

وبالنسبة لي لم يكن الأمر رفضاً للاختلاف بيننا؛ لأن الاختلاف وضع طبيعي بين الناس والأسر المختلفة، ولكن كان التحقير لي كامرأة، وكان التحقير لعملي وثقتي واحترامي لنفسي هو ما يضايقني. وكذلك طريقة تعامل أخت زوجي وزوجة أخيه معي بدون احترام كان يضايقني، وأن تقوم النساء بأعمال الرجال أمام الآخرين وهم ينظرون إليها بعين التحقير كان يضايقني أيضاً. ووجدت نفسي أخوض عدة صراعات وأزمات نفسية عليّ التعامل معها وحدي وبدون دعم منه منها:

الاختلاف الفكري والثقافي بيني وبين زوجي واعتماده عليّ كلياً في إدارة أمور البيت بدون أدنى مشاركة منه؛ فالزواج بالنسبة لي يعني المشاركة والحوار والتفاهم وهو عكس ذلك تماماً، وإهماله وعدم إظهاره مشاعر الحب والاحترام لي وابتعاده عني عاطفياً رغم أنه يحبني كما يقول لي. والاختلاف في الطباع والأفكار والعادات واختلاف النظرة للمرأة بيننا، وعدم قدرتي على تحييد أو استبعاد دور أهله في حياتنا، وإصراره على القيام بواجباته المستمرة تجاه أهله وعلاقاته الاجتماعية التي لا تزيد على قضاء ساعات طويلة من الفراغ وحفلات التدخين والجلوس والأحاديث التي لا فائدة من تكرارها، وخدمة النساء لهم في إحضار الطعام والشراب. والدراسة ومتطلباتها؛ خاصة أنني أصبحت في نهاية الطريق وعدم تفهم زوجي لهذا الأمر، وعدم قدرتي على القيام بالواجبات الاجتماعية المتكررة. ومرض والدتي الشديد مع معرفتنا أننا قد نفقدها في أي وقت بسبب طبيعة مرضها. والضغط النفسي الذي ولّد كرهاً داخلياً لشخصيتي الجديدة الضعيفة، وكرهاً للعالم وكل شيء من حولي، وكرهي للزواج بعد أن خاب أملي منذ أول يوم لي فيه.

كل هذه الصراعات خلال السنة الأولى من زواجي جعلتني أتخبط بين كتمان الأمر عن والدتي المريضة وعدم قدرتي على طلب نصيحتها وإن كانت داخلياً تعرف أنني غير سعيدة في زواجي، وبين أن أصبر وأتحمل كما تصبر النساء كلهن في بدايات زواجهن ونهاياته.

لقد كنت أتحدجج بمرض أمي لأنام في أحضانها باكية. وفي إحدى ليالي الشتاء وبينما كنت أقص على أمي تفاصيل دراستي وكيف أنني أستطيع التوفيق بين بيتي وبين زوجي وبين دراستي، نظرت إلى

أمي فإذا هي حزينة وقالت لي كلماتها التي نزلت عليّ كالصاعقة: " لا تكذبي عليّ وعلى حالك، انت مش مبسوطة في زواجك، إذا بدك تتطلقي، أطلقني وأنا عايشة عشان أوقف معك لأنه ما إلك غيري !!!" وبدأ لساني يؤلف كذبة تلو الأخرى لأشعر أمي بمدى سعادتي حتى لا أزيد معاناتها. كانت أمي صادقة في توقعاتها، وأنا كنت أكذب عليها وعلى نفسي، ولكنني كنت أحاول أن أفنع نفسي أن الأمور ستتحسن بيني وبين زوجي وأني قادرة على تقديم التنازلات لتستمر حياتي الزوجية سعيدة كما كنت أتأمل. ورحلت أمي، وانقلبت حياتنا رأساً على عقب؛ فقد خاب أمني هذا الزواج، واختفى الصدر الذي طالما ارتمت عليه باكية، واختفى مصدر قوتي في الحياة، ولم يكن زوجي ذلك الصدر الذي أستطيع الاحتماء به.

الصدمة الكبرى

ومرت الأيام،،،،، لأنكشف بمحض الصدفة أن زوجي يتعاطى المخدرات، وأنه يعاني من اضطراب نفسي. وهذه المعرفة فسّرت لي الكثير من التساؤلات التي كنت أبحث لها عن إجابات منذ بداية زواجي والتي حاولت أن أجدها لها المبررات والتفسيرات، ومنها أنني كنت ألوم نفسي عليها وأصغفها بالتقصير.

ولأنني أحببته، ومن واجبي كزوجة، قررت أن أفق معه خلال تجربة العلاج وإلا أتسبب بخراب بيتي؛ فقامت بتهديده بأنه إذا لم يخضع للعلاج فسوف أطلب الطلاق. وبعد صراع طويل وجدال، وافق على العلاج البيتي؛ وهنا بدأت رحلة العلاج ما بين مراكز التأهيل والأطباء النفسيين وأخصائي السلوك، عدا عن الصراع من أجل إقناعه بتناول الدواء، وإخفاء وضعه الصحي عن عائلتي، والمشاحنات التي بدأت بازدياد، وغيباه غير المبرر، والتعب الجسدي والنفسي بسبب مشاعر الخوف من أن يكون من أحببت مصدر خطر على حياتي بسبب العنف الجسدي واللفظي الذي كان يمارسه في بعض الأحيان.

فكنت كمن يقود سفينة عكس التيار الهائج، تتقاذفها الأمواج يمنة ويسرة، ولا أعرف على أي شاطئ سوف ترسو في النهاية؟! وبعد عدة شهور من العلاج المكثف بدأ زوجي بالتعافي. عندها كانت المفاجأة الكبرى وهي أن من أفراد عائلته وأصدقائه المحيطين به يتعاطون المخدرات أيضاً، فكان هذا المحيط الذي يعيش بينه سبباً أساسياً في دمار كل ما سعيت لتحقيقه؛ لأن أحد المفاهيم السائدة بأن "الرجل لا يعييه شيء، وأنني أبالغ في تصوراتي وأضخم الموضوع"، ومثله من الأفكار والمفاهيم كانت سبباً في زيادة توترتي وخوفي؛ فكنت أنام وأنا مستيقظة، أغفو من التعب وأستيقظ من الخوف، وخاصة

بعد أن قال لي الطبيب إنه يجب تغيير المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه زوجك والذي يسهل له العودة للإدمان، وأنه معرّض لانتكاسة أخرى في أي وقت.

عندها تذكرت كلمات والدتي، وبكيت كثيرًا؛ خاصة بعد أن اكتشفت بأن انتزاع الشجرة من تربتها وبيئتها أصعب بكثير مما كنت أتخيل. وهذه التغييرات زادت الفجوة بيننا أميالاً وأصبح لكل منا غرفته الخاصة، وهكذا انفصلنا في البيت الواحد، وبدأت تزداد المسافات بيننا أكثر فأكثر، ولا يمنع ذلك من أن نشاجر على أنفه الأشياء مثل نوع الطعام أو لون ملابسي أو حتى دراستي. وبدأ جدار الأمان الذي أضعه حولي لحماية نفسي ينهار تدريجياً لأجد نفسي وحيدة وعاجزة عن كتم هذه المشاعر الغاضبة وخصوصاً بعد رحيل والدتي. لقد اعتزلت الناس وابتعدت عنهم إلا للضرورة، لأهرب بنفسني واستقراري ولأجد نفسي تُدمن "التدخين والنارجيلة"، في غياب من أثق بهم حولي أو ألجأ إليهم لطلب النصيحة والعون.

وعندما علم أهل زوجي بتعاطيه ومرضه تجاهلوا المشكلة وقالوا: "بكرة مرته بتضبه"، ونصحوني بالإنجاب: "جيب ولد عشان يعقل"، كلمة "جيب ولد" رفضتها بكل قوتي وكانت التحدي الأكبر لي، رغم رغبتني بأن أكون أمًا ككل النساء. ولكنني كنت أتساءل: كيف لي أن أنجب طفلاً بريئاً يأتي إلي هذه الحياة ليزوق العذاب؟! كيف أعذب ملاكاً صغيراً بأبٍ يتعاطى وأم مدمرة نفسياً وعاطفياً؟! كيف أرسم لهذا الطفل أحلاماً وردية وأنا أرى أحلامي أضحت سوداء تنكسر مع هبات النسيم؟! وعندما يكبر هذا الطفل ويسألني: كيف رضيت لي بأب مدمن؟! حيثنذ، ماذا سوف أخبره؟! وعندها كان عقلي يردد الكلمة السحرية: "أحبّه!!"

لملمت شتات نفسي ودعوت ربي ألا يرزقني أطفالاً طالما بقي زوجي مريضاً، وألا يختبرني باختبار كهذا؛ فأنا لا أستطيع أن أكون مسؤولة عن توفير الأمان والحماية لهذا المخلوق الصغير في هذه الحياة. فأنا نفسي أشعر كل يوم بأن حياتي بائسة وأنني مدمرة نفسياً وأفضل الموت على هذا الزواج. كل هذا ولم تمض على زوجي ستان. وفي كل يوم وكل لحظة كنت أقارن زوجي المدمر بما كنت أحلم أن يكون عليه زوجي، وأقارن زوجي الحالي بحبيبي الذي كنت أعتقد بأنه سيوفر لي السعادة والحماية. وكنت أتساءل دائماً: كيف تزوجت هذا الوحش!!! لشدة الانتكاسات المتزايدة التي كان يتعرض لها وأنا أتعرض لها معه، وزيادة الضغوط عليّ بعد وفاة أمي وضغوط أسرية أخرى.

محاولة إنقاذ نفسي

وبسبب الضغوط التي أتعرض لها نفسياً وجسدياً وفكرياً، لجأت للعلاج النفسي حتى لا أفقد نفسي خلال الأزمة التي يتعرض لها زوجي؛ فالحياة أصبحت شبه مستحيلة بيننا، وأصبح العنف وتكسير مقتنيات المنزل من هواياتنا التي نمارسها يوميًا، وزاد الانفصال النفسي والجسدي بيننا، فإذا نحن شبحان يعيشان بعالمين منفصلين يهربان من بعضهما البعض كلما التقيا.

عندها فقط أدركت أنني لم أكن أحبه قبل زواجنا بالطريقة التي كنت أعتقد أنني أحببته بها، وإنما كنت أفقد الطريقة التي كان يحبني بها، وأنني أفقد احترامي وثقتي بنفسي التي سرقها مني خلال الستين الماضيتين.

كانت الأفكار التي تتبادر لذهني دائماً أنني سأكون وحيدة بعد أن يرحل كل من أبي وأمي عن الحياة، ولا يمكن الاعتماد على بقية الأهل، ولذلك إن قررت الطلاق، أين سأذهب؟ وان تطلقت، من سيرعاني وينفق عليّ بعد أن بقيت بلا عمل؟!

لقد بدأت أتخذ قرارات فردية لم يمانع زوجي بها؛ لأنه كان مشغولاً بعلاجه وأوضاعه النفسية ما بين صعود وهبوط. ومن ذلك، قررت البحث عن عمل حتى ولو لم أنته من دراستي. للأسف، باءت محاولاتي بالفشل لعدم عثوري على عمل يتناسب مع ساعات دراستي؛ لذا قررت السعي لاجتياز سنوات دراستي في الجامعة والتخرج في أسرع من الوقت المخطط له وذلك بزيادة الساعات المقررة، وبدأت أضغط على نفسي في هذا الاتجاه أكثر وأكثر.

وللأسف، بقيت أعيش كذبة الحياة المثالية على الأقل بعقلي وداخل دفتاري وأفكاري. والحمد لله، أنهيت دراستي وحصلت على درجة الماجستير. وعند إعلان موعد التخرج كان زوجي يعاني انتكاسة جديدة ويقيم بأحد مراكز التأهيل. وبدل أن أكون سعيدة بالتحديات التي تجاوزتها والنجاح الذي حققته، كان صراعاً مجنوناً يدور في خاطري وأنا أتساءل: أين أبي وأمي وأهلي؟! من سوف يراني ويكون معي ويضمني إليه وأنا أستلم شهادتي؟! من ذا الذي سيكون فخوراً بي؟! من سيقوم بالتصفيق لي؟! سألت دموعي وأنا أردد: "لا أحد". في هذا الجو الحزين، قررت عدم الذهاب والاحتفال بشهادتي، وأنا أحتضن وسادتي التي تذوقت على مدار سنوات زواجي حرقه دموعي؛ فأنا لم أكن بحاجة لشيء سوى أن يتم احتضاني، وأن أسمع من زوجي كلمة: أحبك، وأن يدخل الأمان والطمأنينة إلى قلبي، وأن يقول لي بأن كل شيء سيكون بخير، وللأسف لم يعد قادراً على تحقيق ذلك.

استيقظت في اليوم التالي وبني رغبة شديدة بأن أذرف دموعي على صدر أمي رحلت وتركتني وحيدة، فما زلت أعيش وحيدة مع مشاعر الخيبة، وأعيش وحيدة في نفس الجحيم اليومي من الألم

والخوف والتعب والصراخ، ثم نوبات البكاء الشديد التي تترك آثار الانتفاخ والاحمرار على عيني، أرى ذلك بزاوية مرآتي المكسورة التي كانت ضحية إحدى المشاجرات بيننا.

كثيراً ما كنت أحاطب وجهي وملاميحي الحزينة من خلال مرآتي المكسورة، وأسألها: هل الحب كان جريمتي التي دفعت ثمنًا باهظًا له؟! أم إنني لم أفهم الرجل الذي أحببت، وكذبت على نفسي عندما شككت ببعض الأمور وأعطيتها مسميات لطيفة مقبولة منها حبه لي؟ أم لأنني افترضت أن الرجل سيعاملني بالحب الذي عاملني به أبي؟ أم لأنني لم أعرف شيئاً عن الحياة الزوجية وتوقعاتي عنها قبل الزواج؟ أم إن توقعاتي عن الزواج كانت كتوقعات القصص الخيالية التي رويت لنا فبيننا أحلاماً غير واقعية عنها؟ أم إننا خلال الخطوبة لم نتحدث عن أهدافنا وتوقعاتنا من الزواج؟ أم إننا كنا نهمل الالتزامات المترتبة على الزواج كالاتمام والمشاركة والتعاطف والاحترام وأنها من أساسيات الزواج؟ أم إننا ضحايا بيئاتنا الاجتماعية والأسرية التي تعيب على الرجل المشاركة وإظهار مشاعر الحب والاحترام لزوجته وشريكة حياته؟ أم توقعاته مني بأن أقوم بدور أمه في حياته التي اعتاد عليها ونسي أنني زوجته واحتياجاتي تختلف عن احتياجات الآخرين منه؟ إنها كل هذه القضايا مشتركة. وأعود لأسأل نفسي: ما هو ذنبي أن يكون من أحببت ضحية الإدمان، وأن يتم تبرير ذلك بمفهوم اجتماعي غريب مفاده أن الرجل لا يعيه شيء؟!!

أشهد الله أنني حاولت مراراً أن أحافظ على زوجي، ولم أتخل عنه رغم كل شيء، ولكنني لم أعد قادرة على الاستمرار في هذا العذاب؛ ففي السنوات السبع الماضية، تحملت ما لم أتوقع أن أتحملة. ومع ذلك ما زلت أنظر لمرآتي المكسورة وأقول: أخبريني ما الحل؟؟! أصبح وأصرخ أمامها لأفرغ كل ما بداخلي من الحزن والخيبة.

ثم أذهب فأجلس وحيدة في حديقة منزلي متظاهرة بالسلام الداخلي الكاذب، أنفخ الدخان وأحتسي القهوة، وأستشعر أنه لا يوجد من يعلم حجم معاناتي ومعاركي الداخلية، والتي لا يعلم بها حتى من خذلني من الأهل والأقارب بعد وفاة والدي.

وهنا، وأنا في حالتي هذه، قررت أن أعود وأبحث عن عمل لتجاوز أزمته النفسية، وبالفعل حصلت على عمل بسيط وبدأت فيه، وبعد عدة شهور، ولما خرج زوجي من مركز العلاج، بدأ يشعر بأنني منشغلة عنه بعمل خارج البيت، وعادت المشاكل بيننا من جديد. ولكن مع حجة جديدة: "بما أنك انتهيت من الدراسة بدنا نجيب أولاد". ولم يكن لدي أي حجة لتأجيل الموضوع ولكن الأدوية والعلاجات التي تناولها أثرت على الإنجاب، وقضت حكمة ربي ألا تتيسر أمور الإنجاب. وبدأت

تدخلات الأهل والأصدقاء والاقتراحات من أجل الإنجاب؛ فكلهم الآن صاروا يقترحون أسماء الأطباء والعلاجات، ويتظنون أن يولد ذكر يطلقون عليه وليّ العهد، وهم لا يعلمون حقيقة الأمر الذي يعاني منه زوجي، حتى هو في لحظات معينة كاد ينسى أنه السبب في عدم الإنجاب ولست أنا. ومع ذلك، ورغم صعوبات الإنجاب، إلا أنه صار يهددني بالطلاق باستمرار!

بداية النهاية

عادت الخلافات تشتدّ من جديد، ولم يحاول زوجي أن يفهم وضعي، أو دعمي ورفع معنوياتي، رغم وقوفي معه كل تلك الفترة وخلال علاجه، وكانت نتيجة ذلك أن ترك كلّ منا الآخر عدة شهور، وفي هذه الفترة لم أتخلّ عن مساعدته. وبعد صراع طويل بيني وبينه، وبالرغم من تدخلات الأهل لإعادة الأمور لمجاريها بيننا، وبالرغم من أن المياه قد تعود للجريان في نفس النهر، إلا أنها إذا تعكرت لا يمكن ان تصفو من جديد؛ فقد حاولت أن أعود إليه، ولكن في كل مرة كنا نتوصل لقرارات تزداد معها مخاوفي؛ إذ كان يعدُّ بالتغيير، ولكن كل تصرفاته كانت تدل على غير ذلك، وأنا سنعود لنفس الأوضاع والخلافات قريباً؛ فهو يريد أن أترك العمل وأبقى في البيت بدعوى أنه هو الذي سينفق على البيت، في الوقت الذي بدأت أشعر فيه بأن العمل هو مصدر أمان لي من التهديد بالطلاق، وهكذا ساءت الأمور أكثر، وبدأ يتهمني بالغرور بسبب شهادتي العلمية، وبدأت المفاهيم الاجتماعية التي تقلل من قيمتي وثقتي بنفسي تسيطر عليه من جديد بسبب عدم رغبتني القيام ببعض الواجبات الاجتماعية التي تستنزف قدراتي النفسية والصحية. ومع هذا لم أهتم للقليل والقال من جهة بيئته الاجتماعية.

إلى أن تفاجأت يوماً بعودته للتعاطي من جديد. فما كان مني إلا أن حزمت حقائبي وتركت المنزل على غير هدى؛ فاستقبلتني صديقتي في بيتها لمدة حتى أستطيع أن أجد شقة للإيجار. وبالفعل وجدت شقة وبدأت وحيدة أعارك حياة جديدة، ولكن هذه المرة بعين العقل وليس بعين القلب.

لقد تركت المنزل وفي نيتي الطلاق، وقد حاول البعض إصلاح الأمور بيننا بعد أن خضع للعلاج مرة أخرى، ولكن هذه المرة لم أكن معه طوال الطريق، وإن كنت أدمعه لتلقي العلاج؛ فما زلت (أحبه)، ولكن مشاعري هذه المرة أني أحبه كصديق وكإنسان، حيث كان بيننا يوماً ما مشاعر حب أخرى.

فكرت بعقلي هذه المرة لا بقلبي، وقررت أن أساعد نفسي أولاً؛ فلم أعد أحتمل الخذلان والعودة لنفس الدائرة من جديد، ولم تعد لديّ القدرة النفسية أو المادية لبدايات جديدة معه، فكننت

أمام واقع يقول: ما دمت أعمل فأنا أنفق على نفسي وأتدبر أموري، فلم أضيف إلي مخاوف جديدة، ولم أبقى أعاني من الشك والخوف والخذلان، أو أنه لعله تغير أو شفي من مرضه، أو لعله لن يعود للإدمان من جديد.

إنه هو من ساعد على حسمي للأمر، عندما غاب لشهور، وأغلق هاتفه، وجعلني أعاني الخوف والقلق عليه.

ورغم كل ما حصل، عاد يطلب مني ويرجوني منحه فرصة أخيرة للإصلاح، مع رفضه الطلاق. فكرت في الأمر وحاولت أن أستعيد ثقتي به، ولكن هذه المرة تذكرت نفسي، وذكرت نفسي بما قاله لي في يوم من الأيام وقبل أن تنزوح بأنه سيكون سندي وصديقي وأبي وأخي وعائلي وحبيبي. ولكن كلهم اختلفوا بمجرد أن تزوجنا، وكم عانيت بسببه وبسبب عدم وجوده معي. عقلي لم يستطع منحه الثقة من جديد ولم يستطع قلبي أن يخيط جراح ذكرياتي التي عاث فيها فساداً ربما رغم إرادته، ولكنه في كل مرة يكون صاحب القرار للعودة للإدمان. لم أعد أستطيع أن أتنازل عن نفسي وكرامتي وحررتي، ولم أعد أستطيع تحمل مشاعر الخوف والعذاب والوحدة والقهر وأنا أخفي حقيقة حياتي عمن يحيطون بي، ولم يعد يهمني ما يقوله الناس عن قوتي ودفاعي عن نفسي؛ فهم لا يعرفون حقيقة خوفي وشعوري بالندم.

استخرت ربي، وقررت طلب الطلاق منه نهائياً، فقرار الانسحاب هو القرار الأصعب بعد صراع شبه يومي في داخلي لا يشعر به أحد سواي. بعد أداء صلاة الاستخارة التي لم تفارقني يوماً، دعوت الله مطولاً أن يختار لي الأفضل، وعسى أن أجد راحتني بقراراتي لأنني تعبت وشكوت لله وحده في ظلمة ليلى تعبي بكلمات كنت قد قرأتها ولم أعرف كاتبها ولكنها لامست قلبي وتمثلني: "موجوعة يا الله من نفسي وعلى نفسي من ضعف صبري وقلة حيلتي، من بكائي وأرقني وانتظاري على عتبة الحياة الفانية فأنا حزينة مني وعلي، يا رب اغفر لي حزني الذي أغضبك وظني الخائب بالحياة، واعف عن تفكيرتي الذي لا يقودني إليك، وعن أملتي الذي كسرتة بالمستحيل ولا مستحيل منك وبقدرتك فأنت تقول كن فيكون"

الآن، أنا شخص لا ينتظر النجدة والمساعدة من أحد إلا رب السماء. ولن أدفن نفسي في سبيل البحث عن الحب أو السند من البشر؛ فأنا التي أحضن نفسي ووسادتي بعد كل خيبة وصدمة وصدمة، وها أنا الآن أنجو من جميع معاركي،، وما زلت أستمر كأن لا شيء يؤذي.

(2)

أنت طالق

بقلم: ياسمين الشام

بعد عشرين عاماً من الزواج، كانت خلالها حياتنا ما بين صعود وهبوط وتحمل نزوات وخيانات الزوج، جاء يعاتبني ويلومني بأنني بعيدة عنه بمشاعري ولم تعد لهفتي عليه كالسابق. نظرت إليه وتبسمت وقلت له: معك حق، ولم أجب بأكثر من هذه الكلمات؛ فلم يعد يهمني أن أبرر له مشاعري أو أن يعرف الإجابة.

ابتعدت عنه بهدوء وصمت؛ فالصمت أصبح الحل الوحيد منذ سنوات لتجنب سماع الخطب ومحاضرات التنظير والتأنيب واللوم والجدال العقيم الذي يقتلني فيه في كل مرة نتحاور فيها، ليسقط عليّ أخطائه وعيوبه النفسية.

دخلت غرفتي وجلست عند نافذتي التي طالما سالت دموعي وأنا أنظر من خلالها، وأتوجه إلى الله وأبث إليه همومي وأحزاني؛ لأنه وحده سبحانه وتعالى الذي أستطيع الوقوف على بابه وأخبره بأحزاني وهمومي وأقول له بصوت ضعيف مخنوق: "يا رب وكلت اليك أمري وضعفي وقله حيلتي". سرحت بتفكيري؛ وبدأت تلك الحوارات الداخلية الصامتة التي تجعلني أبدو ضعيفة ومستسلمة لكل ما تجلبه لي الأيام، ولكنني أخطب بها نفسي بكل صراحة، واخاطب بها خيال زوجي القريب البعيد. وقلت له في نفسي: نعم يا زوجي العزيز، لهفتي عليك قد تغيرت ولم يعد جفاك وبُعدك عني يؤلمني رغم أنه يحزنني، ولم يعد ما يؤلمني حقاً يؤلمني، فقد مات الكثير من مشاعري تجاهك رغمًا عني؛ فلم أعد قادرة على تحمل المزيد من الألم والإهمال والأكاذيب التي تلبسها ثوباً شرعياً ظلمًا وهتانًا؛ واستنزفت فيها كل طاقتي وصبري، فأنت السبب في موت مشاعري، وتساءلني عن السبب؟! كم ابتعدنا عن بعضنا ولم تعد تشعر بوجودي وبحاجتي إليك إلا بعد أن أطلب منك أو أعبر لك عن ذلك، ونسيت بأن المشاعر التي تطلب عادة لا تكون حقيقية ولكنها واجب يؤدي فقط، وعندما كنت أشكو إليك حاجتي إلى حبك ووجودك قربي، كنت تستخف بمشاعري وتشعري بتفاهة معاناتي وشكواي، حتى دربت نفسي على قتل مشاعري تجاهك وتعودت إهمالك لي لأبدو لك قوية كما تريدني أن أكون.

فبعد سنوات من الزواج كان واضحاً بأن أفكارنا وقناعاتنا مختلفة في كثير من النواحي، ولم أستطع يوماً أن أغير لك أفكارك بسبب عنادك، ولم تستطع أن تغير لي أفكارني، فنحن من عالمين

مختلفين، كنا نقرب ونبعد بين وقت وآخر الى أن وصلنا لمرحلة عدم القدرة على الالتقاء والثبات معاً في منتصف الطريق. وكأي زوجين يضطران لإكمال حياتهما معاً من أجل الأبناء، أكملنا حياتنا مع وجود تلك الفجوة حتى لا تتسبب في ضياع الأبناء وها هم يعانون بسبب الخلافات التي يرونها أمامهم كل يوم.

سالت دمعاتي بصمت وأنا اناظر النافذة، حاولت أن اتجنبها ولكنها كانت تسيل رغماً عنى فأنا اشعر باحباط كبير وفراغ داخلي لا يعلم حجمه إلا الله، ومع هذا سألتك في صمت، أتذكر كلمة أنت طالق التي فاجأتني بها؟! تلك العبارة التي تكره المرأة سماعها ويتلذذ الزوج في ابتزاز زوجته بها، ورغم أن الطلاق أبغض الحلال عند الله، إلا أنها أسهل الحلول عند الرجال.

هذه العبارة التي واجهتني فيها لأول مرة واستخدمتها كسيف مُسلط لابتزاز رفضي وصمتي ومشاعري تجاهك وتجاه اسرتنا ولتبرير اخطائك وصراعاتك الداخلية التي كنت تعتقد انني سببها، وتفاجأت بها ولم أصدق ما سمعت، يومها كانت روحي تختنق في جسدي وتظير كظير مجروح بلا هدف وكفراشه تحوم على غير هدي ولا تعرف اين المستقر.

لعدة أيام لم اصدق أنك نطقت بها، وجعلتني أواجه نفسي بقسوة لاكتشف أن هناك أكاذيب كثيرة كانت تعيش بيننا، لدرجة أنني عندما عدت بذاكرتي لتجميعها كانت أكثر مما يستطيع عقلي أن يتحملة وعلى قلبي أن يغفره. أخطاء كثيرة حصلت منك يا زوجي وأنا كنت أداري عليها -ربما بغباء مني- وربما لأنني كنت أتبع أوامر الله بأن أكون الزوجة الصالحة الوفية التي تتفهم ظروف زوجها وتثق به، لاكتشف بعدها بأنني بغباء مطلق قد ضحيت بشبابي من أجلك وبأن التهديد بالطلاق هو الحل الوحيد عندك لإنهاء أي حوار أو خلاف بيننا.

بعد الطلاق الأول أصبحت تتلذذ في التهديد به في كل كبيرة وصغيرة في حياتنا فقد أصبح الأمر سهلاً لك، كنت أري في وجهك نشوة الانتصار الذكوري ومشاعر السيطرة الوهمية بالقوة وأنت تري صمتي وضعفي، فانت بداخلك -كنت تعرف- بأن بعض خلافاتنا أتفه من أن تُحل بالطلاق، وأن ما كنا بحاجة له فقط في الحوار الصادق والاخلاص الذي كنا نفتقده منذ سنوات.

ورغم أنني لم أصدق أنك تلفظت بكلمة - أنت طالق - إلا أنني تنفيذاً لشرع الله التزمت الصمت ولم أخبر أحداً حتى يجعل الله امرأاً كان مفعولاً، وابتعدت عنك ونحن نعيش معاً في نفس المنزل، وصراعات فكريه تأخذني يمينا ويساراً، فلا أريد أن اغضب ربي ولا أصدق أن العشرة قد هانت عليك -وحبنا المزعوم- لم يمنعك من قول: انت طالق، لاكتشف بعدها الحقيقية الصادمة بأن حبك لي كان

موسميا وحسب احتياجاتك. وعملت هذه الكلمة بيننا شرخا كبيرا لا يمكن رتقه، يومها بكيت كثيرا وماتت أشياء كثيرة في داخلي واعرِف بأن الثقة والأمان قد رحلا من حياتنا للأبد.

وفي النهاية، تدخل بعض من عرف ما حصل، وعُدنا بدون كلمات اعتذار حقيقية أو اعتراف بالخَطأ الذي حصل، بل على العكس قد لُمّنتني بأنني أنا السبب الذي أدفعك للطلاق وأن الزوجة الصالحة هي التي تتحمل نزوات زوجها وتحاول أن تحتويه، قلت في نفسي: ربما أكون مخطئة!! فراجعت نفسي وحاولت تغيير سليلاتي التي كنت تدعي بأنها سبب مشاكلنا والخلاف بيننا.

كذبت على نفسي مرة بعد مرة وأفعتها بأني قد أكون مخطئة وأوجدت لك المبررات بأن الأمور قد تحسن بيننا وأنت تحبني. ولكني كنت - غيبة - وواهمة فأنت لن تعترف ابداً بما أوصلتني إليه من شك وضعف وتدمير لنفسيتي، ولن تعتذر ولن يعود شيئاً لسابق عهده. لقد قتلت مشاعري ولهفتني تدريجياً تجاه الكثير مما كنت أعشق وأحب، حتى لم أعد أشعر بالفرح الحقيقي والأمان معك؛ فكل شيء كان يأتي متأخراً عن موعده حتى أنه كان يفقد معناه.

ومرت الأيام؛ ولنفس الأسباب التي تعرف أنت أسبابها الحقيقية قلت لي: أنت طالق للمرة الثانية، لأنني حاولت أن أدافع عن نفسي وبيتي وعن جراحي التي سببتها لي عبر كل تلك السنين. وأقسم بأنك كنت من يريد الطلاق في كل مرة طلقني بها بل وتسعى له.

للأسف يا زوجي العزيز؛ ما لا يعرفه الأهل والمحكمين الشرعيين في قوله تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعُوثُوهَا حَكْمًا مِّنْ أَهْلِهَا وَحَكْمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) (النساء: 35). أن هذه الكلمات الربانية يتم التلاعب بها لصالح الأقوى قدرة على الإقناع وليس صاحب الحق. وأن الحكم يكون لصالح من يُحسن اختيار الكلمات التي تجد صدي عند المحكمين، ولأن الرجال يصدقن الرجال ويجدون لهم المبررات الشرعية لتبرير أعمالهم حتى الخاطيء منها، لذلك فإن الخلافات لا تُحل بين الزوجين حلا جذريا، وإنما يحاولون التغطية عليها بتوجيه كلمات اللوم للزوجة والتي تزيد الزوج غرورا ونشوة بأنه سيكون المنتصر في النهاية ما دام يحمل ذلك السيف المُسلط باستخدام حق الطلاق الذي شرعه الله لاعتبارات حقيقية وصادقة.

عندها فقط... شعرت كم هانت على نفسي وأني كنت أضعف من أن اصرخ في وجهك لاقول لك كفي، وأقول لك بأنني قد وثقت بك بغباء، وأنتي تنازلت عن حقوقي بصمتي وثقتي بك، وأملي بأنك من الممكن أن تتغير وما كان يجب على أن أعود إليك في المرة الأولى. ورغم أنني تفاجأت بكلمة الطلاق مرة أخرى، إلا أنني لم أشعر بنفس الألم والحزن الذي شعرت به أول مرة، فقد قررت ألا ألتزم الصمت وأن أبلغ اهلي بحقيقية ما يجري في حياتي ففي النهاية قد أخطأت بعدم ابلاغهم بما

جری والاكفاء بحسن النوايا والأمل الكاذب بتغير ما يحصل الذي تعيش به غالبية النساء، ومبررة واهمة بأن الشيطان سيطر عليك في المرة الأولى.

واكتشفت بأن دوامة العنف النفسي الذي تمارسه معي بذكاء ويمارسه الرجال في استخدام التهديد بالطلاق تعطيتهم مشاعر السيطرة والهروب من التعامل مع واقعهم ومشكلاتهم الحقيقية، وكم هي كلمة الطلاق سهله في قاموس الرجال، وكم هيمن عليهم طي سنوات من الحياة في مقابل أن يشعر الرجل بالذكورة والسيطرة ولحظات من المتعة السادية بأنه قادر على تنفيذ ما يريد بحق زوجته، وكم تساءلت على مقدار الظلم الذي يوقعه التهديد بالطلاق على الأبناء قبل الأزواج.

قد تجبر الزوجة - طوعاً وغير راضية - أن تعود للزوج بسبب وجود الأبناء أو لأسباب أخرى ولكن لن تعود الحياة كما كانت بينهم، فقد مات الاحترام والثقة والأمان وحل محلها التهديد بالطلاق ونظرات الشك والخوف وعدم الاحترام، ويعتاد هو على التهديد بالطلاق الأخير، الذي يمسك به كورقه (الجوكر) معتقداً بأن الطاعة والشعور بالأمان الذي أصبح يفقده مع زوجته قد يعود بالتهديد. ليشعر في نشوة الذكورة، والنصر، واستخدام - الحق الشرعي بالطلاق - الذي أحله الله لأسباب حقيقة وأنه فرصة له لمنعه من ظلم نفسه ولإعادة تقييم حياته وليراجع نفسه ويعيد لها توازنها بعد الذنوب والاطعاء الذي يقترفها بحق نفسه وحق زوجته. فالشيطان قد تمكن من علاقتهم وقد تمكن منه، وها هو موجود على طرف لسانه وسيطر على قلبه وعقله وزين له صحة أعماله وبررها له.

في الوقت الذي يقال فيه للزوجة اصبري، تحملي، تغيري، حاولي، ضحي، احتسبي،..... وغيرها من تلك القائمة الطويلة من كلمات جلد الذات والشعور بالذنب الذي تحاول فيها نفخ الحياة بعلاقة ميتة، أحل الله الطلاق وهو ابعض الحلال عند الله. ومع هذا يمارس بأشع صورته وأقبحها لإيقاع الضرر على الزوجة والابناء

وبعد الطلاق الأول والثاني ماتت أشياء كثيرة في داخلي تجاه نفسي وزوجي وبدأت أري عيوبه النفسية والفكرية التي كنت أحاول التغطية عليها والتي يحاول ان يصفني بها ليرضى نفسه والانا الذكورى لدية.

فقد قتل بداخلي كل شي جميل تجاهه، أصبحت ابتعد عنه نفسياً، وأقوم بما يرضى الله بدون مشاعر لأنه كان هو يفعل ذلك منذ سنوات. وبدأت استيقظ من غفوتي الطويلة التي اشعرته بضعفي وقوته في الحقيقية لم أكن ضعيفة أبداً ولكني كنت أخاف الله تعالى.

لا أنكر أننا قضينا سنوات جميلة، أنجبنا خلالها ما كتب الله لنا من ذرية، ولم تكن أنت سيئاً معي، ولكنك تغيرت وتغيرت كثيراً - وربما تغيرت أنا - ولكن تغيري لم يكن إلا استمراراً لتغيرك تجاهي،

وكنت تبتعد، وفي كل مرة تعود فيها تشعرني بالذنب، وتقتل كلماتك المنمقة بداخلي شيئاً ما وتدمر نفسي وثقتي بنفسك بكلماتك السلبية ولكل ما أقوم به مهما كان رائعاً في أعين الآخرين ولكنه لم يكن كذلك في نظرك.

إننا نكذب على أنفسنا وعلى الآخرين عندما نقول إننا نستطيع طوي صفحة الماضي والبدء من جديد في علاقاتنا، حتى مع أهلنا وأصدقائنا، فبعد أن تنطفئ وتنكسر العلاقات والمشاعر وتذهب الثقة والاحترام إلى غير عودة، فإننا نحاول أن نرُمم ونُجمل ما تبقي من علاقاتنا، ولكننا في قرارة أنفسنا نعرف الحقيقة وأن لا شيء يعود كما كان، فقد وصلنا إلى فهم جديد لطبيعة علاقاتنا معاً، وتقبلنا بأن ما تبقي من هذه العلاقة قد يكون مؤقتاً وقد ينتهي بأي لحظة.

ففي بداية حياتنا عندما تزوجتك كنت أنت كل شيء في حياتي، وكنت أول وآخر حب فيها. وأني توقعت أن تكون الحبيب والزوج والأخ والأب بالنسبة لي فهذا ما وعدتني به خلال خطوبتنا. أشعرني بأنني سأعيش بحب وأمان وسلام معك للأبد. وأنا صدقتك لأنني هكذا تربيت، ولأن المسلمة لا تخون بفكرها ولا بمشاعرها، تربيت أن المرأة "ستر وغطي" على زوجها كما هو ستر وغطي عليها. أليست هذه المفاهيم التي تربينا عليها؟ لاكتشف خطأ هذا المفهوم الذي نستخدمه متى نريد ونتجاهله متى نريد؟

وها أنا للمرة المليون أكتفي بحديثي الصامت مع نفسي؛ فقد تعودت اختصار الحوارات بيننا لأننا لن نتفق ولن نتوصل لأي نتيجة في نهاية أي حوار؛ ولأنني المخطئة دائماً وأنت على حق دائماً، فأني حوار بيننا يغلب فيه الأنا الذكوري عندك ويجعلك أكبر من أن تري الخطأ أو أن تعترف به أو أن تعاتب نفسك وتراجعها ولو من باب احتمال أن تكون على خطأ. ولكنك لا تفعل، وعندما تفعل أكون أنا المخطئة باستمرار.

ومارست عليّ تفكيرك السلبي ككل الرجال التقليديين؛ فاعتقدت بأنك عندما تكسرنى وتبحث عن عيوبي فقط وتضعف ثقتي بنفسي وتزداد حاجتي إليك وأصبح تحت سيطرتك، وأضطر لتحمل المزيد من نزواتك، وأنت كلما دمرتني تجعلني أشعر بالذنب وأتقبل كل أخطائك وهفواتك التي تقوم بها بحجة (لا يوجد تفاهم بيننا)، وعندما تشتكي لزميلاتك في العمل "زوراً" وتقول: كم أنا أتحمّل هذه الزوجة التي تقصر بحقي، والتي لا تفهمني ولا تفهم احتياجاتي. أنت تقول هذا لتحصل على التعاطف من زميلاتك الحنون اللواتي لا ترى منهن سوى مكياجهن وملابسهن ورائحة عطرهن وكلامهن الناعم فتعتقد أنهن مثاليات ورائعات في الحياة؛ لأنك لا ترى الجانب الآخر الحقيقي لهن في

بيوتهن، ولا ترى واقعهن عندما يزلن تلك الأفتحة التي تزينها لك الخيانة الفكرية والمشاعرية معهن. صدقني يا زوجي العزيز، إننا نساء ونفهم طريقة تفكير بعضنا بعضاً، ونعرف أننا عندما نريد أن نمارس ذكاءنا لإيقاع الخلافات بين رجل وزوجته نستطيع ذلك.

ولكن هذا يعتمد على الرجل الذي يفتح لنا باب حياته الزوجية بمصراعية والعبث فيها وبمشاعره. وكذلك الحال تستطيع للمرأة التي تفتح الباب أمام زملائها من الرجال، فلا تقنعني يا زوجي العزيز ببراءة نواياك بالشكوى للأخريات؛ فالفساد يبدأ بين الطرفين (الرجل والمرأة)، فيزين لهما الشيطان خراب البيوت بمبررات واهية وكاذبة، والله أعلم بالنوايا والقلوب.

أنظر لك بتعجب، وأحاول أن أخفي دموعي وخيبة أمني وقلبي الذي يحترق عندما أسمعك تطري عليهن وتشكرهن بلطف، والذي تضع له مسميات لطيفة خادعة بريئة، في حين أنك لا تشكرني وإن شكرتني لا تلبث أن تلغيه بعدها بلحظات، فانت لا تقدر ما أقوم به منذ زواجنا، وكأن ما أقوم به قد اعتدت عليه وما تقوم بها الأخريات يصبح مصدر إعجاب وتقدير لك!.

للأسف لم تشعر ولو لمرة، ماذا قتلت بدخلي عندما اكتشفت أنك تخونني؛ بل لقد خستني حقيقة عدة مرات بأفكارك ومشاعرك وابتعادك عني لمسافات طويلة، رغم أننا ننام في نفس السرير. وأنا الأولى بحبك ودعمك وتقديرك وثقتك من الأخريات.

ماذا أقول لك؟ هل أحكي لك أنك جعلتني أشعر كالمغفلة، وأتساءل بيني وبين نفسي: ما هو ذنبي معك؟! وهل هذا جزاء الوفاء والإخلاص؟! وكيف يحق لك أن تناقش مستقبلي وحياتي مع غيري، وتشير عليك زميلاتك كيف تتعامل معي؟! للأسف، كنت بعيداً وأنت قريب؛ فقد كان هذا البعد هو الذي قتل ما بدخلي من حب لك وثقة بك؛ لأنك استهنت بمشاعري وكرامتي وأحاسيسي وثقتي المطلقة التي منحتها لك بدون شروط يوم عقدنا قراننا، وكسرت كل شيء جميل ربطته بك وبحبك!

هل أحكي لك أن ألف كلمة اعتذار لا تعيد إصلاح الكسر الذي خلفته في قلبي وروحي وأنوثتي وكرامتي ومفاهيمي للإخلاص والحب والوفاء؟ فهناك مشاعر مدمرة ومكسورة بدخلي لا يمكن وصفها حاولت أن أتجاهلها ولكن لا أستطيع نسيانها؛ فلا أريد أن أتألم مرة أخرى؛ خاصة بعد أن توصلت أخيراً لسلام بيني وبين نفسي واعدت بناء نفسي واعدتها لأسوء الاحتمالات بيننا.

هل أحكي لك أنني إنسانة عاطفية حساسة رومانسية لم تفهمها في يوم من الأيام لأنك ترى رومانسيته دلغاً لم يعد يعجبك، وتريده فقط ساعة ما تريد وتنساه لساعات وأياماً وشهوراً؟! هل أقول كم مرة كنت بحاجة إليك ولم تكن بجانبني لا جسدياً ولا عاطفياً؟! وكانت كرامتي تمنعني من اللجوء إليك خوفاً من الخذلان.

هل أحكي لك أنك جعلت زواجنا وحياتنا كأبي علاقة عابرة انتهت فيها المشاعر من أولى سنوات زواجنا بسبب العمل والمسؤوليات وبحثك المستمر عن الأوهام في تفكيرك غير الواقعي، وبدل أن نعمل على تجديد مشاعرنا واحتياجاتنا، صارت حياتنا بلا معنى ولا هدف؛ بل مجرد تواجد جسدي وظيفي في مكان واحد، واختفى الجانب الروحي والمعنوي والتشاركي منها؟ أصبح وجودنا معاً مجرد واجب والتزام بسبب الدور الذي يترافق مع مسمى "الزوج والزوجة، الأب والأم" ووجود الأبناء.

قال لي المتزوجون ذات يوم بأن الزواج بعد سنوات يصبح روتينياً ومملأً ومجرد تعود بين الزوجين؛ فقلت في نفسي: ولكن الحب والوفاء والنضج والتعليم هم الأقوى. فكذبت على نفسي لأنني كنت أنا أتعود عليك وأفتقد دعمك ووجودك معي، وأفنع نفسي بأن العمل والانشغالات مبرراتك للبعد والغياب، ولأكتشف بأن التعليم والنضج من ضمن الأكاذيب التي نعيش بها عندما نتعامل مع الواقع، ولأجد أنك تعودت على الدعم الخارجي من طرف من تتعامل معهن من النساء، ولتعود لي مشبعاً عاطفياً في آخر المطاف؛ فقد أشبعت بعض احتياجاتك خارج المنزل؟!!

أتساءل، وتتساءل النساء والأزواج: لماذا يتعد الزوجان عن بعضهما بعضاً، ويشعر كل منهما أنه وحيد؟ وأن وجود هذا الشريك أصبح بلا فائدة؛ فلم يعد يحقق الهدف من وجوده وبقائه في العلاقة؟ هل العلاقة الزوجية مجرد أهداف ومصالح واحتياجات مؤقتة، متى تحققت وأشبعت تنتهي العلاقة بين الزوجين؟ ربما هي كذلك.. إذا لماذا نكذب على أنفسنا ونقول بأن الحياة الزوجية تدوم للأبد؟؟؟؟

ماذا أقول لك يا زوجي العزيز؟ هل أقول لك بأنك كنت بالنسبة لي الزوج والصديق ومصدر الأمان والثقة والسند؟ فهل كنت أنا كذلك في حياتك؟ ربما كنت كذلك في مرحلة ما وإلا لما استمرت حياتنا كل هذه السنوات؟ ترى، هل انتهى دوري بنظرك في حياتك لتبحث عن بدائل في الخارج رغم أنني لم أقصر معك، وكنت أقوم بواجباتي ودوري تجاهك - كما كنت أعتقد - على أتم وجه؟! لاكتشف بعدها إن الأشباع يتساوى أحياناً مع الحرمان والتقصير؟ وأن من يجبك حقاً لا يبحث عن عيوبك وإخطائك فقط وينسى كل شيء آخر قدمته له!!!

أتدرى يا زوجي العزيز،، أنه لا يحق لك العتب أو (الزعل) أو لومي لأنني تغيرت معك؛ فكلمة (زوج) بالنسبة لي كانت تعني لقباً كبيراً جميلاً رائعاً، يحمل الكثير من التوقعات والمعاني والمشاعر

والتقدير . ولكن الصدمات التي عرضتني لها جعلت أحاسيسي وحببي لك يصاب بالخدر لتصل إلى حد الموت، ولكنها في الحقيقية ليست ميتة، إنها رماد مشتعل في قلبي أحاول أن أمنع عنه الهواء حتى لا يعود للاشتعال خشية أن أثق بك وأتألم من جديد، حياتنا أصبحت لأداء واجب شرعي واجتماعي . أو أنها قنبلة موقوتة تنتظر ساعة الانفجار الذي يفصلنا للأبد.

كم احتجت لأن أسمع كلمة حنان وحب منك ولم أسمعها منذ وقت طويل، وإن سمعتها لم أعد أثق بها أو أصدقها؛ لأنها تخلو من الصدق الذي يلامس القلب لتعيد لي روحي التائهة، أو أنها لم تأت وقت حاجتي إليها فجاءت متأخرة ففقدت معناها؟! كم احتجت أن أشعر معك بالأمان الذي سرقتة مني وجعلتني أعيش في شك وخوف دائم؟! كم احتجت أن تضميني بصدق وقت حاجتي اليك لا وقت حاجتك أنت، وكم كنت اشتاق لصدق مشاعرك ولكنها كانت كاذبة.

فأشياء إذا لم يكن في وقته فلا قيمة له، فلا نفع للدواء بعد الشفاء. والتعويض لا يعيد ما فقد، والزهرة لن تعود للحياة بعد ان تموت، والشجرة لن تثمر بعد تجف جذورها فلا تسألني يا عزيزي عن السبب؛ فلو كنت حقاً تحبني وتشعر بي لعرفت السبب! وعرفت بأن الثقة والاحترام والمشاعر لها أيضاً تاريخ انتهاء. فلست بحاجة لأن أنتظرك أن تعود لرشدك وأن تعود إليّ.

أعرف بأنني قصتي هي قصة ملايين من النساء اللواتي يعشن في انتظار إطلاق رصاصه الرحمة على حياتهم الزوجية، ولكن هذه المرة أعددت نفسي لتقبلها، فلا تعتقدوا أنني يائسة أو حزينة أو أنني كان يجب عليّ أن أتركه منذ زمن طويل

أعرف أنني بخير، وقد عدت والتقيت بنفسي التي ضاعت لسنوات، واكتشفت بأنني قادرة على البدء من جديد.

(3)

الزوجة الثانية

بقلم: أسيا

أبلغ الخامسة والأربعين من العمر، طُلق من زوجي الأول بعد حياة زوجية استمرت عشر سنوات مليئة بالعنف الأسري المستمر والتدمير النفسي الكلامي والتهديد المستمر بالطلاق. أخذ مني الأولاد ولم يلتزم بحكم المحكمة بحقي برؤيتهم. احتسبت أمري لله على أمل أن يعرف الأولاد يوماً بأنني لم أتخل عنهم وسعودون لي. لا أريد الخوض في التفاصيل، ولكنني اكتشفت أننا عندما نتزوج نخوض في عالم من المجهول، نبدأ باكتشافه عندما ندخل فيه، فكثير من تفاصيل فترة الخطوبة هو أكاذيب وتمثيل وكثير من أحاديثها لإشباع المشاعر المحترقة المحرومة المتشوقة للحب، وعود لا يمكن الالتزام بها بعد الأشهر الأولى من الزواج وبعد اشباع الحاجات الجنسية والشعور بالاستقرار، وكأن الزواج يصبح عادة يومية وتظهر فيها الطباع الحقيقية بدون محاولة تهذيبها لاحترام الشريك الاخر.

ولأني كنت لا أزال في منتصف الثلاثين من العمر عندما طُلق، وأرغب بتحقيق الاستقرار النفسي والعاطفي، وأمل في تعويض ما افتقدته خلال زواجي الأول من الطمأنينة والأمان ووجود الشريك المتفهم، لم أمانع أن أتزوج مرة أخرى؛ فلا زلت صغيرة وجميلة، ومن حقي الشرعي أن أتزوج مرة أخرى.

قُدِّر لي أن التقيت رجلاً خلال عملي، كان يكبرني بأكثر من خمسة عشر عاماً. متزوج ولديه أبناء وبنات كبار ومتزوجون، وقد أخبرني أن زوجته لا تمنع زواجه بأخرى، وبعد أن تأكدت من عدم ممانعتها والتعرف عليها لاحقاً والحديث معها، لم يكن يبدو أنها تمنع من زواج زوجها خاصة وأنها تكبره بالعمر ولم تعد تستطيع تحقيق احتياجاته. حاولت التقرب منها وأشعرتها بمكانتها واحترامي لها رغم صعوبة الوضع على كلتينا، ولكنها رفضتني كلياً رغم التظاهر بأنها تقبلني؛ فأنا بالنسبة إليها (الضرة) والزوجة الثانية، وما أقصاه من لقب!

تزوجنا، وعشنا عدة شهور بتوافق وسعادة، خلالها لم أمنعه من التواصل مع زوجته وأولاده؛ فأنا لم أكن أريد أن أتسبب بالضرر لأحد؛ فكل ما كنت أريده التخلص من الوحدة التي عشتها بعد طلاقني الأول وإيجاد الشريك المتفهم والصديق. ولأنه كان يعيش في دولة أخرى، كان يذهب لزيارة زوجته

وأبنائه ويعود كل عدة أشهر، إلى أن ذهب إليهم منذ سنتين ولم يعد، بحجة مسؤوليات العائلة والتزاماتها ومشاكل الأبناء. تحدثت معه بأنه لا يجوز له أن يتركني معلقة بهذه الطريقة، وأن عليه الالتزام بحقوقى الشرعية ومسؤولياته تجاهي، فقال لي: إن التزاماتي الأسرية تأتي في المقام الأول! ففهمت أن زوجته الأولى قامت بالضغط عليه للبقاء معها بحجة مرضها.

نعم، زوجته الأولى وأبنائه أثروا عليه للبقاء معهم، ولربما قد أعاد هو التفكير بزواجه بي زوجة ثانية، وربما اعتبر زواجي منه نزوة أو تحقيقاً لرغبة في نفسه لا أعلمها، وربما أراد أن يثبت لنفسه أنه قادر على الزواج.

عندئذ، لُمت نفسي؛ فقد كنت أرى أنه من المستحيل بالنسبة لي أن أتزوج برجل متزوج، ولكنني تعلقت به، وتعاطفت معه وصدقت روايته عن علاقته بزوجه، ووافقت على الزواج منه بعد عدة سنوات من انفصالي عن زوجي الأول، وهي ليست سنوات قليلة.

إنني أتألم الآن وأعيش في صراع داخلي صامت لا أجرؤ على البوح به لأهلي؛ لأنني اتخذت قرار الزواج الثاني بشكل فردي؛ فقد كانت أسرتي معارضة تماماً لهذا الزواج لنفس الأسباب التي أعاني منها الآن، وأشعر الآن أنني حُرمت من حقوقى الزوجية المتعددة.

وأعود لأعاتب نفسي؛ لأنني أنا من ألزمتها بهذا الزواج الثاني الذي لم يحقق المطلوب أو الهدف الذي من أجله تزوجت.

وأجد نفسي مضطرة الآن للتحمل والانتظار؛ لأنني لا أريد أن يقال إنني خضت تجربة زواج فاشل للمرة الثانية، وربما ما زال هناك أمل أن تؤول الأمور إلى الأفضل وألا أضطر إلى اتخاذ قرار بالانفصال من جديد، إضافة إلى أن جزءاً من مشاعري مازال معلقاً بزواجي؛ فقد كان لطيفاً معي رغم ما حدث.

ويبدو أنني بسبب تصرف زوجي وأهل بيته، أجدني وكأني أخوض معركة حامية وصراع ما بين قلبي وعقلي؛ فقد بدأت أفكر بالانفصال من جديد؛ فأنا الزوجة الثانية! لقد ضقت ذرعاً بهذا اللقب الذي جعلني أشعر دائماً بأنني لست أولوية وأنني في المرتبة الثانية، ومطلوب مني أن أتقبل دائماً ظروف الآخرين وأتفهمهما والتي تكون غالباً السبب في حرمانى من أسسط حقوقى الزوجية.

بالنسبة لي، هذا الوضع صعب جداً؛ فلا تقبله شخصيتي ونظرتي واحترامي لنفسى، ولطالما كنت أشعر دائماً بأنى في المرتبة الأولى؛ فأنا امرأة أعمل طوال حياتى، ومستقلة في قراراتى وشخصيتى. أشعر بالغضب تجاه نفسى وما اقترفته في حقها، ولكنني كنت ضحية الوحدة، وكان من الطبيعى أن أبحث عن الاستقرار والتعويض العاطفى والنفسى الذى حرمت منه طوال حياتى؛ لذا كان زواجى الثانى، ولقد كان

زوجي الثاني في وقت ما، هو نوع الحنان والحكمة الذي وفّر لي ذلك. وربما لأجل هذه الأيام السعيدة التي قضيناها معاً لم أنفصل لغاية الآن...أمله عودتها من جديد، ولكنني - مع ذلك - لا أعرف ماذا تخبئ لي الأقدار

لمحة عن حياة الكاتبات:

كاتباتنا الثلاث يحملن البكالوريوس والماجستير، وكُنّ عاملات قبل أن تتسبب جائحة كوفيد-19 في تعطيلهن عن العمل.

كانت هذه قصصنا ... ترى ما هي قصتك أنت؟.

These were our stories ... so, what's yours?

sacrificed so much to help us. From the time, money for airplane tickets, time off work, energy for taking care of toddlers/little boys and us, and so many other things that are too long to list. They were with us and remained with us every single step of the way. I am forever indebted to them and infinitely grateful to God for blessing me with them. God bless every parent and every child, Ameen.

God grants us the guidance, intelligence and strength, and patience to navigate life and has more empathy towards one another. Everyone has something in their life. We should take care of ourselves and our families and spread goodness and happiness to others. God protect us from the cursed Shaytan and bring humans closer together with compassion, love, and respect. Ameen.

God grant everyone, everywhere, regardless of race, religion, or anything, hiddayah, health, and happiness, Ameen.

About the Writer

- **Education, University of Windsor**, Windsor, Canada [1998 – 2002]
Bachelor of Commerce, Honors Business Administration
Concentration: Marketing and Operations Management
- **Professional Work Experience**
- **Rockwell Collins Inc.**, Cedar Rapids, USA [2010 – 2011]
Senior Administrative Assistant
- **Intelligent Manufacturing Systems (IMS) Centre**, Windsor, Canada [2002 – 2009]
Research & Administrative Assistant
- **Hallmark Canada**, North York (Toronto), Canada [2002]
Customer Service Representative
- **ICON Laser Eye Centers**, Windsor, Canada [2000-2001]
Marketing Department Assistant & Educational Counselor / Customer Service
- **Accucaps Industries Limited**, Windsor, Canada [1999-2000]
Compliance Associate and Floor Auditor

If we can ignore the labeling and simply live our lives the best we can, with Ihsan, we will be so much happier and successful in all our endeavors. It's really hard, but so much peace comes out of it. Materialistic things and social media (especially) won't have such a heavyweight on us. We will realize our happiness is not in the hands of others or in what we have, instead, our happiness comes from the inside.

Life is full of surprises and tragedies; challenges and obstacles; lessons and gifts; weak moments that build us up in strength. It's always the initial shock of the negative that lingers. Still, if we can take a breath and change the negative into a positive, we can make the challenges into growth opportunities, fears into motivators. We can have healthier and happier lives.

It's tough to live a life of optimism when you're surrounded by negativity. However, when you realize you have that 'voice' inside of you wanting something better, nurture that voice and what it's asking of you. It's going to lead you to better, better in every way. It won't lead you to perfection because perfection simply does not exist. But the better outlook, the better health, the better breathing, the better relationships, and the countless other 'betters' will have you look at life through better glasses and appreciate all the little things that add up to a huge amount of countless blessings. We can then be people who are grateful for the slice of cake and savor it, and not long for the rest of the cake that we didn't get and get upset.

Gratitude is priceless. When we are grateful, it does beautiful things to our outlook and our health. It's been scientifically proven. Prophet Muhammad (peace and blessings be upon him) taught this to the world long before science proved it. Looking to others less makes your life, struggle, challenge, and obstacle, so much easier to go through. It dwindles negativity, raises positivity, and does immense good for your health, especially your mental health.

I cannot thank God enough for blessing me with these amazing parents. Because I am a Mother, I understand what they did for me, for us. They

before marriage. I never had to ask for anything, I never needed permission for anything, I could spend how I liked, and I could save how I liked. I could invest how I liked it. Now, I don't have any fiscal capabilities, whereas before, I knew exactly what my monetary situation was like. If anyone wants to feel like their worth and intelligence aren't as high as they were before, tell them to get married.

But what I have that "Old Zaina" always longed for are children, alhamduLillah. Two beautiful, amazing, mature, well behaved, loving children. God bless them, and all children, always, Ameen.

The defining moment of my life happened when I was 24 years old. I realized life always and forever is going to be just between God and me. I am not responsible for other people; I am only accountable for myself. There was a point when I got so overwhelmed and fed up with people; their negativity and their negative behaviors were too much for me to tolerate. I was ready to explode. I couldn't stand hearing the backbiting anymore, or the way people treated each other (especially toward the innocent ones), etc. So, I made a sincere dua to Allah Tala, and I opened the Quran. My eyes laid on the Aya, telling me that I am only responsible for myself, and I will not be asked about others. I wish I knew which Surat that was in, but I don't. Since then, I haven't felt overwhelmed with others, especially when I remember having no control over them or their actions. I must focus on myself and be a person with good character to please my Lord. Hopefully, the bonus is God Willing, my behavior and personality could help others, and I can be a reminder for others.

The more women I meet, the more I realize "I'm not alone." We have so much in common. We are too shy to bring up our issues, and it's unnecessarily taboo in so many cultures to talk about what we are going through, how we are feeling, or how to address the issues get help. We are pressured to put on a façade of perfection. We must be the perfect daughter, the perfect wife, the ideal daughter-in-law, the perfect mother, the perfect friend, the ideal dresser, the perfect multi-tasker, the perfect everything for everyone. That is toxic for us, our families, society, and our end.

In the Quran, Allah Tala tells us, all that is good comes from God, and all that is bad, we do to ourselves. God puts us where you need to be. Nothing in life is haphazard.

Everything is for a reason. Sometimes the reason is blatantly obvious why, and sometimes it's not. And that's ok. We don't always have to know why. So long as we trust the reason it happened in the first place was designed and decided by The Wisest, The All-Knowing, The Immensely and Infinitely Merciful. The One who loves us more than our mothers could ever love us. The One who loves our children more than we ever could.

I've learned to continually remind myself this is "Dunya", (الدنيا) it's not forever. Janna (الجنة) is forever. That's the goal. That's what we get when we prove ourselves worthy. That's why we are here. So that on The Day, we have every proof to see for ourselves that we deserve the final verdict from The Most Just Judge. I try to remind my children of this in as gentle of a way as possible. I know I won't live forever, cancer or no cancer. No one will. We all have our time. I want my children to be aware of this and not have such a negative outlook on death. Death to the doers of good is a celebration. I want to celebrate when it is my time, Ya Rabb.

"Old Zaina" had hopes, dreams, and aspirations. She was smart. She was extremely independent and loved to travel. She was very good with money and loved spending time with her friends and their children. She spent time at the Masjid, and she loved learning about Islamic studies. The older she got, the wiser she became. Always a true friend. A very protective older sister to amazing brothers. She loved talking about and researching cars. She had an amazing career where she had wonderful bosses, colleagues, and team members. She gave her heart and soul in everything she did. May she rest in peace ;)

"New Zaina" is similar to "Old Zaina" in the soft skills and friendship sense, but I lost some skills I was good at and that I valued. I don't have any control of money or investments. I cannot buy what I want and must put first the cost over the value/quality. I don't have the independence I had

We shouldn't have to learn about them in a reactive way. Why don't we put them at higher importance and keep them at the forefront to live a productive way, not a reactive, scared, and confused way?

I am grateful for what I've learned, for what I've learned, I pray, will protect my children. I try to teach them so that they are informed and can make their own choices. We are their role models, and they are our responsibilities. We must protect them, especially when there are so many harmful things out there bombarding their little, growing, amazing systems. Purity heals; toxicity hurt. Positivity propels, negativity anchors.

The healthy lifestyle made so much sense to me. What floored me is when I was learning about all these healthy lifestyles and science from western functional medical doctors, all of this was already in the Quran and Sunnah.

My friend I met in Illinois, Dr. Madiha Saeed, opened my eyes to how this was already in the Quran and Sunnah. I had the spiritual side, and I had the health side, but I didn't put them together.

It is amazing how the one who created us, The One who loves us more than our mothers ever possibly could, loves our children more than we ever possibly could, had already prescribed this for us. He teaches us this with "Halal and Tayyeb" – Good and Pure. SubhanaHu wa TaAla. (سبحانه وتعالى)

One of the Western doctors in a health summit said, "your genes are the gun, but only the environment pulls the trigger." Just because we have the gene doesn't mean we will automatically get sick unless we do what it takes to 'wake up' those genes or "pull the trigger." That resonated with me so much, knowing I had the cancer gene, and I felt a lot of peace with that, knowing I could have passed the gene on to my kids.

That's why I try my hardest to teach them about their health (mental, physical, and spiritual) as much as I can so their little bodies keep off / protect themselves from anything that can go wrong in their bodies. I had to learn to teach them. I'm still learning. And, I'm still teaching.

Come what may in life, with so many variables, Allah Tala is the only constant we have. So much peace and serenity come from knowing your religion and having faith. It is part of the healing process and makes the journey more peaceful. That has been my most favorite Ayah in the Quran since learning it as a student. -It is in the remembrance of Allah that hearts find rest (Quran: 28: ar, r'ad) -

الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (سورة الرعد: 28)

I've learned so much from this blessing and have been able to help so many along the way. I've met so many wonderful people. And from what I've learned about health and researching it, I've been able to help keep my family healthy, Alhamdulillah's. The latest and greatest information I knew about breast & ovarian cancer is they stem from the liver.

According to ancient Chinese medicine, these two cancers are a severe form of liver channel dysfunction. It's believed that the liver is the emotional center. Thus, these two cancers occur when the liver is overloaded with negative emotions that have been bottled up, along with an overload of stress. Therefore, sometimes women who suffer from these cancers have their cancer come back because their underlying issues have not been tended. They continue to hold on to stress and internalize their emotions rather than letting them out.

Ultimately, everything happens by Allah's Will. Life is a learning opportunity to find your voice and take care of your gifts from God, your body, and your health. Your body is unique and so resilient. It can recover from anything, from a papercut to amputation to an illness. I genuinely believe that we face challenges in life to learn from them and help others going through the same thing. It is a very humbling feeling knowing you are helping alleviate some anxiety, stress, and fear from someone's life. It centers you, and you remember you have a purpose.

I've learned so much about health during this journey. I thought I knew 'enough' about healthy living until I researched it. I was floored; there's so much out there to gain from; physical and mental health is so important.

waving bye to my family. It hit me. I've wanted to go to Hajj for a while but 'couldn't' leave my kids. Now, here I am, being forced to leave my kids because of a medical situation, and not for God. Allahu Akbar. It was then that I decided I would intend to go to Hajj the following year, God Willing.

My kids would be ok because God is always watching and always protecting. Ameen. That was a big lesson learned.

During my hospital stay, I was finally able to do what I intended to do for my children since being diagnosed in 2014. I wrote them a long letter, from me to them, to always have a reference to go back to, because I know I will not live forever. No one will; it was almost like a 'farewell' letter/manual on dealing with life. I tried to explain so much to them and share with them as much as I had learned in my short, sweet life. Writing it was hard. It was emotional. It was relieving. I didn't edit it on purpose; I wanted it to remain from the heart, with no need for perfection. There's no such thing.

I found myself

Looking back, sometimes, I still wonder why we didn't take heed when my family was diagnosed with cancer, and we knew how rampant it is on my maternal grandmother's side. But somethings we are not to know, and that is ok. I'm currently taking the oral chemotherapy, and all praise to God All Mighty, it is, with His Will, working. It has been quite the roller coaster, especially as the world is trying to navigate COVID-19.

I continually try to be optimistic during this entire trial because once I look at things more carefully, things work out in our favor and benefit. He is The Best of Planners. And He is our Walli, our Wakeel.

From the darkness, there has been so much light. I could have so easily gone the other direction and become a negative, life hating, bitter, unappreciative person, but gratefully, I did not.

I feel so blessed. My connection with my Lord and Creator has been reestablished and strengthened, and He comes first. I felt so guilty, always putting Him on the side; how dare I? But now I'm stronger than ever, and I am eternally grateful.

longing to go back to visit everyone. I also miss the landscape and weather, of course.

Our first year in Illinois was great. It was exciting. We didn't, and still don't, really know that many people here, which was/is a good thing because we have grown closer and closer, being just us four together.

In February 2019, I felt a lump in the same place as the first lump was four years ago. Long story short, it was a recurrence of breast cancer. At first, they have told me it wasn't. That was an emotional rollercoaster. But this time, it has metastasized in my liver and my back.

I was put on an oral chemo pill and a couple of monthly injections. Things were looking good. But, in January 2020, we found another lump in the same place. Cancer outsmarted the medicine and was no longer responding to them.

At the oncologist's suggestion, I was put on a Case Study with another oral chemotherapy and immunotherapy infusion. I was very eager for the immunotherapy because I heard great things about it. Unfortunately, my liver did not tolerate the immunotherapy and became too inflamed and 'annoyed.' I was put on increasing steroids and immunosuppressants levels since March 2020.

In April, I was admitted to the hospital for four days to get a high dose of steroids to calm my liver down. It is now November 2020, and I am in the final weaning stages of being done with those medications but have developed autoimmune Thyroidism from the immunotherapy. The hospital stay was a mix of prison, hospital, and hotel all wrapped up in one. It was quite an enlightening stay at the hospital.

I was able to do a lot of thinking. At the beginning of the autoimmune hepatitis diagnosis, I knew that it could be possible I'd have to be admitted to the hospital if the liver enzyme numbers kept going up. But I always hoped I wouldn't have to be. God had better plans for me than I could ever plan for myself.

It was hard for the boys to drop me off at the hospital, and it was hard for me to leave them. But as I was walking the hospital hallway alone and

In 2016 I had the second phase of the reconstruction, but gratefully, it didn't take, so I did not end up with implants. I didn't want implants in the first place. I succumbed to others' pressures, but I prayed and prayed and prayed for God to guide me for what was best.

When I woke from the anesthesia and found that I was 'flat,' I was so happy! Every woman has her reasons for getting implants and for not. I didn't want them because I was done with doctors and didn't want to have any more 'unnecessary' surgeries if I didn't have to (implants need maintenance).

When I gave in, I agreed to saline (saltwater) implants but not to silicone implants. Because of that choice and because I was such a large chest size (34H) for such a petite person, the surgeon couldn't get a finished look to look even 'ok.' So, while I was knocked out on the operating table, he and my husband had to write up another contract where my husband had to sign that it was ok that I didn't have implants. Looking back, it was funny, but it wasn't funny for my husband or the surgeon at the time.

In March 2017, I had a full hysterectomy at my oncologist's urge to prevent future breast cancer recurrence since I have the breast cancer / ovarian cancer gene. Again, my amazing parents came to help us. Praise God, the surgery went smoothly, and the recovery was excellent. I was happy that I had one less doctor to visit and no more ultrasounds and anxiety for those checkups.

It's awkward to think of what I am. I mean, I have no breasts, and I have no ovaries, no fallopian tubes, no uterus, no cervix. I mean, I know I'm a female, but wow.

In December 2017, we moved to Illinois for a new position my husband accepted at another company. It was great because we were now a drive away from each of our families, instead of being an airplane flight away. The move was stressful, as are all moves for everyone. It was hard to say goodbye to our dear friends in Washington; many fond memories, amazing friendships, and bonds were made. Gratefully, we keep in touch and are

used to call me “half hair half legs” because my hair was so long. Zaina was always known for her hair and her chest. It’s amazing how we can have something one moment and lose it so quickly another.

My mother had to return to Windsor after my 3rd round of Chemo for her checkup, and then she came back to be with us for my last round of Chemo in January 2015. I still had to go every three weeks to get my hormone blocker infusion for one year. My mother would go back and forth for many visits to check on us and because she developed a deep bond with my boys and longed to see them. Noah and Isaac were beyond attached to her, and they still are to this day. My sweet father would come whenever he could, and the boys loved it when Jiddo would visit.

When I got diagnosed, I reached out to the Muslim community, where we lived for their dua’a (دعاء). A couple of ladies went above and beyond 'just' giving dua’a (دعاء) and prepared meals for my family during my chemo infusions. I am grateful for them forever.

One of them was the Director of Women's Affairs at the Masjid, and she urged me to return to the Masjid to pick back up my attempt at hosting a "Mommy & Me" play date program at the Masjid. When we first moved to Bothell, Washington, I contacted the Masjid to see if they had a program where moms and little ones met to socialize and gather.

They didn't have one but said I could start one. And I did, it was cute, but it didn't take off. The one mother who consistently came with her little girl was the other sweet sister who cooked for my family. So, once I got my strength back, I picked back up the "Mommy & Me" program at the Masjid, and all thanks to God, the program was a success. It took time to grow, but it did and was a favorite program at the Masjid.

That's where I met so many of my friends, and my bond with the Masjid grew. It was great to have another satisfying purpose...and to finally satisfy the longing to go back to the Masjid and have a connection with my faith. And to have my children grow in the House of Allah.(الله)

In 2014, I had my one-year post-delivery checkup with my OBGYN. I delayed that visit because "everything was fine," and the one-year mark would be during my visit home to Windsor. Isaac just turned 15 months old, and Noah had just turned three years old. At the checkup, my doctor found a lump during the breast exam. Given my family history, she wanted an ultrasound to make sure it was benign. I didn't think anything of it and thought it was just a plugged milk duct because I was nursing at that time. But, when the ultrasound result wasn't clear, they wanted a mammogram, and when it wasn't clear too, they wanted to do a biopsy, then I began to worry.

Alhamdulillah, I was able to confide in Huda. I was scared to tell my parents. It confirmed it was indeed breast cancer, right after my 34th birthday. Happy Birthday to me!

I allowed myself to have a moment of tears after the initial shock. But then, I "turned on" my business administration brain and wanted to take care of this. I was young and had two young toddlers to live for. I went through the same procedures as my sweet mother did two years before. Telling my parents was the hardest. My dear parents came to help during the surgeries. My father had to return to Canada for work, but my mother stayed with us to see me through chemotherapy.

Countless doctor appointments, a double mastectomy, and the first phase of reconstruction surgery happened in a blink of an eye. At the beginning of November 2014, I had my first round of chemotherapy & hormone blocker (Herceptin) infusion. By the end of November, my thick, gorgeous, amazing hair was no more. We were hoping I wouldn't lose all my hair, but the Chemo kills everything, so why wouldn't it kill all my hair? It was so difficult for my husband to cut my hair off. But He did, after all, he loved my hair, he married me for my hair. I needed to cut the hair off because it got to the point where I felt like my head covered in fire- and ants crawling all over.

It was so hard. "Losing" my breasts were not as hard as losing my hair. I got emotional when I showered and realized my hair was 'gone'. My Father

convenience of breastfeeding! I called it meals on wheels. When I would have to leave a room and thus leave Noah to pump for him as a baby, it would break my heart. I hated leaving my child to pump. But now, I was able to nurse anytime, anywhere. Oh, my goodness, what a breakthrough. That's when I realized why I would get so many accolades for exclusively pumping for 15 months. It's hard work!

I still see it in my mind, a little after Isaac was born, the delivery doctor came to the room, and she was monitoring me. She was happy that I was delighted, but she said that I shouldn't act the way I was acting for the amount of blood that I lost. She had me do a scan and blood work to make sure I didn't need a transfusion. Thank God I didn't, and I was fine.

Being a mother to two little guys has been the best gift of all my gifts. They are my inspiration and my driving forces. They are my life. I understand so much more now that I am a parent. I know what 'worry' means and how worry changes as the children grow. A part of me would love to have another child, to be able to apply what I've learned from my first two to the third child. As the saying goes, "If I only knew then what I know now!" but I am eternally grateful for my two priceless blessings. I pray I do them well in every way. Ameen.

God's Gift

While in Washington, we met many wonderful people and held them very close to our hearts. Not having anyone there, then connecting so well with the friends we made, made us all like family. Life was seemingly great. We naturally had ups and downs like everyone endures. But something big would happen that would change our lives dramatically ... It was something scary at first, but something that returned my strength, my voice, my confidence, and most importantly, my connection to my Lord and Creator. That something was the gift of cancer, breast cancer.

with her sister. She would spend all her time taking care of her sister as best as she could.

Our move to Washington happened when Noah was nine months old. It was exciting. Everything was working out, everywhere, in Windsor and for us. Ever since visiting Vancouver as a teenager, my dream was to live on the West coast, and I finally got to go back. I love the mountains and greenery. We lived in the Greater Seattle area for almost seven years. Five months after moving there, my Aunt ((خالتي)) passed away. Her cancer had spread to her brain, and she was enduring so much hardship. It was a bittersweet time, bitter because of her passing, and at the same time, sweet because I just learned I was pregnant.

We had our second child, another boy, Isaac. Noah was almost two years old when Isaac was born. It was my first time away from Noah since he was born. That was so hard for me. He was in good care with our dear friends, but he wasn't with me. Before we knew when Isaac would be born, my parents had booked their air travel for a specific date. It's so hard to schedule these things. I was so worried he would be upset with me and think I had abandoned him when I returned home. But he was happy to see me and happy to go back home! He was with our friends for two days, and when my parents came right after I delivered Isaac, they took Noah home for the next couple of days until I was released from the hospital. Isaac was born after laboring for three days. We tried to have him naturally, but I was not dilating. So, after another C-Section and gratefully no complications, Isaac was born.

Poor little guy, he had a ring on his head from where he was trying to push out, but my cervix wouldn't open. I was nursing him as best I could, but he was also having latching problems, so that I would supplement with pumping. It wasn't until the 3rd lactation nurse came to check on us that she realized he was tongue-tied, and that's why he couldn't latch. I was prepared to pump for him as I did for Noah exclusively, but after Isaac got his tongue snipped and finally was able to latch, I realized the ease and

It's a fantastic feeling having a child. They love you no matter what, they need you, They're adorable. They are part of you. Noah was my best friend. It was just him and I all day together. I remember how nervous I was going out with him alone for the first time.

We were usually limited in how long we could be out because I was exclusively pumping breast milk since he couldn't latch. Looking back, he could have been tongue-tied. I pumped my milk for him until he was 15 months old.

I had a stand-up freezer full of extra breast milk for him by the time he was six months old, but he wouldn't take it because it tasted awful. It smelled like soap and tasted like frozen green beans. It wasn't until after filling the freezer and realizing how the milk turned that I researched it and found the fat globules separated from the milk, and the enzymes produced the smell. The milk itself was fine, but the smell and taste were not. I should have tested my first bag before I immediately just pumped and froze extra milk, but, as a first-time mom, life was a learning experience. It was hard throwing all that milk away.

It was hard exclusively pumping, but that's all I knew, and it was fine. I much valued being able to give him my milk, and I loved how he loved it.

Out of the blue, my husband's work requested he move from Iowa to Washington State, where the head office is. Noah was only six months old. A little after we visited Washington to house hunt and secured everything, my parents told us my mother had breast cancer. That hit me hard. How could I move when my sweet mother was going through all of this? Gratefully, Noah and I were able to be with her during her recovery from her double mastectomy. Having her grandchildren (Noah and my nephew in Windsor) around seemed to help her healing process. She underwent intense Chemo and then a hysterectomy. It turns out she and my aunt carried a breast cancer / ovarian cancer gene from their mother's side. I never appreciated how strong of a fighter my mother is until her cancer journey. I am in awe of her. She would have her chemotherapy and then go to the hospital to be

We only had to wait ten months. I remember being emotional at work one day about why it took 'so long' to get my Visa, and a friend from the Research Centre consoled me. He was married with children, and his wise words were, "Zaina, trust me, God loves you to be giving you more time before you have to move away. Marriage is difficult. Trust me. Enjoy your time." I made the best of it and enjoyed my 'last days' of freedom while I had them. Yet it wasn't until after I visited my husband in Iowa that my friend Ahmed's words rang in my head often afterward. Reality struck me. After you're married... that's it... you're married! I cherish(ed) my family and friends and lifestyle, so I knew to 'soak it up' as much as possible.

"Life" took me from being single in Canada to being married in Iowa, USA. My husband lived there for almost all his life and had many friends and family there. Everyone there was so kind, and I appreciated everyone. In the two years there, I got my Green Card, started work, got pregnant, and became a mother. During my pregnancy, my Aunt (خالتي) in Windsor was diagnosed with metastatic breast cancer. It had metastasized in her lungs and back. She also had a tough life and went through a lot, as did her mother, this was hard on the family, but I didn't understand its severity. My aunt was a fighter; she had a challenging journey ahead of her. It was very hard on my mother, seeing her sister go through all of this; my aunt had three kids, ranging from 10 – 16 years old at that time.

My son, Noah, was born shortly after her diagnosis. Becoming a mother was an amazing gift. It wasn't until I became a mother that I could truly empathize with my friends and family. I finally felt what they felt, and it was the most priceless feeling ever.

I remember being upset with a friend's words when I was single and visiting her; she said, if you love my kids, wait until you have your own. At the time, those words hurt because I genuinely love her kids. But, when Noah was born, I 'got it.' Her words resonate with me, and I've even said that to friends who haven't had children yet.

Looking back, my life before marriage came in very handy. Since I lived such a respectfully free life thanks to my amazing parents, I got married without want or longing for anything. I lived my life and was ready for the next chapter. How it's said in Arabic, "my eyes are full." I didn't have any negative feelings or any remorse that I was missing out on my life because I got married too young. I was married at 29 years of age; four months shy of turning 30. Yes, we had/have ups and downs, but every marriage does. I have yet to encounter one without any. My husband and I have been married now for 11 years and have two amazing boys together (ages 9 & 7). Alhamdulillah's, (الحمد لله) Tabarak Allah.(تبارك الله) My boys have gotten me through so much and are among my top reasons for not giving up & keeping going. Alhamdulillah, I am blessed with these priceless motivators.

New Chapter

It was February 2010 when I entered the USA with my Visa. It was so bittersweet. Leaving my amazing parents and my brothers, extended family, and friends were so hard. Yet, starting a new chapter with my husband was exciting. I eagerly awaited my family's visits to see us. My husband lived in Iowa. My Visa took almost a year to get, along with a trip to Toronto for the Visa preparation (and at last-minute vaccination right before I had to catch my train back to Windsor!), and a trip to Montreal for my interview at the Consulate.

While I was awaiting my interview in the waiting room, I met a couple (she was American and had her children from her first marriage, and he was Canadian and had his children from his first marriage). They were waiting for years for their appointment. I felt so bad for them to have had to wait so long. Then I realized all of the talks I was getting from people, saying that we were being discriminated against for being Arab or Muslim. I didn't have any substance because here I was, looking at a white couple who were waiting years for their appointment.

first friend ever since Kindergarten, recommended my husband that it was my 'Naseeb' ((نصيب) to get married. Only because the 'referral' came from her, I said, okay, I'll give it a shot. Like all the other guys I was set up with, I didn't think the courting would last with him. And I was okay with that.

There was even a time I told myself to end the relationship. I can still see it: We were driving back from a football game in Detroit. Everything I said I wouldn't marry, he was; he's the eldest, wasn't in the same area as my family (he's American), his sister wasn't married at the time, and he was/is a workaholic. That bothered me the most. But, when things are meant to be, we have no control. They just become. In our first meeting, I felt like being interviewed! But I didn't care, remember? Because this wasn't going to last anyway, haha! Our courting was fast. We met in July 2008, and we got married the following April 2009. The wedding was beautiful – simple & elegant.

I have learned a lot from my husband, Adam. He's taught me so much about life and topics in general. I'm most grateful he's taught me not to be so apprehensive or reluctant to try something new. He's been through so much himself, and he's so wise and confident in ways that I admire. He's a very hard worker with a wonderful ethic to him, MachaAllah ((ما شاء الله)).

Growing up, my mom would say, "You Canadians!" when she would get annoyed or frustrated with the culture. I would be a monkey and speak back to her, "Well, if you don't like it here, go back to your country" in a sarcastic way. After being married and moving to America, we visited my family. It felt like it took forever to get the ok to cross the border and not nullify my application for a Green Card. So, back at 'home' during a visit, I was complaining about America. It was as if my mom was waiting for 30 years to say this finally; she gave me back my sarcastic comment - "*Well, if you don't like it here, go back to your country*" - It was quite the sting! But, as they say, what goes around, comes around! We had a great laugh, and I was so proud of my mom for shooting that back.

After graduation, I moved to the Greater Toronto Area to live with my Aunt (خالتي) and her husband while working at Hallmark, Canada. I loved my job there, but I needed to be back in Windsor to be with my family. Back in Windsor, I got a job at the University, managing an engineering research center for two professors who were also married to each other, Dr. Huda El-Maraghy and Dr. Waguih El-Maraghy, of the Intelligent Manufacturing Systems (IMS) Centre. They are Egyptian Muslim, and so that was a vast work perk/benefit.

I never had to explain my holidays and my 'prayer room' was always ready. They did so much for my personal growth and intellect. My Father even said when it came to choosing between that position and another position I was offered at the same time (Regional Sales Manager), to take the University position since my brain was going to expand. And that it did! I had such a dynamic role. I was blessed to be able to apply to almost every realm of my Business Degree and get an honorary engineering degree, too (I'm kidding). I did everything from the simple to the challenging; payroll, grant applications, editing journal papers, books, dissertations, organizing and executing conferences, and managing three research laboratories were among the many responsibilities I had. I loved them all. I meshed well with the entire group and have only fond memories. Work is work, and there were intense and stressful times, but always a pleasure and such huge learning curves every time. Being there also got me to travel to Montreal, Toronto (twice), Cairo (twice), and Alexandria for conferences we organized and put on. It was fabulous! I often reminisce those days at the Research Centre. God Bless the Professors I worked with and the students. Life was perfect. I was Miss Independent. I made my parents proud, and that was the most important thing to me.

I honestly wasn't looking to get married. I was content in life and didn't 'need' a husband to fulfill or supplement my life. I didn't want to get married. I wanted to work, be independent, take care of my parents, retire in my house, and spoil all my friends' children. It wasn't until Huda, my dear

to see how upset my mother was. I remember seeing my mother sitting on the floor crying after prayer one day a little while after my Teta passed away; I asked her what's wrong, and she said, 'once you lose your mother, nothing matters.' I knew then cancer wasn't a good thing.

Growing up, I made lots of friends. I currently keep in touch with only three friends from school: Huda, Chaza, and Dania. Huda, I met in Kindergarten, and Chaza and Dania I met in High School.

Huda played matchmaker with my husband and me. She has been there with me every single step of the way in my health journey. I went to Chaza's wedding in Amman, Jordan, in 2005; I had the time of my life. An amazing time that when I came back, I was in a rut trying to get back to the usual 'work & home, home & work' lifestyle. Dania and I have been through so much together; she's the sister I was gifted with from outside of my bloodline. We even have the same birthmark on the same part of our bodies.

After high school, I went to the University of Windsor and graduated with a Bachelor of Commerce Degree, focusing on Marketing and Operations Management. My goal was to become the Vice President of Marketing for Nissan Canada. I loved cars and could talk about cars all day. My University days were my most favorite of my educational days. Independence was priceless. I worked hard to get good grades and to graduate without any debt. Praise God I was able to do that.

I started working on my 16th birthday at a fast-food restaurant; my 16th birthdate was my first day of work. When most kids are partying and having celebrations, I was working, and I was happy. When I was 14, Ami عمي)) and his wife in Vancouver gifted me with a plane ticket to visit them. I had traveled a bit before for school and family trips, but nothing like Vancouver. I was bitten by the travel bug and wanted to go back so badly. Thus, a good portion of my pay was in savings for another trip to Vancouver. That following summer, before I turned 17, I went back and had another fabulous trip. I worked through high school and University and loved how it taught me so much. I was good with managing my money, very responsible, and it helped a lot.

As every mother usually is for her daughter, my mother was always hopeful that I would get married. I always reassured her that I'd rather be "single & satisfied" over "married & miserable." My life experiences pre-marriage was wonderful. I naturally reminisce over them. It was a simple and carefree life full of freedom, knowledge, experiences, and learning. It was simple – It started with "school & home, home & school," then graduated to "work & home, home & work"... simple, but satisfying. I would shop when I wanted; I enjoyed nice things (quality over quantity). I would visit friends, went to restaurants, visited the Masjid whenever I wanted, and just had fun. One friend told me I had the life they all longed for. Alhamdulillah for everything.

I was born and raised in Canada. I love Canada. When growing up, I wasn't around very many ethnic people, but I never felt 'different'... except when an older boy at school would make fun of my hair every day, and I had to beg my mom to keep taking me to the hair salon. The ironic part was the boy was also of Lebanese descent like me! Eventually, we gave up and just ignored him. Now, no country is perfect, but Canada is a great place to live and grow up in. It welcomes diversity and culture.

We moved a lot growing up, so I went to a few elementary schools. I became a professional at being the new kid until high school. Perhaps that is how I 'survived' high school. I grew up being a "floater" where I was friends with all the different groups of kids, and they all liked me.

It was in high school that I encountered my first experience with death in the family. My Teta, my Mother's Mother, died of Ovarian Cancer. Her mother also passed away from cancer. I watched her go through the pains of Chemo; science wasn't as advanced back then as it is today. All her sisters in Lebanon were either diagnosed or passed away from breast or ovarian cancer. Poor thing, she had a hard time. She went through a lot in her life, like wars, a problematic marriage, miscarriages, family arguments, among other things. It was my first funeral. It was hard to figure out emotions and

I wish that women understand and live their life, knowing that we all have had or are going through our own journey and having compassion for one another. As the saying goes, do not judge someone until you have walked in their shoes. Another wise saying goes, 'treat others the way you want to be treated.'

Can you imagine what a kinder world we would have if we realize we are a true sisterhood and that we are not alone in our struggles and paths? Regardless of faith, culture, status, anything, and everything, we are all connected, and we are all related; we are all one big huge (dysfunctional) global family.

Me and my Mother

I was born a chubby baby in 1979 to a pair of young parents. My mother was new to Canada from Lebanon (19 years old), and she didn't speak any English. It was her first pregnancy, and her labour and delivery were hard. She had to endure most of it alone since my father had to be at work. It took 24 hours of labour to realize she needed a C-Section. So, when I was in labour with my first child, the pains of labour weren't what brought tears to my eyes; instead, realizing what my sweet mother endured to have me is what made me shed those tears. I labored with my son "Noah" for only 16 hours before I delivered him via C-Section.

Pre-marriage, I lived like a princess. I am very blessed to have the parents and family I was gifted with. Everything I needed or wanted I got, but they never spoiled me. They taught me to think for myself, never be intimidated by others, always remember I am not better than anyone, and no one is better than me. They encouraged my education, travel, career, and even in my purchasing my own house. Yes, very atypical of a single Arab female, but I was adamant that I wouldn't fall into the same marriage 'trap' as my friends did.

Chapter Nineteen
"Perhaps You Dislike Something Good for You"

وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم

BY

Zaina Batal Seede



في قصتها "وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم" تتحدث الكاتبة الكندية اللبنانية الاصل زينة بطل سيد عن حياتها وشبابها وحبها للحياة والعمل، وكيف التقت بزوجها وانجبت طفليها نوح واسحاق. كما تحدثت عن تاريخ اسرتها في الإصابة بمرض السرطان، وعن تحدياتها مع مرض السرطان الذي أصيبت به بعد أن أنجبت طفلها الثاني وكيف أثرت العمليات الجراحية والعلاجات التي خضعت لها على صحتها وأفكارها وحياتها، وختمت قصتها بمقارنة حياتها بما قبل المرض وما بعده، ومعاناتها التي لا تزال قائمه مع المرض حتى كتابتها لقصتها هذه، ولكن أملها بالله بالشفاء ما زال كبيراً رغم كل ما تعرضت له من عمليات جراحية ومن أنواع العلاج المتعدد

True indeed – Every woman has a story to tell. I believe that from the stories of women, movies are made, songs are sung, and art is created. Some women have intense stories full of ups and downs; others may have more calm stories full of life lessons to share with others to help them along a journey. God knows.

grow, and help others do the same. We can't control what happens to us, but we can control how we react and extract from each experience.

I'm not there yet, and I consider myself a lifelong student of life's lessons. I believe there's always more to know, better to show, and further to grow. Best of all, I learned how to be vulnerable and bravely share my experience so that other women can find the strength to pave a better path for themselves and the next generation of empowered women. I extend my hand out to you to dare you to peak through your curtains and extract the best from the worst.

About the author

- M.B.M received her dual bachelor's degrees in both Physics and Psychology at Rutgers University.
- M.B.M has an online coaching business and is awaiting approval for her Hijab design patent.
- Meanwhile, she enjoys sipping tea while reading the latest science fiction novel.
- She loves to paint, wear black, write poetry, and make children laugh. And she published a few children's books.

I' am not broken. I am not ashamed or disabled. I am just learning to be strong

These used to be my worst memories. Today, I can happily look back and say these experiences have led me to find a better path than I could have imagined. I later reconnected with my beautiful childhood friend. I was ecstatic to find out that she named her daughter after me. She said she would never forget how a 3-year old stood up for her.

Because I spent so much time in the art closet, I ended up paying my way through college by auctioning off my post-impressionist style paintings. I later learned how to tough it out and run a business independently, without needing or wanting to lean on anyone else.

Being autistic – before - meant me believing everyone when they spoke, trusting everyone when they promised, and thinking that people can be understood (solved) like a formula.

Now it means to me making boundaries and saying "No" when I need to. I give people only one chance and dare them to prove they deserved it.

I AM no longer care about fixing others or hoping they will change. Instead, I invest in myself and the change I want to see. I've learned that everyone is responsible for their growth, and it is not up to us to change someone or fix them.

Women are not rehabilitation centers for men who were not brave enough to grow out of their fears and circumstances. They also have a choice to be better or worse when dealt with life's blows.

I've learned the hard way that some people don't deserve that second chance. It's good to forgive, but it's not okay to allow others to devalue you. You should never attempt to save someone if it means destroying yourself.

When someone shows you who they are by actions, please don't search for comfort in their empty words. I've learned not to be ashamed of someone else's mistakes and hide in the shadow of their ill doings.

I no longer feel shame and regret when I remember these moments. I feel grateful that God has given me plenty of opportunities to better myself,

That was the closest I got to losing my mind. I became obsessed with relationship books. I would read them and take notes like a madwoman trying to figure out how to make water float. I ended up helping many friends with their relationship issues, but I could never get my own to be better.

As friends would rave about their newfound happiness, they'd send their friends with marriage issues my way. I ended up making a marriage coaching website and charging by the hour due to the requests pouring in despite helping many friends with their relationships.

I finally concluded that my marriage was not in shambles because of my lack of effort, but because of the person, I married. I never lost him because I never actually had him. He lied his way into marrying me and dropped every effort once he applied for his green card.

I quit my job, filed for divorce, and booked a one-way ticket to my dream destination half-way across the world. I thought it would be hard and that I would be sad at the end of the relationship. Little did I know I sprouted wings and a smile that hadn't appeared on my face for a long time. I was anything but sad. I only wished that I didn't give him a 2nd, 3rd, and millionth chance after the first time he showed me his true colors.

31 Years Old ~My story is still being written.

My parents raised me to be kind, generous, sincere, supportive, and see the good in others; it seems that this alone hasn't served me very well. Instead, I must go through a lot of pain and self-doubt. I've had to pick up on complementary and necessary hard-learned lessons through my life experience.

Sometimes, I see that being reasonable and fair means ignoring others' ugly parts of the relationship or their unattractive or destructive trait.

Often, forgiveness is used as a steppingstone for abuse and never admit the mistake they made.

Sacrificing years of your life, hoping someone will change, is not a generous act, but it's a self-destructive one. If it's not appreciated and if it with the wrong people

without changing out of my work clothes. I snuggled up with all the pillows and drifted to sleep. I was woken up by my husband slamming the door. I was going to wake up and say hello, but he was on the phone with a friend. I decided to wait for him to finish; the last thing I needed was one of his tantrums. He went straight to the living room, not knowing I had taken the day off and was in the bedroom.

"Listen, I'm going to give you the best marriage advice you'll ever get," he told his soon-to-be-married friend. Oh, this should be good, I told myself. I sat up, curious as to what the advice will be.

"Listen, this is how you break a woman." my mouth opened in shock. He continued, "You don't give them anything they want. If she wants flowers, don't get her flowers. She wants you to take her out, don't take her out. If she thinks she's beautiful, make her feel insecure." My eyes grew wide as he kept explaining to his dear friend how to get the maximum out of a woman while giving the minimum. He preached on to his friend how to abuse a woman without hitting her; that was, she couldn't prove anything. He explained to his friend, step-by-step, how to manipulate a woman into doing everything and expecting nothing in return.

Again, I thought he was going through a stressed period, and his actions were all a result of being in a country where he didn't know the language. I thought he was missing home, and this was a temporary phase. I didn't realize that his tactics all along was to mistreat me and that he deliberately wanted to break me.

I didn't want to end the marriage, so I confronted him and told him what I heard. I wanted to believe that the man I married would be back like a wanderer on a long journey.

He made many mistakes that year, and every time he erred, no matter how despicable, I forgave him. My forgiveness was miss understood and not appreciated. Instead, he took it as a green light to treat me even worse.

It was the morning of my husband's green card interview, and I had a bad feeling. We were sitting in the dimly lit waiting room. I looked down at my hands and realized I had forgotten to wear my wedding ring. "I'll be right back," I told my husband as I rushed into the women's restroom. I locked the door and called my Mom. "Hey Mom, we're about to go into the interview, and I feel weird about this. You don't think he married me for his green card, do you, mom?". My Mom told me not to interview if I had an ounce of doubt. I didn't heed her advice. I didn't want to create an issue if there wasn't one. I was not sure it was only a weird feeling!!

The next two years after we applied for his green card, things started to spiral quickly. He stopped making me coffee, telling me sweet nothings, and even his eyes began to change. He began to look like a different person. He would spend the evenings on his phone, scrolling away. I would make elaborate and special meals, set the table with candles.

He would carry his plate to the countertop and wolf it down, standing up. One day I asked him, "How's dinner?" hoping to hear a compliment word from him. He flipped the kitchen table in anger, breaking all the plates and spilling the food. His temper started to float, like a hidden crocodile waiting to bite. Anything and everything would set him off. Day after day, he began to look so different from the man I married.

He started taking an interest in my work schedule and planning his days, so we were not home at the same time. I hoped it was temporary. I'm sure the guy I married, lovely and genuine, and will come back any day now.

I would remember all the nice things he did and said in the first three months. I'm sure he'll be back; maybe he's temporarily stressed. Maybe? Perhaps I did something wrong? But I don't recall I did something that would harm him. All kind of - maybe and perhaps – went into my head while trying to calm, convince, and excuse his destroying behavior with me.

At the time, I was working at a dermatology clinic. It was a great job, and my boss was very sweet. One morning I was not feeling well and was having trouble sleeping. I asked to take the day off. I drove home and got into bed

In my confusion, I decided to call the bank in which this so-called business partner made the original bank account. To my horror, they told me he had made two accounts. One in which both our names were on, and another that only his name was on. He tricked me, stole all my money, and refused to speak to me.

I had no money left for buying my manufactured product. I spent the next three months brainstorming a way to make my design come to life. I finally found a crowdfunding site, launched my idea to the world and received a staggering amount of support. I received enough funds from supporters to manufacture my Hijab and ship it out.

A sizeable online clothing company reached out to me and offered me a deal for my design I could not resist. , somehow, with all the struggle - supposedly- was my friend husband put me through, I felt thankful that he stole my money because I learned one harsh lesson to be more careful. And it gave me greater confidence that I truly can achieve things on my own. I don't need a lying parrot to convince me otherwise.

28 Years Old ~ How to Break a Woman

My second marriage was Algerian, he seemed like a great guy, and my parents approved him. He was only in the United States for one year and didn't speak much English. He made me feel special, loved, and understood. I felt like we had a special bond. Mom was happy that he was a family friend and didn't meet online like my first husband.

The first three months of our marriage were bliss. He made me coffee in the mornings and doted over me. Every day was special. I felt like the luckiest woman in the world. I had once told myself that I would never be stupid and marry a man that did not have his U.S. citizenship. I saw so many girls get burnt, used, and tossed away after marrying a man without papers. I felt so happy that wasn't the case for me. There's no way my husband is like those "other guys." Plus, I'm no fool. I can tell he is genuine.

I didn't realize how much peace my diagnosis would bring me. I was misunderstood my whole life by others. What was more frustrating was not understanding myself.

27 Years Old ~ Together, we can succeed, or I can rob you

It was a great year. I had spent that year in my parent's garage surrounded by sewing machines, different fabrics, and an actual goal to make a better Hijab design. I had experimented with many designs and finally had a breakthrough design.

It had always been my goal to have an online business that I can run from any corner of the earth. I daydreamed about women thanking me for my design and asking for more. I squealed with delight at the thought of shipping off the final products.

It was two months before my launch when my friend's husband called me. He said he worked in the top marketing company globally and would help me any way he can. He commended my product and insisted that I needed him. He dropped names and made grand promises of making my business a success. I agreed to let him join. After all, he sounded like he knew what he was talking about.

He insisted on everything being official and right from the start. He opened a business bank account and urged me to put whatever money I had there to protect it. Something in my gut didn't feel right. I called the bank to ask whose name was under the account, and they mentioned it was both my name and his. I deposited every penny I had, reassuring myself that I had known him and his wife for years. I should be more trustworthy.

Two days passed by, and I had not heard from him. That seemed strange, especially since we had been in contact every day near the business launch. That same gut feeling I had when I deposited my life savings came back to me. I drove to the bank and tried to withdraw \$20 to ease my suspicions. The bank teller told me I could not withdraw any money as my name was not on the account.

wanting to have kids with me that hurt the most. If we tried and failed, I would be happy. He looked at me and rang the final nail on the coffin, said, "If you want to stay married to me, you have to be okay with never having kids."

I wasn't okay with that. I filed for divorce, packed my things, and left with a heavy heart.

Age 26 - Excuse me? I'm not disabled.

I decided to see a therapist after my divorce. I didn't want to be one of those bitter feminist divorcees that swore off men. I tried to find love again one day and not fall into the same mistakes. My therapist seemed nerdy, quirky, and very observant. We clicked instantly. I explained my extreme empathy to her, feeling like an outcast since a very young age, and my very obsessive interests, which always took over my life. She also noticed the pattern I often do with my fingers when I get nervous or anxious.

After six months of therapy, tests, and inquisitive sessions, my therapist announced my diagnosis. "You are Autistic," she said with a smile. "Excuse me? For sure, I'm not disabled." Is she crazy, Autism? Wasn't that a disability? How can I have been topped in my class and still be considered to have a disability? I didn't want to ask her any questions. I cut our session short for the first time and rushed home. I spent the next three days engrossed in everything Autism. Apparently, it was tough to diagnose in females due to the lack of research and studies.

As I read the symptoms and signs of Autism, my world made sense. My inability to read social cues, my obsessive interests, my extreme empathy. I felt like someone descended from the heavens and gave me a message on a golden platter that said, "You are not broken, you're autistic."

I found an online group of high-functioning autistic females, and for the first time since my 5th grade science fair, I felt belonging. Not to a country, a language, or a culture. but to people who had the same struggles, thoughts, and similar experiences. I was always ridiculed for not watching or reading the news, but now I know why it was so tricky with my extreme empathy.

His last promise to me was, "Let's go visit my family in Turkey so you can meet everyone. And I promise you after our visit; we'll try for kids." In my heart, I told myself that will be the last time I let him make that promise and break it.

We left for Turkey, and my mother-in-law was very insistent on us, giving her grandchildren. She announced one morning that she was taking me to the top gynecologist. That's when I realized that he hadn't told his mother he was the one preventing us from having kids. I decided to keep it under wraps and go along. That day my mother-in-law took me for a very painful scan and demanded to know what is wrong with me.

Our trip was enjoyable. We saw lots of cities. My husband's family was very kind to me. As beautiful as the trip was, I can only think of one thing: Going back home and starting a family.

It was our last week, and my mother-in-law arranged a huge family reunion. Tea was poured, distant relatives were introduced, and children played and laughed in the large living room.

My mother-in-law lifted her cup of tea to make an announcement. In front of everyone, she announced that she had taken me to the gynecologist. She continued to explain how she knew something was wrong with me as soon as she saw me. To my horror, she told everyone how we had been married for three years and still didn't have any kids. She spoke of my exam in disturbing detail, insinuating I had an issue and could not have kids.

I felt like a broken toy that no one wanted. I felt naked and exposed as everyone stared at me. I looked to my husband, waiting for him to correct her, to say something, anything. He stayed silent, smirking. I held on to hope that he would speak up and protect me, defend me, and explain that it was him that didn't want kids. It was him that took every precaution known to man to prevent us from having kids. He stayed silent. It was that very moment I knew that my marriage was over.

When we got home, I decided to give him yet another chance. I told him how hurt I was, how it's not even about having kids. It's about him not

21 Years Old ~ I met him online; he seemed perfect.

I met him online. He was Turkish, quirky, and had a lot to say. We had everything in common, down to which teas we liked sipping on. I began to think he is the male version of me. He seemed to understand me and honestly care, not like the nightmare I endured before. He didn't seem like the type to ever put his hands on me.

Mom insistent that talking to someone online was a mistake. "People who go online have something to hide," she would often tell me. "Well, it's not like the olden day, Mom. Prince charming will not show up on his white horse, knock on the door, and ask for my hand.

I have to be diligent and find that Mr. Charming myself." We were never going to agree on that; I just hoped she was wrong.

We had been married for three years; he was kind and gentle and seemed to care about me. There was only one problem: he didn't want to have kids. He suffered through his parent's divorce as a child and claimed never to want that to happen to his child. He would take every precaution out there to prevent us from having a child. Every year he'd promise that "next year, we'll try for a baby." With every wedding anniversary, my heart would sink lower as he'd state the same promise to buy himself another year.

"A wise person once told me not to have kids until you are certain about the person you are with," he'd tell me often. Well, that wise person was his father. The same father that bribed him with a 6-figure job to NOT marry me. I never knew why his father disapproved of me, especially since he seemed very nice to my face. It was hard for me to understand why a person would say something and not mean it. What was the point?

It reached the point where I would tear up when I saw a family standing in line in front of me at the grocery store. I started having panic attacks when I saw a couple with a child. My hands would start shaking, I'd lose my breath, and I would often have to rush to my car, where I'd gasp for air as tears streamed down my face. The panic attacks got worse and worse and occurred more often.

One Monday morning, he drove up to visit me. I was planning to show him my favorite spot on campus, a pond filled with hungry ducks and even hungrier students. He seemed distracted, and his phone had been beeping all day, and I wondered who it might be. As soon as I had a chance and he went to the bathroom, I peeked at his phone. I stared at the text messages my fiancé just received from an 'Anna.' I instinctively unlocked his phone and read: "Are you coming over tonight or should I?". I scrolled up through my worst nightmare. My eyes filled up with tears; I saw the lewd texts and pictures that dated back to before we had even met and throughout our 8-month engagement.

My fiancé walked in. "What are you doing?" he asked with an angry voice. I have never heard him speak in that tone before; his eyes looked different. My eyes started pouring tears, and I looked up to a blurry image of him. Before I can say anything, I felt a blow to my face. I sat frozen, terrified. It was the last reaction I expected. After five minutes of punches and blows to my face, he stormed out and drove away.

I suffered a broken nose and a black and blue swollen face. I wish this were the end of this story. Regretfully I avoided my family, lied about my injury, and continued to talk to him for another six months. I did not want to let go of my fantasy of getting married young. I was so ashamed and scared to tell anyone. What would they think? I also did not want to face the embarrassment of explaining why my engagement did not work out. I said to myself that I am sure he would feel bad for what he did. After all, he was physically abused as a child himself. It's probably a one-time thing. At least that's what I convinced myself for the next six months.

The abuse got worse and stemmed out into verbal and emotional abuse as well. The hours we had spent laughing and talking turned into hours of criticizing me. When the pain triumphed the shame, I burst. I told my parents everything; in fear, I might be tempted to go back to him. I finally ended an abusive and self-destructive relationship. Although the relationship ended, the effects it had kept eating away at my self-esteem like an insatiable monster.

By the end of the week, I didn't know what else I can organize in the art closet. I knocked on the Art room door. "Please open, please open," I thought. Ms. Darcey met me with a smile; she was expecting me. Without a word, she led me to the art closet, where she had set up a canvas and laid out pants. "That's for you, dear; I got permission for you to come here during lunchtime." Without thinking, I hugged her; she understood me so well. I spent the next years painting in my castle during lunchtime. No one knew where I disappeared to during lunch. It was a mystery they never cared to solve.

17 years Old ~ Who is Anna?

Before I graduated high school, I was engaged. He was Tunisian, Algeria's neighboring country. He was tall, handsome, and well-spoken. He was my first love. We would text each other nonstop and often spoke on the phone for hours at a time. Indeed, that was a good sign. We swapped childhood stories. I would tell him about growing up awkward and never truly feeling like I belonged anywhere.

He told me shocking stories of how his father would beat him as a child for no better reason than having a bad day. Bruises and black eyes were a common feature in their home, growing up. He would often tell me how he would never be like his father; he would never hit his wife or children. I believed him.

It started as a good year. I was finally in college, a welcomed change to the cliques I survived in high school. I was part of the robotics club and math Olympiad; I found my people. My fiancé would often drive 3 hours from Washington D.C., where he was finishing up his master's in engineering, to see me. He delivered pizza to make it through college. He sometimes asked if I could help him with his assignments because he was busy trying to make ends meet and save up for our wedding. I never said no and always did the assignments for him. I would later jokingly inquire about "my" grade later.

Mom, my sister, and I had our luggage spread out across the living room floor. Mom labeled all the gifts for my many aunts, uncles, and cousins. I was so excited. All those daydreams of being somewhere where I belonged and don't feel awkward were coming true! The plane landed, and we headed straight to my Grandfather's villa in M'sila, a homely village nestled between four mountains. I didn't think we'd make it, the way the taxi driver was winding through the mountain roads.

It was a fun summer reuniting with everyone, especially my loving uncles and aunts. They doted on me with attention, affection, and Algerian dinars, which I used to buy ice cream in the hot afternoons.

Although great memories were made, I was considered an American and an outsider. Unlike I anticipated, I didn't belong there either. I began to wonder, where did I belong?

15 Years Old ~ The secret close

High School years were a disaster. Most high schoolers enjoy the social aspect and hate the actual learning part of high school. I was the opposite. I enjoyed listening to my teachers, and I found peace in homework. The social aspect, however, was a minefield. Lunchtime was my worst-time. It was a colossal hormone storm waiting to eat me alive. I had minimal options on who to sit next to. After bravely attempting to make friends with the geek table, I was turned down.

One day my art teacher, Ms. Darcey, saw me in the cafeteria eating alone. Perhaps it was out of pity, but I was still ecstatic when she asked me to help her organize the art closet in the art room. I dumped my lunch in the nearest garbage can and followed her. I helped her manage the acrylic paints from the oil paints. I wanted to buy as much time as possible, so I offered to help her the next day. Every day I found something new to organize, not to have to go into that lonely yet noisy place they called the cafeteria.

tearful for the rest of the week. When I watched cartoons and movies, I always felt bad for the villains. "What if they don't have friends? Maybe they are lonely..." I saw myself in them, the outcast, the misunderstood. This same extreme empathy would later lead me down a path of forgiving people too quickly and way too easily.

10 Years Old ~ I Speak Nerd

It was my 5th-grade science fair. I won first place five years in a row, and now I was in the statewide competition along with my solar-powered toy car. I looked around at the other contestants. For the first time, I felt like I belonged. I was the only girl in the competition, but for once, I was not the only awkward, wide-eyed kid-filled to the brim with science facts and lengthy explanations. I spoke to the Asian boy whose display was next to mine. I showed off my car and explained how it converts natural sunlight into mechanical energy, which powers the wheels. He showed me his water filtration system worked. I smiled from ear to ear, wondering if there was a school for awkward kids like us. I bet I would be one of the cool kids if there were one.

As I stood up to present my science project, I had a newfound confidence. My voice was loud, my stance proud, and I felt ready for any questions they could throw my way. I won second place, and the Asian kid ended up winning first place, this was the beginning of my obsession with school and books. To me, each book I read became my friend, and I had many friends.

11 Years Old - Which Way is Home?

We hadn't been back to Algeria since I was four years old. Algeria was my mental escape. When I was eating alone in the cafeteria at school, I told myself it's okay because I might not belong here, but I knew I belonged in Algeria, where best my childhood memories were formed. Dad bought my Mom, my sister, and me tickets for a 2-month stay in Algeria.

like I didn't belong. I quickly picked up the language and practiced at home, but never in school. No one heard me speak that year. There were rumors that something was wrong with me, and my mouth "didn't work," as the other 5-year-olds put it. I sat in the duck-duck-goose circle during recess every day, hoping I would be picked. I'd imagine myself chasing the duck as my classmates cheered my name. That year I was never chosen, but I imagined going back to Algeria and playing duck-duck-goose with my cousins. I know they would pick me. I belonged there.

8 Years Old ~ She's a Weirdo

It was 90°F, and school was out. We were going to a bar-b-q in the park! My sister and I were so excited. Mom told us there were going to be many Algerians there, and some of the girls were my age. I wondered if they would like me. Maybe, just maybe, I would find a friend! Perhaps even a best friend! By now, I was fluent in English, but I still dreamed of a friend that would speak Algerian-Arabic.

In the park, families were gathering. Some women were pushing strollers, while others carried large trays of what I assumed to be yummy food. I lit up as a girl my age sat next to me. We exchange the four most important facts: Our name, age, favorite cartoon, and favorite color.

Her name was Sarah, and her favorite color was purple, like me! The more we spoke, the happier I got. I instantly wanted her to be my best friend. Before I got a chance to pop the question, a girl a year older than us came. Sarah ran to her and hugged her. I fixed my hair, waiting for the introduction. "She's a weirdo; let's not talk to her," Sarah said, pointing at me. I stared in shock as they walked away together. I ran to the nearest tree and hid behind it. I tear up quickly; maybe if they see me cry, they'll think I'm an even bigger weirdo.

I had always had extreme empathy. It sounds like a good thing, but it's tough to live with it. I avoided the news like the plague. If I saw just a flashing image of starving children or a hurricane, I would be depressed and

my most vulnerable moments. I am doing this hoping that you see you are not alone in your struggles, no matter how old, you are big or small.

We are presented with an exceptional opportunity with each hardship—a silver lining to growing into the best versions of ourselves.

3 Years Old ~ You're not dirty, you're beautiful

It was one of my first memory. We lived in Algeria, and I was going to a pre-school not too far from our red brick home. During playtime, all of us little girls would hold hands and run aimlessly around the playground. We never got bored with it.

One day the teacher announced we had a new student. She told all of us to be friendly and say hello. A dark girl with a fluffy ponytail walked in. I had never seen a girl that dark before, neither had the other girls.

That day during our playtime, we all held hands to play like usual. The girl reached her hand out, but no one wanted to take it. "You're dirty. I don't want to hold your hand", the oldest girl said in disgust. Everyone usually followed her lead, but not today. I walked up to her and whispered, "can I touch you?" she nodded her head shyly. I wiped my finger on her hand and then looked at my finger. "You're not dirty; you're beautiful." I stood at the end of the group and held her hand. She became my best friend for the next two years. A childhood friendship I will cherish forever.

5 Years Old ~ I want to be a goose

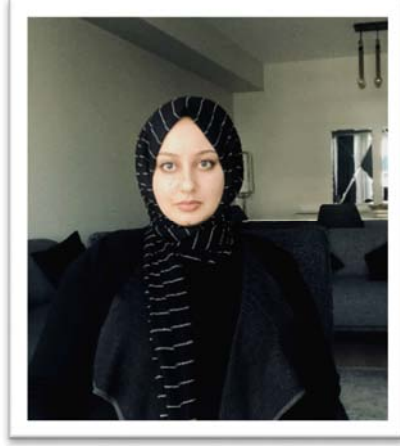
Although I was born in New York, I spent my toddler years in Algeria playing outdoors, picking flowers, and visiting my cousins. That's why when we landed at JFK airport, the culture shock hit hard. We moved into a one-bedroom apartment in Brooklyn. Dad built my sister and me curtains to separate our bunkbed from the living room. I had the top bunk, and it was my sanctuary. I filled it with my stuffed animals.

I soon found myself in a Kindergarten class, staring at other girls speaking English, a language foreign to my ears and tongue. I instantly felt

Chapter Eighteen *Peek Through the Curtains*

By

M.B.M



في قصتها -نظرة خاطفة من خلال الستائر -تحدث الكاتبة الشابة الامريكية الجزائرية الأصل M.B.M عن طفولتها وتجربتها في الحب والزواج، فعن طفولتها تحدثت عن عدم قدرتها على إيجاد الأصدقاء وعدم معرفتها لأين تنمي فلا هي بين الاطفال الجزائريين جزائرية ولا هي أمريكية، وكيف كانت تقضي استراحة الغذاء وحيدة في المدرسة أو في ترتيب خزانه الفنون التي كانت تجدها متنفسا لها من العزلة التي كانت تشعر بها. وتحدثت عن تفوقها الدراسي وحبها للعلم والقراءة. كما تحدثت عن خطيبها الأول الذي كان يخونها، وعن زوجها الأول الذي لا يريد إنجاب الأبناء وكان هذا سبب طلاقها منه، وعن زوجها الثاني الذي استغلها للحصول على الجنسية ثم بدأ بعدها في محاولة تدميرها نفسياً الى ان طلبت الطلاق. كاتبتنا سيدة اعمال ولديها مشروع لتصميم الحجاب، ونشرت عدة قصص للأطفال. وختمت قصتها بالدروس التي تعلمتها بسبب طبيعتها وصدقها، واعدة نفسها ان لا تعرض نفسها للأذى مرة أخرى.

Come and peek through these curtains. I warn you; It's not a fairytale. It's also not a pity party. These are the moments in my life that even those closest to me don't know about. They are also the moments that shaped me into the woman I am today. I have parted the curtains and let you peer into

society, but our kids don't understand that. We need to learn to step back a little, understand them, and patiently explain why it is okay to behave like that and hope they would understand someday. It is hard to raise kids in a different environment.

About the Author

- I am a 40 years old Uyghur born in East Turkistan, married with three children, Who lives in the United States; I am proud of my culture, tradition, and ethnicity
- After graduation from one of the Chinese universities with a major in Chemistry, I worked at one of the Medical Universities there. We came to the United States to get a Ph.D. degree.
- My goal now is raising healthy, educated children, learning the Arabic language, and how to read Quran

seminar by one of the Islamic scholars, he talked about the immigrants and said: "Don't worry about the third generation of immigrant people losing their identity, but work hard to keep their religion."

It struck me and made me sad at the time. It made me think deeply about why we are here. I believe we are here for freedom, better education, a better environment for our next generation, showing the world how we are, and letting the world know about the Uyghurs.

I remember one of the Uyghur sayings: "if you want to get something, you had to sacrifice something else." It saddens me to think that our next generation will lose their identity while achieving our American dream. But I didn't lose hope, and I kept working with my kids on their religion and their identity even though we have a tiny community with very little chance to use the Uyghur language.

Before 2017, many young Uyghur students came here to study; they are stuck here; they cannot go back, scared of losing their freedom. Some of their parents or loved ones were in the concentration camps.

We are hosting them, guiding and helping them, letting them know that we are here for them if they need assistance. On holidays, we invite them, so they don't feel lonely. We share our holiday traditions with them and teach our kids what we can do to help Uyghurs.

Even though my kids were not helping as I expected from them, I believe that in the future, they will know how to help because they were watching what we are doing

I believe every parent uses their best knowledge to teach their kids and help them grow up, even though they feel guilty, always thinking that maybe I didn't do enough. I saw many kids whose family is first-generation immigrants were confused when they grow up and get lost. Parents expect something from their kids, but they live in a society that expects something else from them

Because of our traditions, culture, and religion, we cannot accept some behaviors from our kids; the behavior might be expected in a particular

brothers and sister in Europe planned to meet up in Turkey. Our heritage is close to Turkish; our language belongs to the Turkic language system, so many of our people like to travel to or overstay in Turkey, while we cannot go back to East Turkestan. When we visited Turkey, it felt like our second homeland with Uyghur food, many Uyghur people, and very similar traditions.

Istanbul is the world's first-class tourist city, and I was surprised by the many tourists and many immigrant people over there. I was sad about our people that although we have similar culture and heritage to show to the world, we can't do it and so nobody knows us as we are genocide by the Chinese Communist Party.

In Turkey, we introduced our kids to Turkish culture and traditions, and they felt that it is very similar to the Uyghur culture. I wanted my kids to know how beautiful our culture and tradition are, identical to the Turks.

Whoever we talk to, the stories were mostly sad. Our people are going through many struggles and lost Connection with family in China, separated from their loved ones; the economic source was cut down, etc.

Luckily, the Turkish government didn't deport overstayed Uyghur people; otherwise, they would have ended up in a concentration camp or jail. But they are struggling and having hardship

We visited some orphanages where some good-hearted Uyghur people took Uyghur kids to teach them Qur'an. Those are the kids of parents or dads or moms who went back to China for various reasons and couldn't return to Turkey because they were sent to jails or concentration camps.

We also gave Uyghur youth a speech about how to be strong and never lose hope. My kids suggested helping those orphans' kids and orphanages as much as possible; we did make arrangements for that. I was thrilled with my boys' compassion for our people. I felt that I reached some of the goals I set for my kids after seeing them proud of being Uyghur and caring about their people.

Living in a different environment with teenagers than we grow up in, we face challenges every day. I remember in our early years in America, in a

made me disgusted, especially when he took out his dentures and scared me with them.

At the time, I was obviously grossed out and scared, but when I look back on it, it was fun, and he just wanted me to loosen up with him. I also remember when many people would invite us over, but I always got annoyed because I just wanted to stay in my room and play games.

Looking back, I should've been more outgoing and willing, but I never knew that soon I wouldn't ever be able to go back. I also played a lot with neighbors, such as water fights and jump rope. On the other side, I also had a lot of scary memories of my time there. Once, on one of my earlier trips there, I remember getting a cake for some reason and seeing a line of military and police cars parked on the side of the road. I got frightened and hid behind my mom.

When we were packing on our last trip to East Turkestan, I came across a video on YouTube that said how China sends people to jail who carry religious items, such as the Quran or prayer mats. I got very paranoid and kept on asking my oldest brother not to pack his Quran, to which he said, "Don't worry" and "They can't do that." So, the entire time we were in airports and planes, I always got worried that they might check my brother's bag and find a Quran, then send him to jail.

One of my most recent memories was when a police van came to our neighborhood to check if families had more than two children. I remember seeing some of my cousins having to hide because they had more than two siblings. Since I was the youngest of three, I got scared too. And I thought I had to hide. My mom calmed me down and told me that since we're US citizens, they can't arrest us for their two-child policy. That memory is still on my mind to this day.

After 2017

Since we couldn't go to China, we did visit Turkey, where there significant Uyghur population in the diaspora. In the summer of 2017, my husband's

To me, it's much more of a feeling that sticks around, an aura of another life. I feel flashes of the rustic countryside, filled with grapevines and luscious forests, peppered in with outdoor platforms where we would sit and have the local cuisine. When I was in the cities, I saw dusty buildings and straw houses surrounded by the hustle and bustle of small shops and scenes, bound together through a tight-knit communal tradition. However,

I could see Chinese urbanization creeping in, as skyscrapers loomed over me while construction was tearing down old areas. Later, I also traveled up north to Ghulja, a city located on the steppes. While we were there, we were guests to shepherd nomads who lived in yurts, and we took in the crisp mountain air. My relatives did the best to make me feel welcome and have the full experience, and I'll always be grateful for that.

My second son's experience in East Turkestan

Traveling back to the homeland was one thing that I always used to look forward to doing in the summer. My family and I used to travel there about every summer. When we were there, we were exposed to the heart of Uyghur culture.

All the traditional homes, crafts, and shops were all in the street. Going out to buy naan (bread) from the street vendors every morning was one of my favorite things to do. Also, one of my uncles took us on a long road trip throughout East Turkestan.

We went from the driest of deserts to the greenest of valleys. We experienced so much culture in just a short amount of time. Going back to the homeland every summer was something that I took for granted, as I miss going back there so much. Hopefully, Hopefully, I could be able to go back and relive all the fun experiences I had soon.

My youngest son's experience

My experience in East Turkestan was a fun time. I was four years old when I went to China for the first time; I only remember bits and pieces of my time there. I remember talking with my extended family at breakfast, massaging my grandma's back. My grandpa cracked jokes that sometimes

Later we learned that the Chinese government changed its policy in Xinjiang drastically starting from 2016. My relatives cannot even tell us what is going on. After that, we even lost communication, as it was dangerous for them if they talked to us.

With those great griefs and lost communication with our loved ones, our household had a different situation than before daily; We heard a lot of bad news about how badly our people were treated in China.

And our focus drifted. Instead of talking about the beautiful memories we had with our loved ones at the dinner table, we spoke of their sad news and our people's suffering in concentration camps. Those were when our kids are going into teenagers, and they needed more of our attention, support, and inspiration from us.

I tried to keep balance in our lives in our household while we are struggling ourselves. I kept telling my kids that our people very strong, and we will pass this catastrophe, this was repeated in our history, and we are still surviving. But we can tell that China has a different plan this time; they are determined to eliminate our people.

We don't know how to help our people in China since the government denied the existence of the camps and is very secretive about this, and journalists are not allowed to the region. We tried to spread awareness about the existence of 'Uyghur concentration camps' in the 21st century and help a Uyghur orphanage in Turkey.

We want to help ease our kids' growth into adulthood, but we can feel their sadness and confusion. They talked about relatives who miss them. And their goals of going back to East Turkestan for work after their graduation is destroyed,

Oldest son's experience visiting East Turkistan

My East Turkestan experience has been a deep one; I was not born or raised there, yet I have been there for the first time, and I still feel its influence today.

cities. Alongside those rivers have a lot of Jades which were found by our people.

North of the region is mostly green lands; in summer the weather is so lovely. You could see a lot of tourists in Gholja in the summer. Gholja is a magnificent city. It was my first time to visit the town too. My brother's friend welcomed us and toured us. He intrudes us East Turkestan times leaders of the revolution's tombs and folk heroes' town. I read about them before, but I was excited to be in their city.

Living in America close to the beach, forest, and mountain make our kids not easily satisfied. After many years of visiting, eventually, they fell in love with Uyghur land, and they were proud of being Uyghur. My oldest son wants to come back after graduating from college and work in East Turkestan. I was so happy hearing that as my hard work almost paid off. I believe that I did what I think best for my kids to prevent confusion and get lost when they grow up. We were excited waiting for the summer, so we could go to our hometown to be spoiled.

Losing contact with a loved one

My dad passed away in January of 2016. I could go in January by myself but could not see my father's face one last time. I was so sad; I don't feel like the luckiest girl anymore. Also, we lost my mother-in-law, who I loved dearly, in May that year. That summer, we were able to visit our hometown with kids for the last time. But we got different experiences; without a father, nothing is the same. While we were there, the situation was agitated, a lot of army in the street with tanks and checkpoints everywhere. They check all kinds of things, your phone if there is any Islamic stuff, sensitive words if you are wearing a hijab. The boys were scared also we are

The next year 2017, my mom said that our house is rebuilding, so they are not ready to visit them. I was surprised by this; we have a lot of places. My mom usually would love to see us visiting them every year; even she is willing to pay for our ticket to make it easy for us to visit them.

systems embracing two big basins, commonly referred to as "three mountain with two basins in between".

In the north and south, Altai and Karakoram Mountains, with the Tengri Mountains straddling in the middle and stretching from east to west, naturally dividing East Turkestan into South and North. In the south, the Tarim Basin lies between the Tengri Mountains and the Karakoram Mountains, and the Junggar Basin in the north, which lies between the Tengri Mountains and the Altai Mountains.

The exotic and unique geographical features have endowed East Turkestan with lofty mountains and plains. Dense forests and vast deserts coexist with basin and depressions; crystal clear glaciers and sparkling lakes with verdant meadows and beautiful oases, magnificent natural sights, and unbelievably rich natural resources all concentrated in East Turkestan.

We drove through the desert, red mountains with many minerals under, white mountain, which is the primary source of water in summer, vast grassland, and grass mountain. We stopped from time to time to enjoy those magnificent places while we were there. Even though there were dangers, we drove up to the high green mountain; it felt like going on to cloud.

It is a vast grassland on top of the mountain; some - Kazak people- live there. We visited their house, which looks like a tent, drank yogurt, and rode their horses. Because of the rain, part of the place is little mud which boys didn't get used to; nowadays, we miss many of those travels.

Our region's south and north have very different environments and weather. South of the area is close to the desert, it has many oil and minerals, and a snow mountain is the water source. Melted natural water from this snow mountain fills the rivers, which are -Tarm River- and -Qaraqash river-.

Farmers also use this water to do cultivation. Each city is famous for a different kind of fruit. Kids can tell by looking at the fruit which city they came from. They are very delicious and very famous. To inner Han Chinese

Desert, showing us what deserts look like, and taught the kids about the rich oil under this desert.

We can see Chinese people digging oil in the middle of the desert. 70% of China's gas came from our region. Also, we visited my husband's hometown to meet their relatives and for the kids to see their ' grandfather's tomb and made dua'a for him. My parents insisted on letting me give my boys a chance to visit their grandfather's grave.

We did the same activities each time we went to China, even though it was a long-distance by car. We had so much fun; we visited the house which their father grew up in, and visited three or four of my husband's families, uncle, and aunts; we ate all kinds of delicious Uyghur food in each house one day; the Boys picked fruits from the trees, apricot, pears, grapes, and mulberries and enjoy them. They could feed all kinds of house animals, sheep, donkeys, and chickens, in their little hands. My husband was not able to come with us on those trips. I was so happy for my kids; to have those experiences we had in our childhood.

In 2015, my brother and his sister took us to travel East Turkestan from north to south with a van; they didn't even bring their kids due to limited seats. While I lived there all my younger life, I didn't have a chance to see it. My kids complained about the long road trip, but later they realized they could not see the beautiful scenery with airplanes.

East Turkestan geography

Before talking about this trip, I would like to talk about East Turkestan geography. East Turkestan is in the Eurasian continent center, with an area covering 1.6 million square kilometers, which makes up one-sixth of China's total area. East Turkestan has the most extended boundary and shares it with eight countries, and it is also on the junction to central Asia, Western Asia, and Europe, the main Silk Road

East Turkestan is vast in the area, also known for its geographical variety and uniqueness worldwide. This land's natural makeup is three mountain

My kids and our language

When we came back, it took a little longer for the kids to adjust. I felt a bit satisfied that I could show my kids their roots and planned to take them each year if possible. I tried to continue teaching them our language, but they wanted only to learn in real life – when we were in our hometown, they played with neighborhood kids and learned all kinds of words.

Since we had a small community here in the United States, I was satisfied that they could read the Uyghur books.

In the beginning, I didn't pay much attention when they didn't speak the Uyghur language at home. When we visit our homeland, I assumed that they would automatically remember it since we will spend our summers there. We never knew that we would not even be able to visit them nor talk, nor can we speak to them by phone.

We never knew what the future is bringing our way, so my advice, teach your kids your language at home, talk it with your kids every day if you want your kids to keep their identity. I am glad that my kids had a chance to live, feel, and experience Uyghur life, even for a short time

Childhood Experiences

For the next 4 -5 years after our first visit, we were lucky to visit our hometown each year until the end of 2016, when the current oppression intensified. Each time we kept visiting all museums, all kinds of famous places and had hands-on experience with Uyghur handcraft types. I wanted my boys to learn all kinds of skills if possible, even riding horses. I asked those handcraft men to teach them.

On those hot summer days, they did exercises and sports early in the morning with the PE teacher we hired. Then, I took them to different handcraft teachers each day to learn additional skills. They were young at that time, so they didn't have much objection; they were curious about all the activities. My brother bought a van, especially for our trip. He drove the whole day to pick us up and took us for a drive through the Taklamakan

I was surprised by one of my son's questions that we already acknowledged; when he said that our ancestries are handcraft people. Are they not seeking knowledge? Then I started talking about our famous poets, musicians, world-famous 'Twelve Mukam' and our historians.

We were lucky to spend Ramadan there. My boys were able to do Ramadan tradition with neighborhood kids to sing Ramadan songs and knocking on neighbors' doors, and they give them nice stuff to put on their Iftar table. We celebrated Eid al-Fitr, and the boys got a lot of Eid money from all relatives and friends. They are still talking about that money nowadays. They were so happy being 'rich'; I was pleased they had a real experienced traditional Uyghur Eid with families.

Even though they had so much fun and were spoiled with love and attention, being sick a lot with limited adaptability, environmental differences bothered them so much. And for the first time, they asked me if we could go back next year stay for less than three months.

When we were ready to go back, it was so difficult to say goodbye after used to all attention and love from family and friends; we were so sad; we all cried.

When my sister saw how difficult it was for me to travel with three little kids, she accompanied me until Beijing. At the airport, we had difficult times with the employee; they were very rude to my kids because they could not understand Chinese; they were not supportive and didn't offer to help me with my kids., I was pushing my boys to get first seated.

On this journey, I realized that immigrants like us are healthy people and very adaptable. Also, I noticed the different kinds of treatments we received from both Beijing and San Francisco airports., in San Francisco, they helped me with my kids, my baggage. They also helped me store my unique Uyghur music instrument called Dutta that I had as a goodbye gift comparing to the rude treatment we received in Beijing.

When I landed in Beijing, the Chinese people working in the airport treated my kids and me nicely. They thought we were foreigners; I listened to them say that "look at this foreigner who brought three kids and a lot of luggage all by herself; those foreigners were strong." As soon as they knew my next flight was to Urumqi, Xinjiang, they figured out that I was Uyghur, and their attitude completely changed.

There I was with my three kids who were having air sickness and jet lag and lost bags, then pushed around by those Chinese people. We finally safely arrived in my hometown. My friends and my family broadly welcomed us. They reminded me of how long I didn't visit them. The feeling of being loved by so many people was overwhelming.

My kids had difficulty adjusting to different cultures and environments. My youngest had diarrhea and fever most days; he couldn't even walk. They had trouble getting used to the food, and they will become sick even after eating fruits. My brothers and sisters took us all over the city to different restaurants until my kids were able to have one meal;

I planned to stay for three months, but seeing my son's health situation, I decided to go back early to the United States. After a month, my kids started getting used to the food there; especially they liked kebabs. Then, the situation starts getting better, so we were able to stay longer.

While we were there, many relatives and friends invited us to the homes. This way, I introduced my kids to Uyghur hospitality, food, beautiful dressing, traditional Uyghur houses, lifestyle, habits, and Uyghur fine art. Also, I was lucky to introduce them to Uyghur handicraft places with family and friends to get hands-on experience. They learned how to make paper from mulberry trees pile, carpets, Uyghur special silk cloths from cocoons, etc. it was a rich experience for them.

Traditional old Uyghur saying that: 72 skills for a man is not enough, which means a Uyghurs man should have a lot of talent. I took them to a Uyghur blacksmith to show how to make things from iron, metal for everyday use and a carpenter to learn simple Uyghur adequate art tools. Of course, we visited museums and learn about our ancestries.

been missing those days, and sometimes I take them there to share memories.

When they were little, my husband was busy with work and research; I was with them day and night. Like other parents, I took them to all kinds of museums every month and playdates daily. I signed them up for all types of activities available for them. I remember worrying about my eldest's speech delay, so I found a speech therapist for him. My youngest at three had difficulty jumping from the couch, so I put him in Gymnastics. Now they are great at all sports and excellent at language and writing.

I was trying my best to teach them the Uyghur language, our language, and the Quran. They did learn the Quran from the Shaykh (الشيخ) in the masjid every day, and this helped them feel part of the Muslim community. We also went to Sunday Islamic school. Since we have a tiny Uyghur community, using our language is very limited. Like other immigrants, they understand common words that we use at home regularly. So, I planned to take them to my hometown and introduce them to our traditions, culture, and language. This way, they learned where their parents came from and what their identity is. I want them to know about our traditional Uyghur life, not only from books; I want them to live it and feel it.

It wasn't easy to get a visa to China. I went to all kinds of agencies for Chinese visas. They all said that they are not supposed to accept visa applications from Uyghurs and Tibetans; that is what the Chinese embassy told them. Finally, one of the agencies said they could do it and got a visa for my children. Their people knew what kind of trouble they could get into to get visas for Uyghurs or Tibetans. However, I was able to take my kids to my hometown every year until the end of 2016, before the current genocide started.

The first time we went to China, my youngest was about four years old, and my oldest was about nine years old. When we got our visas for kids, I didn't dare open their passports. I was afraid they would not be real. I was so excited to visit my family, my neighbors and didn't think much about how difficult it was to bring three young kids on a long journey all by myself.

After graduation, we worked at the University, and we married. We wanted to continue our education, and my husband was accepted into Ph.D. program in the United States; after six months, I followed him to the United States.

I was planning to get my Ph.D. too, but it was not easy to continue studying after my first child was born. I was fortunate that my parents would come for a visit and help me with my childbirth and care for the baby.

In our tradition, when girls have their first baby, they go to their parents' home where they are taken care of and taught how to take care of the baby. Usually, after 40 days or when she fully recovers, then she goes back to the husband's home. Of course, there were big ceremonies for baby's coming and naming the baby for the families.

My parents worried about having my baby alone, so they came over to help me through labor and caring for the baby, even they were not in good health.

When my older sister had her daughter, three people were not enough to meet her needs. One helped the baby, the other to help her, and the third to help with food and visitors.

After a couple of days when my son was born, I walked around; my mom was surprised and getting angry; she wanted me to lay down and fully recover. My parents left before their visa expired; they offered to take my son with them, so I found the time to continue studying because many Chinese students did that.

I decided to take care of my family first and continue after my husband finished his studies. Eventually, after having my three wonderful sons and my husband completed his studies, I changed my field to study accounting. I got my accounting degree, planning to do bookkeeping from home while taking care of my family. That plan has not happened yet, the kids are growing up, and we face more challenges every day.

When the kids were little, they were so easy to please. They were so happy with little things like eating pizza in the playground. Recently, I have

Both our parents were working and always busy, so we had to take care of each other. I had a very close relationship with my older sister; I am the one easy to please; I laugh at all my sibling's jokes. We were able to travel a lot because my dad was from another city and we often visited all his relatives. I learned that if you can travel, it can open your eyes.

We lived in a big courtyard shared with my grandmother, so our big yard was always busy with many kids who visited my grandmother. My grandmother invited an Akhund (a Muslim cleric) to stay in one of the rooms to teach all grandkids how to read Quran. In those times, not many people can do that under the Chinese Government rules. Today people in east Turkestan cannot even keep the Quran or prayer rugs inside the house. They cannot even wear hijabs or give Islamic names for their kids.

In my childhood, I was the leader of my neighborhood kids of the same age, and I disciplined kids who misbehaved or said bad words. We had a lot of playing games in our neighborhood even though we didn't have many toys or electronics.

I had a good childhood. When I remember these warm memories of my childhood, I feel like I want the same thing for my children. I tried my best to give them what I had to make them feel like Uyghurs, but it isn't always easy.

I often miss those days and worry about my family, friends, and neighbors excessively now. I do not know their whereabouts or what has happened to them. I lost contact with them in 2017. We understand that China's government opened many re-education camps, officially called Vocational Education and Training Centers, which are concentration camps.

More than 3 million Uyghurs were tortured unimaginably. sexually abused, beating to death, as well as organ harvesting, reported widespread by camp survivors

I graduated from high school with honors and attended University with a high score on the college entrance exam. After two years of learning Chinese, I accepted to study with a major in Chemistry, where I met my husband.

and they're also a significant Uyghur population in neighboring Central Asian countries, including Kazakhstan, Uzbekistan and Kyrgyzstan, and also as far as in Turkey. The Uyghurs are among the most persecuted Turkic Muslim peoples in East Turkestan (Xinjiang), including the Kazakhs, Uzbeks, and Kyrgyz

We have our Language, which is called the Uyghur language, which belongs to the family's Turkic languages. The Uyghur language is written using a modified Arabic alphabet, even though we don't speak Arabic. We don't use Chinese as our native language, although most Uyghurs in our capital city Urumchi speak conversational Chinese, and some can speak it Fluently

We have our own unique culture, history, traditions, language, education, music, dance, art, cuisine, clothing, traditional handicrafts and traditional medicine, and many more. Since the arrival of Islam, most Uyghurs have used "Arabic/Islamic names," but some still use conventional Uyghur names.

We are now facing a significant challenge to preserve our Uyghur identity, Language, Islamic religion, traditions, and national education because of the genocide we are facing from the Chinese government.

Who am I?

I am 40 years old Uyghur female who lives in the United States. I am proud of my culture, tradition, and ethnicity. I was born in East Turkestan (Xinjiang in China) and had fond memories of living there. I am at home eating dinner with my family in a few of these memories, having cheerful banter.

We share what happened during the day, and when it comes to my older brother's turn, he says something completely nonsensical, like meeting the president. I always laughed at his jokes. As a middle child in a family of 6 siblings, I always felt that I am the luckiest kid in the family. I had an older brother and sister to look up to and a younger brother and sister I would be their role model.

Chapter Seventeen

My life as Uyghurs

By: R.T.S



تحدثت الكاتبة الإيغورية **R.T.S** المولودة في تركستان الشرقية عن حياتها ومعاناة شعبها (الإيغور) الذين هم السكان الأصليون لمنطقة تركستان الشرقية في آسيا، والذي يتعرض شعبها للإبادة العرقية والدينية على يد الصين الشيوعية، كما تحدثت عن ذكرياتها وطفولتها وانتقالها للدراسة والعيش للولايات المتحدة، وكذلك عن التحديات التي تواجهها من أجل أن يحافظ أبناؤها على هويتهم الإيغورية لغة ودينًا وثقافة، وعن رحلاتها الى تركستان مع أبنائها لعدة سنوات من أجل أن تعرفهم على هويتهم الأصلية وأصولهم وثقافتهم قبل أن تنقطع كل اتصالاتها مع أهلها هناك في عام 2017.

Who are we?

The Uyghurs are native to Central Asia. We call our country - East Turkestan-, which was occupied by communist China in 1949 and renamed the Xinjiang Uyghur Autonomous Region in 1955. We are one of China's 55 officially recognized ethnic minorities. The Chinese government acknowledges the Uyghurs only as a regional minority within a multicultural nation

Uyghurs are Muslims from the Central Asian region. Our ancestors started to practice Islam in the 10th century and most Uyghurs identified as Muslims by the 16th century. Islam has played an essential role in our culture and identity.

The largest Uyghur population live in the occupied East Turkestan (aka China's Xinjiang Uyghur Autonomous Region, in the country's north-west),

Jaime finds herself asking questions; What will stop boredom when vacation is over? What will stimulate her mind and keep her busy? What is the next move?

This question comes back twice in Jaime's life: What will she do when she grows up? Life at retirement will be slower than her current lifestyle, but she must remain involved. She realized that she needs to embrace the physical and mental changes that come with aging. The beauty of retirement is that she can design her schedule, pursue any activity of her choice, explore new ideas, take risks of learning new skills, and stay focused on her life purpose.

If Jaime had the chance to repeat her life experiences, she would keep and hold on to the rich events of her life. She always aspired to study literature and philosophy. Areas of studies she is planning to dive into during retirement.

About the author

- Mrs. L.M.O. has an extensive background working with urban students in public schools in the USA.
- She has been an urban teacher and administrator in elementary, middle school, and high school for more than 20 years.
- Mrs. LMO holds a bachelor's degree in Microbiology and a master's degree in Education from the United States.
- In 2007 she earned a second master's degree in School Administration.
- In 2014, she was the recipient of a Teacher Creativity Fellowship grant to volunteer in a Syrian refugee camp in Amman, Jordan.

higher leadership ranks in the school public systems. Jaime hopes that the conditions of Muslim women in America become normalized.

They should feel comfortable and empowered to bring their expertise to work. Their acceptance in the workforce can produce excellent results. Muslim women should be proud of their cultural and religious heritage and be a vibrant part of society because they have so much to contribute.

Muslim women need to reach out to their local communities to offer their ideas and talents, break the stereotype and suspicions, participate in their children's parent associations, charity work, volunteer, and build bridges with others.

Muslim women need to get involved in organizations that support and defend civil rights. American Muslim women should not hesitate to call or write to their US Senators and Representatives in Congress regarding their issues or concerns.

What is next after retirement?

Jaime, increasingly disillusioned with her work, has been looking into early retirement. For the past 24 years, she has lived a structured life as an educator. She has been fairly successful in her career but has reached the point where she wants a change.

She has been thinking and planning about what she wants to do when she retires. However, she is worried about the next stage of her life. She does not want to lose the fulfillment that comes with the work. She is making a bucket list of things she always wanted to do but never had time for.

World travel is the first thing she wants to do. She is imagining retirement as this luxurious vacation of time that she could not have while working. She is looking forward to visiting and spending time with her family. She is also looking for the opportunity to take writing and painting classes and volunteering a couple of days a week.

As time passed, she began to doubt her ability to lead and blamed herself for the inability to grow professionally. Her self-esteem reached rock bottom, and she became depressed and ashamed of herself for failing to belong to the system.

All she wanted is to be accepted. She asked herself: “How should I eliminate the barriers that are preventing me from growing?” For a long time, she silenced her voice and kept it to herself out of fear of retaliation. When she started to ask for my rights, she was advised not to complain. She concluded that success could not be measured with loyal and hard work but rather on navigating skillfully in the high sea amid shark-infested waters. Unfortunately, this is a lesson no one taught her in school.

Highly qualified immigrant Muslim professionals’ women have slim chances to access mainstream leadership positions; they have less opportunity to see their cultural backgrounds embraced and valued. Their religiosity's visible expression is resented due to Islam's bad press coverage by the western media. They have been depicted across the world as inhuman.

It takes years of hard work and perseverance to see a change of perceptions and improve situations. But one remains hopeful that the conditions of Muslim professional women in America will improve.

A promising change is on the way; for the first time in America's history, Muslim women have been elected to congress. An impressive and inspiring move for the young generation of Muslim women who are seeking leadership positions.

Sometimes, she questions the degree of her concerns and her work conditions. When she thinks of the deplorable conditions Muslim refugees worldwide live in, she feels her problem is relatively small.

Sadly, Muslims are suffering in regions torn by war or persecuted because of their faith; they lack the necessities, shelter, food, education, and medical care. However, she is speaking out not only for herself but also on behalf of the next generations of American Muslim women who desire

is mistreated this way. Jaime 's struggles impacted her emotionally. She was feeling unworthy of acceptance, feeling like an outsider and not belonging. For many years she silently endured the pain of being rejected and blamed herself.

She tried to be patient and resilient and looked at the positive side of her profession. She refused to believe that her surroundings were capable of hatred until she witnessed flagrant incidents of islamophobia. All she wanted is to be accepted, treated fairly, and welcomed into her school environment, regardless of ethnicity, religion, beliefs, cultural values, characteristics, or experiences.

Seeking Equity

Employment equity is ensuring that every qualified person has access to the same opportunities as the majority counterpart. A professional minority should not qualify under the minority act nor need to belong to a certain fraternity or sorority to obtain a position. During the years, Jaime has observed minorities less experienced being promoted to top jobs because they belong to a particular sorority or fraternity group. She was competing for the same job without a mentor or a sorority mother who will look after me from the start. Her chance of climbing the ladder has been stalled because of her ethnicity and religiosity.

As an immigrant, she has worked hard to climb the ladder. She learned English rapidly. She went to college. She pursued graduate school and did her homework successfully, always on time, but her employer did not reciprocate the dedication she gave. Her cultural background was not valued nor embraced.

Over the years, she was knocking at the doors. The doors remained closed. She felt over and over marginalized. Her employers denied her the opportunities to grow professionally. She asked me several times why they are failing to see her skills, qualifications, and years of experience. Did she do something wrong; did she offend somebody?

“Do well in school! Get your degree! Work hard! Be responsible! Do the right thing. It will pay off! This is the message that parents conveyed to their children. But what parents need to inquire about is the quality of resources and opportunities available to their children.

During her teenage years, Jaime ‘s parents had frequent conversations during family meals about equality and equity. At a young age, she was aware that she did not have the same social and economical rights as her European peers. To encourage her to study hard and perform well, they always compared their traditional Arab cultural norms to the European social norms. They gave her hope that success comes with hard work and perseverance.

She realized that Foreign European nationals had a vast network of opportunities allowing their citizens to grow in any trades. Regardless of their lifestyle, they had more privileges than the rest of them. Early in her youth, she learned that they are not equal and had to work twice hard to reach their goals.

Just like minority students who have slim chances to grow in a system that continually criminalizes them, minority adults are exposed to the same treatment. They are marginalized, stereotyped, considered a threat, labeled as incompetent, and prevented from promotion.

Jaime has expressed her concerns before about this prevailing sentiment of suspicion, racial profiling, and religious bias on the part of her colleagues. These incidents have negatively impacted her chance of being promoted for the past seven years. She has been an employee in these schools for the past twenty-four years, and she has an excellent track record.

She felt that she had been discriminated against based on her race and Islamic religious affiliation. Less experienced employees have been promoted over her. She has been in the same position for the past ten years and has seen my juniors get promoted ahead of me.

According to the law, there is no place for discrimination regarding race and religion in the workplace, and that it reflects poorly on society when one

cover their hair with a turban. The principal insisted that the student is listed as female. The student in question was a boy with a cover on his head. The principal verified with the parent of the student and realized he made a mistake. The principal confused Muslim and Sikh religion, and he taught that only women covered their hair.

Inequity in the schools

The recent pandemic not only changed people's daily lives, but it has shaken and imposed changes in the system of education. This health crisis has allowed us to reflect on our practices and exposed the social gap between those who have and those who don't.

In the wake of the social unrest, a growing movement of minorities is becoming vocal against the inequities in the school system. Community members are looking closely at school discipline data, which shows that a significant number of minority students are treated differently than white students are.

Minority students are instantly excluded from their white's peers from the school environment. If intolerance toward minority students is prevalent, one may wonder how the system treats minority employees. One may question the work environment of minority teachers and administrators.

Jaime lives in a town of 140 000 people composed mainly of white, black, Hispanic, and a few other ethnicities. The majority of the teachers are white middle class; they teach in urban schools during the day and go home to their suburban life. Their students come from a low socioeconomic background or historically marginalized group.

These students have fewer opportunities to be educated by culturally proficient teachers; they have less access to rigorous and relevant instruction, and they are not expected to perform,

Recently, 35 percent of them have been earning failing grades, yet teachers blame the students and their lifestyle.

teachers' performance, documenting their strengths and weaknesses, and following the district and state guidelines.

Jaime has always aspired to be an agent of change, an ambassador of goodwill. She is fully qualified and capable of leading a school. She is a good leader, always enthusiastic, and leads by example. She is always available to staff, parents, students, and community members and puts the school's needs before herself. Her desire is to be involved in decision making rather than being limited to menial jobs.

She has attempted several times to seek higher positions, but her employer failed to promote her. She feels that her employer operated to exclude Muslim women from leadership positions.

During a conversation with the Bilingual director about introducing the Arabic language in the high school, the director bluntly shared with Jaime that the school superintendent was not in favor of an Arabic program because the public is not ready for an Arabic program.

Most Schools in the Midwest have less than 1 percent minority staff. The rest of 99 percent of teachers and administrators is composed of middle-class Caucasian women who educate minority students. Most of these middle-class educators' women need professional development in cultural proficiency.

For years the prevalent group conducted business in one way and expected any newcomer to assimilate to the majority's culture. The disconnect between cultures and indifference towards other cultures have impacted students' performance.

Teaching multiculturalism in the curriculum will facilitate and strengthen the educational system. However, the majority of educators have not seen the urgency to connect lessons to all types of learners' cultural backgrounds.

For example, one principal was unaware that males wear a turban in the Sikh religion; the principal thought that the Sikh student in his school was a female. Jaime explained to her principal that in the Sikh culture, only males

treatment; only the school counselor spoke to her. It was painful and traumatizing to be rejected.

To overcome the hurt, Jaime focused on her students and found peace in fulfilling her duties as an educator. Jaime decided to go back to school to pursue a degree in school supervision.

She wanted to be a school administrator so that she could make a difference on a bigger scale. Throughout her years as a teacher, she noticed that minority students were not properly educated. Minority students are denied the same educational opportunities to prosper as their white peers.

Minority students are not working to their potential, and the curriculum is not rigorous nor challenging. Students are not taught critical skills nor assigned problem-solving tasks. Students are not equipped with strong educational tools to face a competitive workforce; thus, minority students have a more significant rate of failure than their white peers.

Jaime wanted to advocate for the poor minority students who did not have a voice, whose parents did not know what to look for. The same parents were busy putting food on the table and leaving paycheck to paycheck.

Jaime wanted to share her experience with the less fortunate by becoming a school administrator. Jaime enrolled in a school leadership two-year cohort program and obtained a degree in school administration.

For the next three years after graduating, she pushed hard to put her foot in the school administration door. She landed the Dean of student's job at a high school. Her job consisted mainly of reinforcing the code of conduct, communicating with parents over discipline issues. Jaime deals most of the days with discipline issues, which will mostly come from teacher referrals.

The following year she was appointed as the assistant principal of a middle school and has been an assistant principal for the past ten years. In addition to handling the discipline, she is also responsible for evaluating the

by herself, with no administrative support. If she referred to a misbehaving student to the office, the student would return to her class without any consequence.

One day the assistant principal failed to discipline the student and told her: “when in Rome, do as the Romans do.” Apparently, he did not like her classroom management style.

The assistant principal's incident was disappointing; she felt she was missing something but did not have any colleagues to bounce ideas back and forth. She was intimidated and afraid to ask.

Collaborations among colleagues did not exist; it seems everyone was busy doing their own things in their own classroom. Teachers crossed each other in the school hallway, with no acknowledgment, not even a good morning. She was invisible.

After teaching French for six years, Jaime went back to school and picked up another certification to Teach English to foreign students. In the Bilingual department, she encountered the same suspicion she encountered when she first taught French.

Her colleagues had doubts that a Muslim woman could teach English. Her supervisors would visit her class very frequently or send staff members to observe her for long hours. During a teacher's meeting, a teacher aide openly stated that Jaime should not teach English because She has an accent.

To her supervisor's surprise, her ESL students showed significant increases in their yearly standardized test scores. After 14 long lonely years of teaching, she was finally considered a strong teacher. Even Though Jaime changed buildings, teachers barely spoke to her in the hallways or during meetings.

She felt excluded and alienated because of her hijab and her foreign background. Some staff members openly said she should go home. She was subject to the silent treatment. Most of the school staff gave her the silent

The workplace

Jaime started working in the public-school system first as a substitute teacher, then as a teacher, and currently as an administrator. These experiences have trained Jaime to navigate through the multitude of characters and personalities Jaime faced challenges in every school she worked in.

Her first job was at a high school, substituting for a foreign language teacher. Parents were surprised to see a Muslim hijabi woman teaching their children French. They were expecting to see a French woman from Paris. Instead, they got a woman from the French colonies.

First, she was questioned about her French. How did she speak French fluently? Then, she scrutinized for her foreign language credentials. Nobody believed she knew how to speak French until she showed her university course transcript.

After teaching French for a couple of weeks and getting used to her new job, the principal hired a white man who had a French teaching license. It was a wrong move. The gentleman could barely say hello and thank you in French.

Students judiciously started comparing their competencies. Their parents began calling the school to complain that the French teacher was not teaching. The pressure on the man was enormous until he quit in the middle of a working day.

Jaime was then offered the position to teach French for the rest of the year. She was excited to work in one of the major high schools in the city. Her juniors and seniors' students were very excited to learn French for someone who never taught nor had the training to teach. Successfully she completed her mission. This experience encouraged her to enroll in graduate school to seek a master's in education.

Her first-year teaching was very lonely; She had no mentors. Nobody came and checked her performance; it was mostly trial and error, trying to keep her head above the water, mostly managing discipline in the classroom

around the newborn. She often felt restless and overwhelmed due to the added stress and responsibility that her newborn brought.

Jaime and her husband had three children together. After college, she stayed home and would not seek help from outside nor from relatives. Every pregnancy caused her concerns and anxiety. She was worried about how her family would react to her pregnancies.

In addition to the postpartum blues, she felt like a failure; she was unhappy and was hard on herself. Instead of rejoicing at the coming of a new grandchild, Jaime's family would make her feel guilty for having a child so soon. Her parents wanted her to continue into higher education rather than having children.

She felt lonely and sadly, most of the time because she was torn between starting a family or pursuing a career.

Nobody taught her how to conduct parenting. She depended on her maternal instincts and passion for giving her children moral and physical foundations. She and her husband teamed up to create a support system and establish their obligations while raising their children. It took years of discipline, unconditional love, and sacrifice to raise her children as the young adults they became.

Searching for a job

When her children reached the age of schooling, Jaime began to search for a job. She felt rusty after having stayed home to raise her children for a long time. She felt unsure of herself and intimidated to face the world. Jaime was aware that being a Muslim and a woman in America could be challenging; Muslim women are continuously marginalized and misunderstood. They are constantly subject to scrutiny and stereotypes. Even though Jaime wore the hijab, it did not deter her from looking for a job.

She knew Muslim women are discriminated against and misconstrued. She wanted to break the stereotype by being an active member of society.

During a Friday prayer, she met Muslim women who guided her on finding a job in education.

journey of learning about Islam. While other students went out on Friday nights, Jaime and her floormate spent their time off in the dormitory conversing about Islam

The kindness, caring, and generosity that emanated from Muslims had a long-lasting impression on her classmate, who ended up embracing Islam.

Marriage Life

During her last year on campus, Jaime met a special person who will become her husband. Because he is from a different country than her, her parents objected to her marriage to him. It took some negotiations and a trip home to convince her parents that he was the man she wanted to share the rest of her life with. Transitioning from single life to married life was a bit challenging. Getting married far from their parents, aunts, uncles, and cousins compelled them to consolidate their relationship.

Being away from their family decreased the chance of drama that relatives can add to a couple's life. However, the newlyweds missed out on the family support system. After she got married, she moved to another state. Jaime was sad; she left her friends behind and missed her active campus life. Jaime could not understand why she was not free to move around with friends as she wished to.

The transition was difficult. She had to adjust to another stage of married life and to new friends who were couples. Whenever she is invited to dinner parties with her husband, she would get bored; She had different interests than her hosts.

Family Life

After one year of marriage, her first child was born without a book of instructions on how to breastfeed the baby or how to wash the baby. Adjusting to motherhood was not easy; Jaime did not plan for it. She had to learn to adjust to her baby's schedule, and basically, everything revolved

movie scene. It reminded her of the Hollywood movies she had watched. Jaime was curious to learn about her new environment. Everything seemed to look big, food portions, dress sizes, supermarkets, malls, cars, the roads.

She stayed with her brother and sister in law and attended school part-time to learn English. Her enchantment with her new environment started slowly to diminish because she did not have the freedom to decide for herself. She imagined having more freedom to explore her new environment, but she felt restricted by her relatives. Taking care of her niece, doing chores around the house was no different than her life back at home. After a year of living with her brother and learning the English Language, Jaime moved out to a university town, three hours away from her relatives, to pursue her studies.

Student Life

She adjusted rapidly to campus life. Jaime embraced and appreciated life on campus. During her four years on campus, she met people from diverse cultures, developed lasting friendships from all corners of the globe; she still keeps in touch with college friends. She learned to appreciate diversity through experiencing cuisine from all over the world.

College years helped form her identity. College life was rich in cultural experiences. She attended conferences in religious politics and participated in debates, and joined the students' associations. She was actively involved in learning about other cultures. Jaime discovered that Americans were passionate about their religion, which made her reflect on her own.

Jaime was not academically knowledgeable on Islam, but she practiced her religion from a cultural angle. Her participation in debates and questions from non-Muslims triggered Jaime's curiosity to educate herself about her religion. A classmate who lived on the same floor was inquiring about religions and asked Jaime questions about her faith.

For the next couple of years, Jaime became an instructor and a student of Islam. While she was sharing information about her faith, she started the

In this paper, the author narrates Jaime's experience working as an educator in the American public schools and how wearing hijab in public impacted her professional life.

Dreams

On a hot summer night, Jaime and her cousin stood on the rooftop of their house gazing at the night sky, wondering about faraway lands and cultures they heard about from their relatives who were living abroad. They asked each other what their dream job would be. Jaime shared that she wanted to be a pilot.

Jaime was a teenager, the youngest of seven; she was raised in a conservative background, but it did not stop her from having a visionary outlook on the future. Jaime looked at the sky and dared to dream of flying. Even though these young girls were raised in a culture where females were expected to hold traditional jobs, they pursued their dreams with their families' support, who believed in empowering their daughters with education. Jaime grew up in a family that valued education

Two years later, Jaime graduated from Highschool and passed the end of the year cumulative exam for the baccalaureate. As a graduation present, her parents sent her to the US to visit her brother.

Later that summer, Jaime flew for the first time on a plane that would carry her from her native land to America. The excitement of traveling to another continent was beyond belief and surreal. While being a passenger on the plane, she was transported with fascination. She was thrilled to fly to a new destination. She was elated to discover a new life ahead and to make free choices.

Her impression of her host country was seemingly optimistic. She found people in America to be outgoing, friendly, and approachable. People smile and greet each other in the street. In the stores, vendors are very courteous, always thanking customers and wishing them a good day. When she first saw tall modern buildings, the highways, the cars, she felt he was part of a

Chapter Sixteen

J.A.I.M.E

By: L.M.O



في قصتها، رحلة معلم أمريكي مهاجر مسلم - J.A.I.M.E - تحدثت الكاتبة L.M.O عن حياتها وأحلامها قبل ان تحضر للدراسة في الولايات المتحدة، لتتعرف على زوجها وتكون معه أسرة وتربي ابنائها، وتمتحن مهنة التعليم. تحدثت الكاتبة عن حبها للتعليم والتحديات التي واجهتها والتميز الذي تعرضت له خلال سنواتها العشرين التي قضتها في التعليم والإدارة المدرسية بسبب لبسها الحجاب وبسبب أصولها العربية، وعلى الرغم من قدراتها وكفاءتها التعليمية والإدارية، فلم يتم ترقيتها وكانت تواجه طلباتها بالتجاهل باستمرار

Journey
American
Immigrant
Muslim
Educator

The author of this paper is using the acronym J.A.I.M.E as a literary name to narrate the

The Journey of an American Immigrant Muslim Educator.

JAIME is a Muslim, a mother, a wife, an educator, an immigrant, an American. She migrated to America forty years ago; She attended one of the Big Ten universities in the US. During her undergraduate years, she found spirituality, created her identity, formed close bonds with women of various countries and backgrounds, and met her future husband.

now be a mother? When she sees these beautiful children, she can see again in her mind, her children at this age.

But this time, Jane is not responsible for them; she only experiences the joy of being with them, a whole new chapter. Having some kind of work still matters to Jane, and she still hopes to travel again. But at this time of the pandemic, spending time with grandchildren has been genuinely fantastic. Yes, Jane still feels alone sometimes, but she has immense gratitude for the new chapter now beginning.

About the Author

- Consultant Clinical Psychologist. M.A (Psychol), M.Sc. (Clin Psych), C. Psychol, AFBPsS Affiliate - Disaster and Development Network, North Umbria University, UK
- The early part of Jane's career spent as a Clinical Psychologist within Adult Mental Health Services in the UK. Subsequently, she has worked as an international consultant specializing in the design and delivery of workshops/training on psychological self-care, mental health in cross-cultural contexts, counseling skills for peer support staff, and Staff Welfare Officer UNHCR.
- Consultancy to INGOs has also included the assessment and evaluation of mental health and psychosocial programmers.
- She has worked in The Gambia, Uganda, Lesotho, Ghana, Jordan, Liberia, Turkey, Tanzania, Papua New Guinea, Gaza, and South Sudan.

Reflections

It is now 12 years since Jane wrote about the excruciating pain of her children's "loss". She is still alone. Although she has met several men during these years, yet no one for a long-term relationship, it seems to matter less and less as time goes on. She has become used to being alone, even though she is still sometimes envious of happy couples and misses close companionship.

Even though resistant to the idea 12 years ago, when feeling overwhelmed with the grief of her children's loss, work (in many different countries with amazing people) has been salvation after all.

Jane has presented at conferences, published some papers, and had some wonderful adventures. She came through a "breakdown" with excellent therapy, which helped her make sense of her earlier life and allowed her to forgive herself for so much that had gone before.

She stopped working in the National Health Service, gave up the regular salary, and took some considerable risks in eventually becoming an "international consultant." Jane has thrived on this work, learned so much, and met many ambitious women who have not had children. Meeting these women had made Jane realize all over again that her "children," now independent adults, are still the most precious part of her life and that she loves them just as much as when they were small.

Even though adults, both her son and daughter, have had some difficult times. Jane has "been there" for them, provided support, money, somewhere to stay when needed. She now has a different relationship with her adult "children."

A new chapter

In this new chapter, another kind of loving, often described by others but never experienced by Jane until very recently. Jane's daughter now has a son aged three and a daughter aged one, so she is a grandmother. How can this be? How can so much time have passed? How can her daughter

Even though I was always the mother and parent, my children were also my companions for so long. We had adventures together, shared our lives, and their wellbeing was more important to me than anything else. Now they are living their own lives far away from me. No, I do not want them back.

Yes, I am doing quite well at letting them go, not interfering, trying to renegotiate a different relationship with them as the young adults they have become - I do not always get the balance right. Still, when I overstep the mark, usually in a bout of loneliness, they lovingly tell me to "back off." That process will continue and continue, they will keep growing up, and I will keep learning how to be a mother in a different way.

But - what to do with my life? How to find meaning? How to decide what to "do" now that I am "free," as everyone tells me? The old song's words come to mind - "freedom is just another word for nothing left to lose." That is how it feels. I do not know what I want, but I am so very tired of being alone. Most of all, I would like a companion in my life. The real terror that comes in the night is not about having enough money or worrying about my children. The real terror is that I might spend the whole of the rest of my life alone until I die (without ever again being cuddled in bed by someone who loves me). Given that meeting someone cannot be made to happen, what do I do now?

We all must find meaning in our lives. I know that I am blessed in so many ways and awash with good fortune. I have two "children" who love me. I am not ill, not starving, am aging reasonably, still feel fit and alive in body and mind. But - I am finding it hard to find meaning when my children's pain no longer being here is sometimes overwhelming.

After three attempts to leave, it is nine months since my daughter finally emotionally cut the strings and has her own life many hundreds of miles away. I am glad and relieved but now have no excuse to avoid facing up to myself.

the time. Single mothers experiencing the painful grief of their children's departure are nowhere to be found.

The statistics are interesting for highly educated women in high-powered jobs - almost all do not have children, and many do not have relationships. What do they feel in the middle of the night when the professional persona is taken off? Alone? Frighten for the future? Do they experience grief at the lack of children when facing the fact that no job, in the end, can be a substitute?

What about those of us who are highly educated and could have had more high-powered jobs than we have but who decided that our children were more important and who did not have a partner to share the caring? We have done ok career-wise but have not achieved as much as our talents would have allowed because providing and caring for our children came first and were the chosen and much-loved priority.

Now at 50 am I supposed to fill the space of their departure with work? Strange how many people assume this. Just put your energies into a job, they say, but the emotional space after my daughter's final departure cannot just be filled with "work" - the task is more profound. The meaning of my life must be re-negotiated all over again; a new identity of a single woman living alone (how sad and frightening that sounds - can it be true?) must be faced and accepted.

Yes, we read the self-help books about valuing yourself, looking after yourself, and everything else on a similar theme - you do not need a man to feel good about yourself, they say. Rationally, of course, this is true; rationally, I know that it is better to be alone than to be in an unhappy relationship; rationally, I know that I am still an attractive, vibrant, intelligent woman, but emotionally when I consider what I might want - the task that friends and all the books tell me that I need to do at this time - what I want is a loving relationship - not loads of money or a high powered job. I would like the "simple" things - a cuddle with a man snuggled up in bed, companionship in my life, someone who knows who I am.

such pain - the pain of just feeling I would give anything for someone to hold me, someone to know who I am, someone to share plans and dreams, someone to be a companion - but, although there have been brief relationships occasionally, I have not met that person. I, and the women friends in the same situation, have tried internet dating from time to time.

We have shared our stories of unsuitable encounters we have been mostly able to smile about and keep in perspective, but no "happy ending." Educated, "strong" women with their own opinions and who are used to "getting on with it" do not need a man to do jobs around the house, deal with the car or the bank - they have done all that and everything else on their own for years. Many such as I have moved to a new house, dealt with the difficult teenage years, and many more challenges on their own. Women such as me need someone special - someone who is not afraid of them, not put off by the apparent external strength and power women such as myself and friends can give off quite unintentionally. Spending years being strong, doing the best you can for the children means that even when you are fragile and crying inside, most people do not see.

All popular culture – songs, books, films, magazines - still stress that you are "nothing if no one loves you," you are "nothing if no one cares." All the songs on the radio, all the articles about relationships and sex. What about the thousands of women who do not have a sexual relationship with a man, who have cared for their children as best they can? Where are they in popular culture in this time of more broken families than ever before? When women in my situation and those of my friends – single mothers - are usually the cause of delinquency, anti-social behavior, alcohol, and drug use. Strange how my children and those of my friends are not like this at all.

I have these conversations with my friends often. We see people in unhappy, even dysfunctional and deeply damaging relationships; rationally, we know that it is better to be alone than to be involved with a man in such a way, but still, the despair continues secretly inside – what is my life when there is no man to love me? And never-ending, our culture reinforces this all

money. Still, He was not involved in the children's day-to-day life or in supporting them emotionally.

Being a single parent

Many women reading this will have been in the same situation. These practical realities now are Jane's responsibilities, the shame of being alone, the constant worry about her children, having to find courage again and again, particularly in traveling to explore the world with her children. Teenage years were very tough and frightening as Jane's daughter and son went out into the world. Then, as everyone suddenly realizes, their childhood is over, and it is time for them to leave the nest.

We were a threesome for so many years (Jane met other men sometimes but no one with whom a long-term relationship appeared possible). Jane's daughter struggled with going to university, started a course, dropped out, started again on at least four occasions, and needed to be cared for at home in between. Jane's son, however, went to university and was gone. The grief of his absence was unbelievable and devastating. When they were both gone, the grief and loss were so great that Jane wrote what follows (about 12 years ago). The pain of an empty house was overwhelming at that time.¹

Loss without a Name: Empty Nest = 1

How to deal with this loss without a name? Yes, everyone jokes about the "empty nest," but only about couples. When the children are gone, it is then "their time" to see the world, to be together. Much was written about the strains on marital relationships at this time. Couples need to get to know each other again; all the opportunities for a couple this time of freedom presents. But what about when it has only been one parent? What about now, for me and many others?

There were three of us for 14 years - me, my daughter, my son. What then? It is not that I have not wanted a relationship - I have, sometimes with

blest? Familiar to all mothers – such as hard work, lack of sleep, the unexpected delight of breastfeeding, all other priorities put aside, and the overwhelming love that cares for her children at all costs. He was a loving father but changed jobs, which required enormous upheavals with small children. Working in the National Health Service two days a week was a lifesaver; Jane gradually learned how to be a psychologist in real life; she hoped that her mother would help, but it was difficult at the time; the help was rare and, conditional on what her stepfather needed.

More change

After a redundancy, one of the job changes involved moving to The Gambia – the children were 3 and 4. Jane suddenly became a housewife again and initially struggled to find another role. Teaching at the school of nursing was another life-changing experience. It was the beginning of the thread, which, professionally, came a long time later (her joy and commitment to cross-cultural work – but that is another story, not told here). A lifetime trip across West Africa and the Sahara in a van on the way back to the UK seemed to have been jointly planned, but, in hindsight, it was very much Jane's idea and adventurous planning.

In return, Jane worked in the NHS; he meant to start a business, but it was all so much more difficult, and the relationship began to flounder. It is difficult to pinpoint how things unraveled, and it seemed to be impossible to communicate without misunderstandings and anger.

The rage Jane felt was so damaging and incomprehensible, but, years later, through therapy, she understood how much she had "put him on a pedestal" that she had seen him as a "savior."

At the time, she could not accept (and was so upset) at his seeming inability to find work and make links with the world. Such pain, so many tears, but it eventually, somehow, it could not be mended. He moved away, saw the children once a month and on holidays, and eventually married a woman who had been a colleague in a previous job). He was generous with

– a lecturer at the university. By the end of the year, the marriage was over, and Jane was living with, and later married, the man who would be the father of her children. He was also the man who, for the first time, taught Jane about love. Although dreading her disapproval, Jane's mother visited again and liked the new man and understood – a precious, unexpected time. What did Jane learn about love? Contrary to all previous experience, she realized that it is not about possession or control but about space and freedom – the bird free to fly but to trust and believe that she would return to the nest.

Initially, Jane found this way of loving without elements of control and possession "incomprehensible," never having experienced this understanding of love. He was supposed to complete military service, something he was not prepared to do, so, with enthusiasm on his part and much grief on her part for leaving Africa, they arrived in the UK on a dark November day. What then?

After a few months, another miracle happened - a huge turning point in Jane's increasing self-belief that she might be "worth" something. He encouraged her to apply for Clinical Psychology training at a UK university. How was it possible that she might be accepted – a first degree by correspondence and Honors from Cape Town, no UK qualifications? Jane had little hope, but – she was accepted, and he was prepared to move to another job to support her to do this. No matter what happened later, she remains forever grateful to him for this and the love he gave her to allow her to take this opportunity. Jane also knew that even though she was then 30 and that she wanted to have children with this man, to achieve the most precious qualification which would allow her to work in a professional capacity for the first time, had to be the priority. The choice of having children was Jane's, and there was no pressure from him for this.

Becoming a mother - a new kind of loving

Like any new mother, the shock of the power of maternal love was love like no other – a daughter then 16 months later, a son. How could Jane be so

yet again, Jane pretended and tried to be someone else – a "good wife" – without realizing that she was not who she was.

Awakening

As a wife, moving with him to different mines (He was a metallurgist with Anglo American), Jane eventually spent three years at a Namibia mining camp. What was it that enabled her to start a correspondence degree? A life-changing experience, choosing randomly to major in Psychology and Sociology – all by correspondence, no discussions with anyone. No interest from her husband and beginning to realize, for the very first time, that she might be more intelligent than he was.

Jane was so thrilled with this window on new subjects and was astonished and delighted that she achieved good grades. Jane's mother did visit alone without her stepfather, which meant a great deal (he was prejudiced against anything "foreign"), and her beloved grandmother came for three months during this time (flying for the first time at the age of 73). Although she was too frightened to admit it to anyone, it was clear that her marital relationship was not going to last. Even though other people asked, Jane knew that having children with him was not an option.

The mining camp provided all amenities, so saving money was easy; he wanted to enroll for an MBA at Cape Town University. For Jane – miracle of miracles – she could apply for Honors in Psychology. To go to a real university when it had never seemed possible was very frightening – would everyone else be more intelligent? How to pronounce out loud all the words that she had only read in the previous three years of solitary studying? In her deepest self, Jane knew that she would thrive on the intellectual stimulation, and she also knew in her heart that the marriage was improbable to survive this complete change in circumstances.

The roots of becoming

Being at university was life-changing – so many interesting people and conversations. Her husband needed help with his MBA work, which Jane provided while she was getting to know and to fall in love with another man

include all significant events. It also does not include the many times of despair, hopelessness, worry, and fear that anyone has experienced who has either brought up children or gone through the ending of long-term relationships.

Beginnings

Jane grew up in the north of the UK with one brother two years younger. Their mother was separated and divorced when Jane was about nine years old. Although she has some recollection of access visits, she did not find her biological father until she was 50. Her mother married again when Jane was 15 – to a man of whom Jane was afraid for many years – a dominating, controlling man, who always seemed more important to her mother than her children. It was not a happy household, always having to "fit in" to what she needed, always afraid of doing something "wrong." Time spent with her grandmother was the safe place for both Jane and her brother, and her love was always unconditional.

Running away

Life can only be understood "backward," and it took Jane a long time to realize how much of her life has been taken with "running away." Teenage years were difficult, and Jane learned that who/what she was somehow "not acceptable." She was considered "difficult" even though she did not feel able to challenge the situation at home or talk to her mother. Leaving to go to music college, Jane had low self-esteem, and, in hindsight, had no belief that she was "lovable." When, in the first year, a man she met wanted to marry her, she thought at the time that no one else would be likely to like her. He was also going to work in South Africa – what an adventure. (More running away, although at the time it felt as if she was making a decision). After being married at age 20 and leaving for South Africa two weeks later, it became clear that he was similar to her stepfather – controlling, critical and,

Chapter Fifteen JANE'S STORY

By

Jane Gilbert



في قصتها (قصة جين) تحدثت الأخصائية النفسية البريطانية جين جلبرت. عن حياتها وطفولتها ومراهقتها المشتتة الخائفة بين زوج أمها المتسلط المُتطلب، وصراعها مع ضعف ثقتها بنفسها، وكيف تزوجت ورحلت مع زوجها إلى إفريقيا للعمل، وكيف بدأت تستعيد ثقتها بنفسها وإكمالها دراستها الجامعية وحصولها على شهادتها العلمية.

كما تحدثت عن رعايتها لابنها وابتها وحيدة بعد طلاقها للمرة الثانية. وقد تحدثت عن مخاوفها ومشاعرها، وعن (متلازمة العش الخالي) النفسية الاجتماعية التي يعيشها الآباء بعد رحيل الأبناء والصراع الداخلي مع نفسها واضطرابها للعيش وحيدة والمعاناة النفسية التي تمر بها هي ومعظم النساء في ظروفها وعمرها. خلال حديثها عن الأماكن المتعددة في أفريقيا وآسيا التي عملت بها.

This story is in three parts – background on Jane's early life, the verbatim words that she wrote more than ten years ago on the acute experience of "loss" as a single parent when her "children" left home, and a review of how things have been more recently and how Jane views that loss at this point. To write about a whole life would take a book, so these words cannot

About the Author:

- Ahlam recently moved to Kenya from Seattle with her small family to nestle her roots.
- She studied Anthropology and Human Rights with a specialty in Linguistics in London.
- She most feels at home behind a lens or on her yoga mat, a lover of art and capturing beauty. She revels in travel, reading, and eating the yummiest cakes.
- Her enclave is in small bookshops and her therapy, vintage stores.
- She loves to collect both pieces and stories as heirlooms for her flock, a lover of antiques and wholesome conversations.

I admit that I was scarce on self-love during my most challenging moments as a mother. When I nurture and care for myself, both externally and mentally, I feel more centered. As a young girl in Switzerland, I saw my mother soak her fingertips in henna, put rollers in her hair, and slather on her favorite mask from home. Saw her do this weekly and other daily routines that consisted of movement and breath.

As we grew older and our schedules got busier, I witnessed those moments fade from her, her eyes more sunken, pale fingers, and grey hair. She would always put us before herself.

As children, we don't see our parents as humans, with fears, flaws, and weaknesses to deal with and significant hopes for us to deliver. We don't engage with their daily thoughts. They must sift through. Meanwhile, their embrace is warm, and their faces light up at the sight of us. To me, that has been what carried me forth as a parent, knowing my humanness.

Quantifying the role of motherhood is agreed to be impossible. However, we reward conventional roles and pay value for them. Much resistance is faced by a mother when deciding to resume work or education after having children. These struggles are often faced alone. This usually corrodes one's values, which implicitly implies a role as a mother is invaluable. This is a rift I dealt with often; while I loved my linguistics career, I also adore my part as a mother. I saw myself going back to work only then to resign months later because I felt this deep guilt I missed out on my children's life. Not having family close made it significantly more challenging.

So, I have launched into many love projects, projects that have me closer to my children in pursuing creative ventures that are more community-based. I often daunted at the task of reentering the corporate world, the feeling of being behind, and the gap in my resume. However, this pales to no comparison to the joys I get from exploring this world with my little ones. We love to travel and learn an array of things together. If I could enlist just one more piece of advice, it will shine the torch on you. You are brilliant, fabulous and so dearly loved.

After my C-section, I sat there trying to understand what's happened so quickly; I thought about all women who would have a C-section to have their babies, All women who lost their babies through birth, the mothers who lost hope of giving birth or had to go through Pregnancy termination, and those who've tried and tried with no swelling new.

I sat there, full of gratitude. A C-section was the furthest from my thoughts, but at the last minute, as my water broke and no sign of contraction, they only feel my son's toes instead of the head; there was no other option, I was afraid, but I felt safe with my team. My midwife consoled me, and I did not resist. We've come too far to let anything get in the way of holding our baby. Prayers and dua'a is made, endless trust in Allah's plans for us,

I encourage natural birth, but sometimes interventions are needed for both child and mother's health and safety. The process of birth is magnificent. No mother should be ashamed to choose any of both ways to deliver her baby.

Nothing prepares your body for the journey of pregnancy and healing. Each birth is unique, and each birth story so vital. We recount these moments repeatedly in wonderment as though in those moments of delivery, we've had an out-of-body experience.

So, we relay those stories to process them once again for ourselves. It's also a communal welcoming for the mother and the child. I once read somewhere that a child's birth is also a rebirth for the mother; that couldn't be truer. Every phase of life, pregnancy, and birth adds to our deepening as humans. Pregnancy also takes our bodies to their limit, swelling not just our midriffs but also our limbs. The symptoms all varying from bliss, sickness to bedrest.

The experiences of pregnancy and mothering determine your vulnerabilities, the depth of your strength to endure and nurture at the same time. We love it when we don't feel so far from ourselves; we give and give once more. Love has its virtues, you take from the thing you created, and it becomes a source of love for you, a reciprocal cyclical love that sustains.

mums, especially for first-time mothers. I can attest to the truth of that statement.

At most, every conception proceeds with a dream, a prayer, and a thought to grow unless a surprise takes over by chance, in which it's a blessing indeed, nonetheless. I must admit it's a beautiful transition to witness the blossoming of love, as my husband says.

Before we go any further, October is Pregnancy and Infant Loss awareness month. However, nationally a day, some choose to remember families who have experienced loss through miscarriage, stillbirths, SIDS (sudden infant death syndrome), and a newborn's death for the entire month.

This past October, some brave women shared their stories online during the pandemic and the stillness it entailed. It was profoundly moving. Nothing can soothe the aching loss leaves behind, mostly when that loss was so full of potential, conceived in love. Coming into motherhood is wide; each story is different. The idea of motherhood too is so immense, meaning different things to different people.

My idea about mothering and motherhood has changed considerably over the years. While my yearning for motherhood came late, I don't recall growing up being maternal and wanting children of my own. I was the loving and the fun aunt to my siblings and friends' children; my heart was content. Until I felt I want to have children, and by Allah's mercy, I became pregnant.

There is so much insensitivity for women who cannot or choose not to have children. that does mean one's' deficient or incomplete as a woman'. We must approach such topics with empathy as a trial for others might not be for us and vice versa. Allah mentions in multiple places in the Quran that while children are a 'joy', they're also a 'test'.

I never thought about motherhood's collective experience until last year when I had my previous born with an unexpected caesarian.

Culturally there's so much taboo surrounding C-sections; it's thought to be an 'easy way out' not initiating one to full womanhood.

But in this realm of motherhood, it's often part of being a parent when it need not be. Trust in yourself is the first step to parenting from the heart

Years ago, when I had my first child, I suffered from postnatal depression that went unnoticed; years later, I heard other women talk about their experiences. I could not calm or silence my inner chatter. While I enjoyed Breastfeeding, it felt like a prison sentence on some occasions.

Being the first to have a child in my circle of friends with no family around, the first few months were too frightening. No one to call at late nights to cry to; some would listen, but I felt that I sometimes missed my woes' full extent. I was only 26 years old at that time;

In my early 30s now, I feel so proud of that girl, who did the unthinkable on her own. I didn't have to be alone, but I did my best to carry her forward. While I have a loving, supportive husband, I couldn't explain to myself or to anyone about the feelings that were drowning me.

I went to see multiple therapists without use. I felt that because I am a visible Muslim and black, my worries were unheard, and my feelings unaddressed. During a session with a therapist that clung to my every word, I recall one evening, responding to each statement with, "could your religion and culture be to blame?". I felt so incredibly vulnerable and wounded by her words; I never went back or asked for support elsewhere. The challenges of motherhood are widely universal, and our fears the same.

The US has the highest maternal disparities rates, disadvantaging black and people of color at unprecedented rates. Being a Somali African from London, I knew something was amiss, and I felt this every time, whether from health care providers or well-meaning circles. I didn't trust anyone with my care, and so I went it alone, soothing myself and leaning into my husband at my lowest moments.

The world has drastically changed since social media is filled with pages from mums sharing their insights from the jolliest to the darkest and much more. We're so inundated with information, trying to implement it while also juggling our lives. Also said motherhood could be the loneliest time for

Days later, Mohamed's father and uncles came to ask for my hand in marriage. There were many joy and delight. It turns out his uncles knew my brothers, and since Somalis are a small-knit community, they also shared the same friends.

I accepted the marriage proposal, and a wedding date was set. We tied the knot in autumn that year in 20/11. The whole process was like a dream to me; I would pinch myself to believe it is real until we met as husband and wife. That is what makes our love so unique; Alhamdulillah, my dua'a was answered. As for my father in law, our relationship is still improving. And as for Amir, he found his lost love and is now happily married with two children.

On Motherhood

When you parent, it's crucial you realize you aren't raising a "mini-me," but a spirit throbbing with its signature. For this reason, it's important to separate who you are from who each of your children is. -Dr. Shefali Tsabary-

Children are malleable, intelligent, and aware, throbbing with their consciousness. It is a gift to be a parent, a gift not afforded to everyone. Raising wholesome-centered children requires parents to look within to fill their own needs without vicariously living through their children. The pathology of pain and fear often passed down from parent to child. This journey of motherhood leans into trusting yourself, growing within while also raising.

Nothing prepares you for motherhood, absolutely nothing, and if you were to take a piece of advice from me, don't listen to anyone. I just contradicted myself there but bored with me. See, the thing is, nobody knows what's best but you.

Each child has different needs; you know them when you deal with them while growing and learning. People advise others after they've mastered their deficiencies, which is normal to have them as a human in the first place.

and to this day, he still looks for it on my finger. Emerald culturally represents the beginnings of new life, richness, green meadows, and new hope.

We said goodbye, and before I went, I was stopped by a beautiful couple who complimented us, saying we looked radiant together. Perhaps this was the closure I needed for ending our meeting; I walked away peacefully.

Shortly after landing, Mohamed called; I was packing. While talking, he said that: someday I would be his wife. It was beautiful to hear those words, but part of me hesitated and feared to lean to his words. I didn't want the past to repeat itself or to lose what we had now. Guardedly I felt indifferent. I was ready to seal this part of my life; it was a wonderful experience. I want to share it with my loved ones someday, but now I had a different plan.

The ride from the airport was a pleasant one, filled with stillness and nostalgia. London embraced me with sunshine, blue skies, and roads paved with trees. I could feel the city waking into a bright, jolly morning. I was thrilled to see my family. I was happy; they could sense it in my eyes. A sense of calm and beauty blanketed my presence. I was a new woman.

It took some time to reconnect with things in London. Many things have happened to me and others. One of the most challenging news to come back to be my dear friend's death after getting married. I was shattered. My last memories of her were at a friend's wedding, where she shared her engagement. I thought about the wonders of life; one moment we're together, the next doesn't exist. Ya Allah, keep us together in goodness and fill our last moments with ease.

Weeks later, my parents received a phone call; it was Mohamed's mother. She introduced herself, asked for a formal proposal for me to marry her son. She didn't wait for her husband's approval. She insisted on proposing herself, an agreement with her alone. His mother is a fierce woman, a matriarch. My parents were taken aback by her formidable force. She said his uncles would come to ask for my hand if his father disapproved.

memory bank. We're both spiritual beings and believe heavily in respect and faith, which guided us for the rest of that trip and the days that lay ahead.

Many hard conversations ensued. I needed no explanations or apologies because this was not a continuation of where things were left or resumed. But I was a different woman to the one he met; time honestly had its time molding me wiser. I knew now what I would and wouldn't accept and settle for that I needed not pursuing.

It's a pleasure to love me; I am all loving and loveable. It took me a long time to truly feel those words; for a long time, I blamed all external factors for why I would never find love with someone from my background. While Tribes are beautiful, it also has its dark crevasses where humans often display an ugliness in character, which causes immense division and agony

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ
أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (الحجرات: 13)

O humanity! Indeed, we created you from a male and female and made you into peoples and tribes so that you may get to know one another. Indeed, the noblest of you in the sight of Allah is the most righteous among you. Allah is truly All-Knowing, All-Aware | Al Quran 49:12 |

Before returning home, we took a trip to the Taj Mahal in Agra, to the iconic monument of love. The mausoleum built as commissioned to honor lost love, a grand structure of beauty, a husband who's lost his beloved in childbirth. As we walked through the gardens and gazed upon the shape held up against the changing sky, the marble building shuns not just in its magnificence but also wonder in all the years of toiling it took to erect it. A real beauty to behold. Every detail of that monument served as a reminder that all the elements that make love matter and that no piece shall go unnoticed.

Mohamed and I shared a flight back to Abu Dhabi, where he was to transit to Seattle. I was glad I made this journey and left India with a content heart. Before leaving Agra, he brought me a beautiful emerald stone ring encrusted with diamonds as a gesture of apology. I didn't accept his ring,

The ride to the airport was quiet; the air was stiff. Amir and I shared many words, but that morning it was heavy. I felt both our hearts distant.

When people ask me why I never stopped looking back on Mohamed's experience, I say 'Qadar' (قدر), which translates to fate.

During my time alone, I came to love certain aspects of my culture, the land, our language. I love the clothes we wear; the bright colored chiffon Dirac (dress), the silk Guntinos (wrap dress) we use to adorn our figures, and the incense we burn close to our souls. We know the chants of Buraanbur (folk rhymes) we love. That's all became an ululation of praise, of something so deep in me, I had to celebrate even in the union.

When people ask me, why not Amir? We were so alike; two yang's are so loud yet soft. I saw much of myself in him and him in me, so pure and gentle. Our hearts were longing elsewhere, and our time together brought clarity to the surface, for me sooner and for him later. His heart was yearning for a love that slipped between his fingers. I offered to return the ring, he said to keep it, and so I did. I waved goodbye with my ring finger adorned with his promise, our promise, a promise of love, a promise to find that which will fill us.

The flight was short, full, and heavy. I had this hum of stillness with mild flutters of nerves. I glanced over to see Mohamed tiptoeing swaying on either side, waiting for my arrival from a distance. I wore my sunglasses and walked through immigration with the shakiest stride; my nerves built up, and my palms were sweaty.

Suddenly everything around, me froze, and there was a slight ringing in my ear that grew louder and louder as I walked over to the exit; he saw me, and so did I. I could not run away to escape nor hide because the man was Mohamed. He graced me with salaams and, by his calm energy, made a joke that I looked plumper. Not the politest of jokes to start, but just what we needed to cut through the ice.

To summarize those moments, now looking back as; 'our magical days in India.' We experienced many moments together, first moments that would cement much of what we look back now as the fondest moments in our

'I am going to make everything around me beautiful – That will be my life.' Elsie de Wolfe

So, I did. I surrounded myself with flowers, deep colors, and rich textures. I saw myself outwardly now as an extension of what was blooming from within. I traveled, made friends, and relished in enriching adventures.

Now that my stay was ending, which by this point I missed my family and friends in London dearly, I had to sum this experience with a trip to India, the sacred land of enlightenment.

One of my biggest travel goals is to visit all the UNESCO World Heritage sites. As someone who's studied Anthropology, I am always intrigued by the remnant of history and study of the civilizations that came before us. So, my itinerary was simple, cram as much as I can in five days.

Days before my trip, Mohamed called to say he had a work assignment in India. I almost dropped my phone at the swift nature of fate. I was smacked, left speechless for a moment. Once the shock and excitement wore out, I said I am visiting India within a few days. Later I find out that all his siblings and friends conspired to make us meet. I mentioned my trip to Fatima, and without knowing, she extracts all the details to align our paths

That morning, I missed my flight and took a taxi back home. I did not tell Amir I was leaving for India. Looking back now, I meant to miss my flight because that would be the last time I saw him when he dropped me at the airport the next morning.

He was overwhelmed about my leaving so suddenly. I mentioned to him that I would meet Mohamed. I admitted I still had unresolved feelings I needed to settle but promised him upon my return; I would have a definite answer about us. I never hesitate with most things in life. I'm quite assured to go after what suits me well intuitively.

This open page between Mohamed and I needed a close. I pray about the smallest details in life, and this was one I needed an answer to. All the delays in my life have been the biggest blessings because I have accumulated vast growth and insight into those moments of detours.

One in which our love exceeds this Duniya. (دُنْيَا)

One in which we'll find pieces of heaven with each other.

One in which our fullest selves come into each other in peace.

I knew that my only path to attaining that love was through a union, and so after that night, something in me changed. I made duo for a spouse; perhaps marriage with the one is not so daunting after all. Experiencing love to its most trustworthy depth is probably the fullest thing to attain.

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ
يُرْشَدُونَ (البقرة: 186)

'And when My servants ask you, (O Muhammad), concerning Me - indeed I am near. I respond to the invocation of the supplicant when he calls upon Me. So, let them respond to Me (by obedience) and believe in Me that they may be (rightly) guided | Al Qurān 2:186|

'Traveling leaves you speechless, then turns you into a storyteller'
Ibn Battuta

Have you ever wondered how many things you have yet to see as you travel through the land? The people you have yet to meet and the memories you have yet to make. Life is genuinely and beautifully remarkable. It's those moments of bewilderment that make us the greatest.

Travel for me has become a cathartic experience, a process of leaving and starting a new life elsewhere, momentarily, taking in the world with fresh eyes. During my first initial months in Abu Dhabi, I picked up meditation, centering my thoughts with renewed breathing. That allowed me to start over anywhere I may be, sit through the moments of discomfort, and with every inhalation, breathing in new life and exhalation releasing all.

A week later, as I browsed my inbox, I found an email from Mohamed, sent around my birthday. It started with good wishes, followed by an apology. I closed my laptop and left it there. The emails grew consistent, Fatima's calls were frequent, trying to bridge a way for Mohamed and me to rekindle or at least communicate.

Nevertheless, it looked like Amir was the final puzzle I needed to make sense of it all. He was a replica of me, deeply intuitive and emotional about the smallest things in life. We would talk for hours over candlelit dinners, and it was just that we had a great conversation. Around my birthday, he took me to a beautiful aquarium and kneel on one knee with a ring; I was shocked; he was not proposing but promised to. I was flustered and did not know what to say; I cannot say I was expecting this at all; he found in me a deep friendship and more. It was my twenty-third birthday, very young as I write this now a decade later.

Most of my friends were either married or were pursuing proposals at the time. However, I was content, abroad, and single. I never glamorized the idea of marriage; while I loved the sense of companionship, the idea of one partner for life was scary.

Knowing my temperaments, I always pushed away from this idea. My parents did conversely demonstrate to us a friendship in marriage and so always inclined to that. So, when Amir presented me with the promise ring, his rings were better than a proposal because that would have been too hasty.

I grew restless at work and gave in my resignation that same July. I was ready to travel before returning home. Fatima sent me a message one evening telling me that Mohamed broke off the engagement. I listened, quite exhausted by the day I had. I made nothing of it all. Frankly, I had no emotion or joy to share. I ended the call saying we would talk another time

I stepped away, bathed, lit some candles, burnt some of my favorite scent (Bakhor, بخور). I sat in my room, dimmed lights; I had this urge to pray. So, I did. Poured into my sujood when all sudden, I cried, the most resounding cry. I couldn't contain myself, so I let go, in the privacy of my home. I felt residual healing and longing for a different script between Mohamed and me. For that, I left it in Allah's hand.

I made a sincere dua that night, a prayer that still carries me to this day
O Allah, grant me an eternal spouse.

'What you seek is seeking you' Jalāl ad-Dīn Muhammad Rūmī

I sought to find the truth, attain peace where I have been and would go. There's an aura of radiance that glimmers from a woman consumed in her self-discovery; that was the point in my life where I was accepting myself, at the cusp of all my wildest dreams becoming a reality. The voices in my head quieted, the gremlin was laid to rest, I developed a beautiful sureness to witness Alhamdulillah.

I did not know how to name what Mohamed and I had or could have had further, but what I did deserve was an explanation. On my days of strength, I felt peace permeate so palatably I did not need anything from anyone, including an answer, but those days were few and far apart, which took me further into unearthing a more profound layer of myself. It dawned on me that growth is not linear, and that true self-love requires time. After all, the sweetest journey is the one-off returning home, into us.

Almost a year later, Fatima called one evening, apologizing for how things turned out. I didn't need an apology because, at this point, I had peace; before ending the call, she shared the news that Mohamed was engaged and to be married early the following year. I took a deep breath and exhaled peace. Before ending the call, I asked for his number since I deleted all his contacts.

I called, and after two rings, he picked up and said, 'Salaam.' I was not angry or bitter; it was nice hearing his voice; I said, 'Mabrouk, مبارڪ congratulations on the engagement.' He was surprised, then his voice tone changed, perhaps sad that I knew, maybe he did not want to hurt me further. We exchanged pleasantries before I excused myself to end the call. I took a deep breath and felt proud I could do that.

After almost a year of working, I met a friendly accountant who was far from Somali. This time I told my parents early about him; they had their reservations. But I was following my heart, also knowing God answered my prayer *dua'a* (دعاء).

A few nights later, 7:00 PM came and went, without phone calls or emails from him. I felt deeply embarrassed. The next morning my parents and aunt came to console me since I was not the first heartbreak of tribalism. I felt humiliated.

I went to a local travel agent to change my flights to seek comfort at my home in London. I lay in bed for days, no one to bother me, and luckily my parents were still in Hargeisa (name of our city). After the fourth day, even with Mohamed's no contact, I got up, made a prayer for strength, and went out that evening. Months passed without Mohamed contacting me. I was okay with that.

Fatima is Mohammed's half-sibling from his father's side. She lived in London, where he would come to visit them often. So, it was normal for them to go a long time without talking

With days, I was doing much better but, I needed some time alone to retreat further. So, I applied for jobs abroad and got a teaching post in the UAE. I packed minimally, needing only my Kitab and prayer rug to commune with Allah. That was my first experience of moving out alone. Sometimes I would immerse myself; other times, I would yearn to have company. During this short time, I did what one would do with ample time. I started eating healthy, exercising, indulged with endless spa experiences, spent my weekends walking on the beach, having quiet evenings with a book. It was a journey of knowing myself.

I revisited tender moments in my life where I was not the best advocate for myself, moments where I could have used drawing out boundaries for myself and others, where I let toxic relationships drag further than they needed to. I learned so much from the wounds I knew never existed. I gave myself the grace to soothe, then lent forgiveness where needed. I say this as though the process was modest, but far from it. Holding a mirror to myself was the hardest thing to do and, still.

knew that to escape that fate and merge with the hierarchy would be through money and education

And so, he worked tirelessly to become one of the richest men of his town, owning gardens of fruit. Allah answered his *dua'a* (دعاء), and his land was fertile. He sent all seventeen of his children to school and some abroad. Rising from the shadows of discrimination, all of them became successful, but marriage into other tribes was the only thing they could not mix in too.

While my parents belong to marrying clans, they denied their love for reasons of class. So, my parents eloped, and they returned home after completing their marriage; this was the tradition in their days. My paternal grandfather was a scholarly man known for his devotion, and so was my maternal grandfather. After much deliberation, going back and forth, my parents' marriage was blessed; both families agreed *Alhamdulillah's*.

When I met Mohamed, he was unknown to us; we did not anticipate tribal contention to trouble. In the beginning, our introduction was to know each other, which later grew into pursuing marriage. Love was the real intention between us, and nothing else mattered. Fatima and her siblings insisted on making the marriage work. I didn't share what's going on with my family except for my aunt Edo; therefore, I dealt with most of the outcome alone.

In Somali tradition, choosing a spouse is left to the individuals pursuing, unless by a chance of families wanting closeness to another family. A union is then arranged, with both parties in an agreement. That left me and many others disadvantaged in love, as we had to unravel the layers of one alone, sometimes prone to heartbreaks. To bypass that experience, we both let Fatima take the reins

Mohamed and I never exchanged tribes' names; we didn't think that would be a factor of concern. One evening he requests an email identifying my tribal affiliation; I have had to give it to him without thinking why he would want it. Ang ended the last email by saying, 'my father and I will call your father at 7:00 pm sharp'. That was his marriage proposal; I felt confused and thought about all the questions my parents would ask me.

The love between a mother and a child is the closest to a divine kind of love. Clear in revelation; it's a love that requires no effort nor needs deserving, it is a revered love, that's the conception to many love stories that unfold there onwards.

When I met my husband during my second year of university, I can admit, I was a late bloomer. I spent much of my time growing up rolling in the mud and kicking about a ball with my brothers. Not to mention with five brothers, I couldn't do much, let alone date or have boyfriends, furthest from a boyfriend.

In love

I know that Mohamed is the kindest soul, I don't say this to be biased, but he genuinely embodies loving and patience by introducing his beloved sister Fatima. She is also a dear friend to me and thought I would be the best life partner for her brother

The introduction was seamless; the interest in one another grew organically, synchronizing two continents and time zones. I was in London, and he was in Seattle, WA. We talked late into the nights, and first thing in the mornings, his nights were my days and vice versa, which made our communication seem endless. Back then, there was not the convenience of instant, free communication. We had to purchase international call cards and exchange emails when not possible.

He later told me about some nights when he had to leave his house in the dark of winter to purchase phone cards to resume our conversation. That's turned to weeks, months, then, neither of us could go further without telling our parents. After graduation, I informed my guardian, late Aunt, Arfi, during our trip back home to Hargeisa, Somaliland.

Somalia, much like other countries, we have a hierarchy of tribes. An ancient colonial system where each Tribe is known for something and dominates certain regions. My father's Tribe is the most marginalized; his lineage comes from the man of craft business. Early on, my grandfather

Love is the most beautiful declaration. Love, love, say it long enough, and it will turn silk on your lips. It's the purest thing we will ever know and the richest of feelings there is.

Love is defined as a deep fondness and an electric sense that encompasses everything. Love is subtle, of quiet moments, moments so subdued and distinct without words. Love has been written and rewritten about, a summary of the greatest stories, its vastness yet to be contained. We all know of folktales and stories we are so enchanted by, each tale with its heroes who have triumphed in love, far-reaching love that transcends space and continents. Have you ever been in love, wrapped by its charm and wonder? Has the feeling dazed you into long daydreams? If so, we can all agree love is the only initiation to embodying the full depth and breadth of what it means to be human.

Love is the essence of *Allah* -God- His Divine Energy and Presence. I love reading the Quran and various spiritual texts, learning in-depth the qualities of the Divine, that only shed mere insight; **وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ** And He is the All-Forgiving, Most Loving 85:13.

My birth

Every story has a beginning, and mine began on a bright summer afternoon in the early days of July 8th, to be precise. My mother recalls that the pregnancy was filled with delight. As the civil war in Somalia was brewing, my parents were joined by their families in Saudi, where I was born.

Despite the uncertainty back home, there were laughter, joy, and endless plates of food in her presence. She had all the help an expectant mother could ask. She went into labor shortly after Athan for *Dhuhur*, the afternoon prayer. When the pain intensified, my aunties ran to our local *Masjid* (mosque) to call my father. They rushed to the hospital, where soon after, I came into the world minutes after their arrival. Named Ahlam, the one with dreams, birthed much with ease.

Chapter Fourteen *On Love*

By

Ahlem Mohamed Abdullah



في قصتها (العاشقة) تحدثت الكاتبة الصومالية التي عاشت في بريطانيا - أحلام عبد الله - عن معاناتها في الحب وعن الطبيعة العشائرية التي منعت زواجها ممن تُحب لسنين بسبب التصنيف الطبقي للعشائر. مما اضطرها للتغرب للعمل، وبدء رحلة التعرف على الذات ونسيان حبيها. تحدثت أحلام عن طفولتها وأمها، وعملها، ورحلة اكتشافها لذاتها، إلى أن اجتمعت بعد سنوات بمحمد مرة أخرى، وتزوجا وانتصر الحب على ما سواه، كما تحدثت عن الأمومة واصابتها باكتئاب ما بعد الولادة والذي حاولت الطيبة النفسية بسبب تحيزها ان ترد أسباب اكتئابها لديانتها وحجائها.

Love is the essential existential fact. It is our ultimate reality and our purpose on earth' – Marianne Williamson "A course in Miracles."

Finally, I would like to thank all the participants in this book for sharing their beautiful stories. I would also like to thank L.M.O for helping with the introduction, M.B.M, for designing this book's cover, my daughter Razan, who was handling the financials. Also, I would like to thank those who supported the book's idea even if they did not participate in it.

Enjoy reading our book

God created humankind for a specific mission. However, life's roles and functions have been exaggeratedly mixed, which caused an imbalance in humankind's relationships. Our social roles are changing, but our characters, needs, and instincts remain the same, even if some claim otherwise

Although we are not experts in writing, our diverse stories reflect our experiences. The diversity of the topics, simplicity, and clarity of expression is what made this book unique.

This book consists of two parts; the Arabic part was written by fifteen participants residing in Jordan, Saudi Arabia, and the United States. And the English part was written by six participants living in the United States, Britain, and Africa.

The book consists of Nineteen chapters and twenty-one writers. The Thirteenth chapter was written by three women who preferred not to mention their real names due to their family considerations.

Since I know all authors, I would like to introduce them to you.

Latifa Al-Quqa, Amal Toukan, Khawlah Awamleh, and Raja' Awamleh are my childhood friends who went to the same school and lived in the same neighborhood; Khawlah and Raja are sisters.

I have family ties with L.M.O.

I met Maryam Alsefan over the internet, and I was friends with Monia's deceased mother.

I developed a friendship while working a long time ago with Jane Gilbert and Eman Al-Khatib. As well as with the writers of the thirteenth chapter.

I have developed relationships with Ahlam Abdullah, Amira Zalloum, Shafaq Irshaid, and Heba Al Dossary while working on this book.

Zaina Batal Seede, R.T, and M.B.M are family friends in the United States.

Hanan Al-Asses is not only my niece but also a very close friend of mine.

During the first conversation about the book with my dear friend (Zaina Batal Seede), her response was: "Why not? every woman has a story to tell." I then realized that this title represents our efforts, and this is how the title of the book title came out.

We are a group of women from different nationalities, cultures, religions, education, ages, and backgrounds. Most of us have never met before. Our femininity binds us together in this book; (Every Woman Has a Story to Tell).

We may have shared ideas, feelings, needs, social environments, and capabilities, but we differ in our personalities, backgrounds, education, beliefs, languages, religions, stories, and experiences.

We all have many challenges in our lives imposed on us by our different backgrounds, environments, and experiences; each of us has a story and an experience she wants to share with the others.

Our stories may be happy or sad, a success or a failure, positive or negative, stories of love or failed marriages, but we passed through and lived them in detail. Our stories' outcomes may not be as we would like them to be, but we learned and paid the price for these experiences.

Learning and maturity come through living real-life experiences and their challenges. Thus, no one can judge us through our stories because each of our experiences was shaped by the circumstances in which we lived.

The woman has been known as emotional and often expresses herself through tears; Perhaps this is the weakness that hinders her from dealing with her problems and expressing her opinion.

However, they should not be blamed for their physical, psychological, and emotional differences that God created them and reinforced through family upbringing and education..

Introduction

The idea of this book started after completing my previous book (*Sanawat Fe Sutoor*) with a group of nineteen colleagues -men and women- who graduated from the University of Jordan in the seventies. The book was published in September 2020.

I thought of repeating a similar experience with a group of women and friends that I knew from childhood, school days or got to know them in later stages of my academic, working, or social life.

When I conversed with a group of friends, the idea was met with acceptance. However, they had several obstacles, which led some of them to withdraw despite liking the concept. Some of these concerns were:

First: The lack of experience in writing and not knowing what to write.

Second: The fear of criticisms from the people around them.

Third: The fear of expressing their feelings.

Fourth: The idea that there is nothing in their life worthy of sharing or writing about and underestimating their life experience.

So, because of knowing and expecting those fears, I encouraged them, and I helped them to start writing. It is not easy to get out of the comfort zone we all live in without the fear of society's judgment. Women are accustomed to not expressing their feelings, and if they do, their tears precede their words. On the other hand, others had stories to share and found an opportunity to express their feelings, experiences, memories, and emotions.

The book started to take another turn when my youngest son suggested inviting non-Arab women to write in the book. I found the idea unique due to women's diversity from other cultures, nationalities, religions, and languages. So, I asked them to share their life experience in English.

**We dedicate this achievement to ourselves
and women all over the world**

Contents

Introduction.....	7
Chapter Fourteen: On Love	11
Chapter Fifteen: JANE'S STORY.....	29
Chapter Sixteen: J.A.I.M.E	41
Chapter Seventeen: My life as Uyghurs	57
Chapter Eighteen: Peek Through the Curtains	75
Chapter Nineteen: "Perhaps You Dislike Something Good for You"	93

Every
Woman
Has A Story To Tell

Authors: A Group of Women from all over the Globe

أميرة حمدي زلوم
خولة زهير العواملة
لطيفة أحمد القوقا
هبة فرج الدوسري

أمل نعيم طوقان
المحامية حنان عبدالكريم العسسى
شفق مصطفى ارشيد
مُنيرة عبدالرزاق عوض
أمانى وياسمين الشام وآسيا

إكرام عبدالقادر العش
إيمان محمد الخطيب
رجاء زهير العواملة
مريم علي سعيضان

Ahlem Mohamed Abdullah
R.T.S

Jane Gilbert
M.B.M

L.M.O
Zaina Batal Seede

Compiled By: Ikram Al-Ish

2 0 2 1

Every
Woman
Has A Story To Tell

Authors: A Group of Women from all over the Globe

اميرة حمدي زلوم
خولة زهير العواملة
لطيفة احمد القوقا
هبة فرج الدوسري

أمل نعيم طوقان
المحامية حنان عبدالكريم العسوس
شفق مصطفى ارشيد
مُنيرة عبدالرزاق عوض
اماني وياسمين الشام وآسيا

إكرام عبدالقادر العث
إيمان محمد الخطيب
رجاء زهير العواملة
مريم علي سعيقان

Ahlem Mohamed Abdullah
R.T.S

Jane Gilbert
M.B.M

L.M.O
Zaina Batal Seede

Compiled By: Ikram Al-Ish



9 789957 678418